نظريّة آلمعرفة آلكونيّة

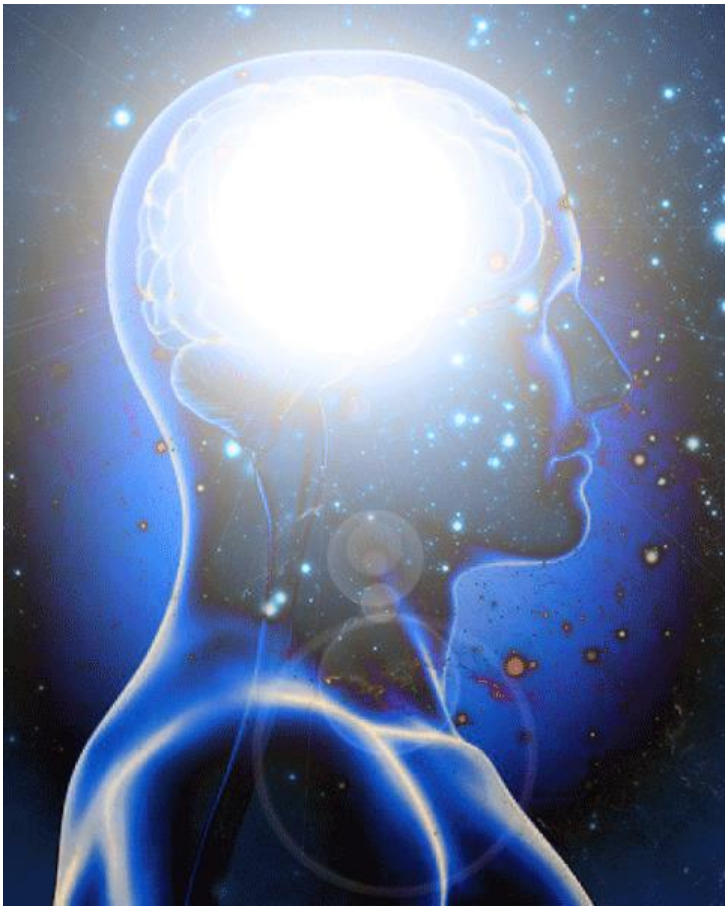

ألفيلسوف آلكونيّ : عزيز آلخزرجيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

Table of Contents (فهرست المحتويات):

1. مُقدّمة (Pg. 5-7)
2. تعريف نظريّة آلمعرفة آلكونيّة (Pg. 8-9)
3. أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – آلأساس الأوّل (Pg. 10-25)
4. أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساس الثاني (Pg. 26-34)
5. أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساس الثالث (Pg. 35-43)
6. أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساس ألرّابع (Pg. 44-51)
7. أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – ألأساسُ ألخامس (Pg. 52-59)
8. أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – ألأساسُ ألسادس (Pg. 60-66)
9. أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – ألأساسُ ألسابع (Pg. 67-78)
10. أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساس آلثامن (Pg. 79-90)
11. أساسات نظريّة ألمعرفة ألكونيّة – ألأساسُ آلتاسع (Pg. 91-103)
12. أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساسُ آلعاشر (Pg. 104-119)
13. أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – آلحادي عشر (Pg. 120-128)
14. أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – آلثاني عشر (Pg. 129-152)
15. ألخاتمة (Pg. 153)

[و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري مآلكتاب ولا آلأيمان و لكن جعلناهُ نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا و إنّك لتهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ].
سورة الزّخرف – آية 52

مُقدّمة:

سعى الفلاسفة منذُ أنْ بدأت ألحضارة - يوم قرّر أوّل رجل غاضب إلقاء كلمة بدل من حجر - سعوا للوصول إلى تعريف جامع و معقول للمعرفة بإعتبارها الأساس, فوصفها "أفلاطون" بأنّها: [إعتقادٌ مُبرّر و صحيح], مُشترطاً تحقّق ثلاث شروط في أطروحة ما, هي: أن تكون؛ صحيحة؛ مُبرّرة؛ تشمل ألقضايا ألميتافيزيقيّة(ألغيبيّة), مستنداً على معطيات ألرّسالات ألسّماويّة التي حملت ألكثير من آلأسرار و آلمعارف, و تفرّد آلقرآن الكريم من بينها برؤية أوضح و أشمل تناثرت بين آيات سورها, و لم يعتني ألعلماء بها لأستنباط أسس و آفاق نظريّة معرفيّة كأساس لدساتير بلادنا و العالم.

لذلك قرّر كلّ فيلسوف عبر التأريخ إبداع نظرية للمعرفة, برزت في عصر النهضة الأوربية كـ "كانت" و "لوك" و "بيكون" و "هيوم" منتقدين تعريف أفلاطون لعدم تقيّده بآلحسّ ألبشري, غاضّين آلنظر إلى أن نهج العدالة يستحيل تحقيقه بدون قانون الله, فعرّف "لوك" ألمعرفة بأنها؛ [إدراك ألصّلة و الموافقة أو ألللاموافقة بين آلأفكار], و إعتبر [الأحساس إنعكاس للحواس], و حدّد لوك طرق المعرفة بـ : ألأدراك ألتلقائي؛ ألتعليمي؛ ألأحساسي, و لم يتطرف الفلاسفة بآرائهم إلا لفساد الكنسية؟

لهذا أتمّ "لوك" عمل "فرانسيس بيكون" في إرساء أهمّ أصول المنهج العلمي ألتجريبي, و أتى "ديفيد هيوم" أحد المعاصرين لـ"لوك" ليُكمل أصول ذلك آلمنهج ألفكريّ بآلخلاف ألشّهير ألذي وضعه مع مبدأ ألأدراك التلقائي, حيث إعتقد "هيوم" أن إدراك ألوجود غير مُمكن في ظل المبادئ ألتي أرساها "لوك" أو من سبقه كأفلاطون, إذ أنّ إستثناء إدراك هذا آلوجود من إشتراط وجود أدلة عليه غير مُبرّر.

أمّا "برتراند راسل" ألذي هو آلآخر لم يتوصل لنتائج شاملة, و هو من أهم فلاسفة ألقرن ألعشرين؛ فقد كتب عن هذه ألأشكالية؛ [لسوء ألحظّ إنّ آلتوصل لتعريف (آلمعرفة) أمرٌ بالغ الصعوبة], و قسّم راسل تبعاً لـ "كانت" ألمعرفة إلى قسمين؛ ألأول: معرفة الأشياء بإستخدام ألحواس, و آلثاني: معرفة آلحقائق, و يتأتّى عن طريق ألأستنباط, و يفتقر للصحة ألمبدئية من الأساس, لكونه نشاط عقلي خاضع لقواعد العلم ألتجريبي و مستقلّ و رافض للميتافيزيقيا, و هذا ما فنّده محمد باقر الصدر, لكن "راسل" الذي يُعتبر أشهر فلاسفة الألحاد في القرن العشرين إعتقد بأن إدراك حقائق الكون العليا مُمكن عن طريق الأستنباط, إلا أن هذا الأعتراف لم يغني العالم كثيراً لأنّ جميع الدساتير وضعت بعيداً عن رأي الرسالات السماوية, لهذا تفاقمت الأمور و المحن بمرور الزمن, حتى وصلنا لعصر ما بعد المعلومات, أو عصر النانو تكنولوجي.

ألقاسم ألمشترك بين جميع آلفلاسفة هو إيمانهم بآلغيب و إن بدى الأنكار الظاهري عن بعضهم, كل ما في الأمر هو إعتقادهم بإفتقار ألأستنباط إلى آلصحة المنطقية من آلأساس, إذ أنّ آلأستنباط ألتجريبي يقود إلى فرضيات أو "نظريّات" يحول بينها و بين إعتبارها"حقائق عليا", إن الموانع العديدة إلتي تحول بإستحالة ألأثبات الحسيّ و تنتهي بعدم القدرة على التعميم الكلي لهذه الفرضيات بآلنسبة للزمن و الأدراك و آلنتيجة إهمال ألبُعد الغيبي في القوانين.

كلّ ما يمكننا قوله على الرغم من كثرة البحث و آلتأليف خلال رحلة الحضارة إلى يومنا هذا هو؛ ألتعامل ألتجزيئي مع (نظريّة ألمعرفة), حيث إفتقدت الكمال و الغنى في جميع ألمدارس ألفكرية ألتي نُسبت للفلاسفة,

بمعنى عدم وجود تعريف متّفق عليه و حاسم للموضوع, لهذا جاءتْ نظريّتنا ألمعرفية آلكونيّة لتُقدّم تعريفاً شاملاً للوجود وتحقيق الغاية من آلخلق!

لقد عرضناها بإسلوب علميّ سلس تتضمّن ألمفهوم ألفلسفيّ ألجّامع للعالم كمنطلق لسائر ألأبحاث ألعلميّة و آلفلسفيّة ألأخرى, فبها يُمكن معرفة فساد أو صلاح ألأفكار أو أية قضيّة أو قانون أو مذهب, فهو آلأساس ألصّحيح لبناء منظومة فلسفيّة مُتكاملة عن حقيقة و معيار ألقيم وألحياة و آلكون و ألأنسان و النظام و تطبيقهُ عبر دستورٍ و خطط ستراتيجيّة من أجل ألتّنمية لتحقيق ألكمال ألأنسانيّ و ألسّعادة في آلمجتمع.

لم يَسْتطعْ أيّ فيلسوف للآن ترجمة موضوعاتِ ألعالم ألخارجيّ – ألطبيعيّ و آلأنسانيّ - عبر نظريّة معرفيّةٍ - كونيّة شاملة إلى قوانين ثم برنامج تطبيقية عملية للممارسة و آلأنتاج ألفكري و العلمي ألمُثمر ليظهر و يُبيّن جمال الوجود و غايته و كيفية الخلود فيه؛ مثلما بيّنتْ نظريّتنا ألمعرفيّة الكونية ذلك من خلال أساساتها آلأثني عشر التي تهدف لتقليص و محو (التكثر) (للتوحد)!

لا فائدة في فقيهٍ أو عالمٍ أو مفكّرٍ أو نظام أو دين و مذهب؛ إذا لم يُقترن بمثيلاتها بعرض نتاجهم بمواجهة آلواقع آلعمليّ لإسعاد الناس! و هذا هو ألفرق بين آلمرجعيّات الأنسانيّة ألصّالحة التي تسعى لعلاج آلام الناس و بين آلمرجعيّات ألطبقيّة ألعرفيّة ألتقليديّة ألمُتَحَجرة ألتي تسعى للحفاظ على مصالحها و هيبة ميدانها!

ألفائدة آلعُظمى تَتَجسّدُ عمليّاً بسبب ماهيّة آلفكر ألّذي يُنظّم حياة ألأنسان و آلمُجتمع على كلّ صعيدٍ و في مُقدّمتها؛ ألصّعيد ألسّياسي و آلأجتماعيّ و آلأقتصادي و آلتربويّ و الأداري و آلفنّي و آلعسكري, فَبِدون ذلك .. يُعْتَبرُ فكراً مبتوراً و فقهاً ناقصاً لا يُغني و لا يُفيد, بل و يصحب الفساد بسبب أهداف الحاكمين في النظام و الأقتصاد و آلتي لا تخدم سوى طبقة طُفيّليّة ظالمة!

ألعطاء و آلأبداع و آلأنتاج ألعلمي لا يأتي إلّا من أصحاب ألفكر و آلمعرفة ألمُخلصين, و في ذلك فليتنافس ألمُتنافسون كما حثّ آلقرآن ألكريم و وبخ الخاملين و المتحجرين أيضاً ألذين يعتمدون ألتكرار و آلأجترار و آلتّراكم و آلدّوران في حلقات مُفرغة و قد جعل الله ألرّجس على آلذين لا يعقلون!

إنّ ألأنسان و بآلتّالي ألمجتمع لا يتطوّر تطوراً حقيقيّاً بتفكيرٍ سقيمٍ أو ناقصٍ أو أنصاف حلولٍ و ثرثراتٍ أو فرضيّاتٍ و أفكار مهجّنة .. مُبعثرةٍ أو نظريّاتٍ قوميّةٍ أو عنصريّة أو طائفيّة أو حزبيّة تتحرك عمليّاً خارج مدار ألتوحيد ألألهيّ و آلأجتهاد ألواعي طبقاً للزّمكاني, بل ألتّطور ألحقيقيّ و آلنّهضة ألشّاملة تَتَحَقّق حين يتضمّن دستور ألمُجتمع على نظريّة كونية توحيديّة مُتكاملة ألأبعاد ترفض ألطبقيّة و ولاية ألطواغيت و ألمستكبرين في (آلمنظمة ألأقتصاديّة ألعالميّة) لأرتباطها بالله عبر آلولاية التكوينية – التشريعية, و هي ولاية ألمحبّة و آلعشق لِتُؤمّنَ تدفق إنتاج آلعلم و ألوعي ألمعرفيّ و تنمية ألعقل و تعزيز كرامة ألإنسان للسّير بإيمانٍ و حكمةٍ نحو أهدافٍ و غاياتٍ شريفةٍ تتحقّقِ معها ألسّعادة و الرّفاه في أجواء إجتماعيّة عفيفة و آمنة.

نظريّة ألمعرفة تهدف بآلضّمن تحقيق آلكمال عبر منهج عرفاني يُناسب طبيعة الأنسان .. عن طريق ألمحبّة و آلعشق و الأيثار؛ لذلك فأنّ (إصالة ألفرد و آلمجتمع) على حدٍّ سواءٍ تأتي في أوّليات نظريّتنا ألمعرفيّة لتأمين و تقويم حركة ألناس إلى آلحقّ خلال عمليّة ألبناء و آلكدح بإطار ألمحبة و آلتواضع, و نبذ آلجّدل و سوء آلظنّ و آلفساد و آلفرقة و آلغيبة و آلحرب.

إن وصول آلكمال بعد عبور المرحلة البشرية ثم الأنسانية إلى الآدمية يعني تحقّق مفهوم خليفة الله في الأرض

و التأهل لبدء الأسفار الكونيّة, لأنّ آلخلافة ألألهيّة لا تَتَمَثّل إلّا في الأنسان ألكامل, و آلمعرفة ألحقيقيّة لا تَتَجَسّد حتّى لو كان عالماً أو فقيهاً ما لم يَصِلَ درجة آلحكمة التي معها يتواضع الأنسان, و هي آلحالة ألّتي يكون معها آلحكيم ألفقيه مُرتبطاً بمنبع ألفيض ألألهي, فيكون رأيه في آلأحداث و آلوقائع و آلتقريرات آلأمثل و آلأصحّ, لأنّه لا يكون إلّا عن درايةٍ و حكمةٍ عميقين لأنه ينظر للوجود بنور الله.

و للتّعرف على تفاصيل "نظريّتنا الكونية" يُرجى مُتابعة أسس هذا آلكتاب ألأهمّ من بين ألكتب ألفلسفيّة و آلعرفانيّة ألّتي هضمناها منذ آدم(ع) و إلى يومنا هذا, و قد نُشِرتْ حلقاتها في وسائل الأعلام و ألمواقع و آلصّحف ألمُميّزة سابقاً, مع دعائنا لكُم أخي الباحث عن آلحقيقة بآلموفقيّة و آلنّجاح في آلدّارين.

للتواصل وآلأطلاع على كل جديد ؛ يُرجى آلأشتراك في كروب (ألفلسفة الكونية العزيزية) عبر الرابط:
https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A9-347840366061484/?ref=bookmarks

تعريف نظريّة آلمعرفة آلكونيّة

التعاريف البدائية .. و إفرازاتها الحاليّة:

لكل موجود فلسفة و غاية و نهاية .. لو عُرفت على الأقل لتوقف أو لخفّ الظلم و الحرب و الحسد و (التّكثّر) ألّذي سبّب كلّ هذه المحن، والتوحّد مع آلأصل بمعرفة ألعرض و الجوهر بآلمقابل هي التي تُسبب الأمن و الرفاه و السعادة و آلتّوحد بدل التّكثّر و آلتّنفر و الكراهية و الظلم, و يحتاج ذلك إلى ثقافة و معرفة ثمّ جواب الأسئلة الوجودية التي بدأها (عمانوئيل كانت و ديكارت و هيوم و إسبينوزا) و غيرهم ممّن سبقهم بعد ما أشار لها فلاسفة الأغريق ثمّ علماء الكلام الأسلاميين الأشراقيون و التقليديين و قبلهم المعتزلة وتتلخص بـ: من أين؟ وكيف؟ ولماذا؟ وما هي المصادر والأسباب التي أدت إلى تغيير شيء معيّن في النفس؟

وتلك الأسئلة ما زالت تُشكّل العديد من محاور الدراسات و النقاشات العلميّة والفلسفيّة حول الأصول المتعلقة ببداية و نهاية هذا الكون الذي نعيش فيه مروراً بخلق الإنسان وانتهاءً بالمادة و آلكون و آلثّقوب السوداء, إلا أنها للآن لم تُقدم الأجوبة الدقيقة الفاصلة التي يطمئن لها قلوب الباحثين ألعُرفاء!

ولعل من أهمّ الأمور التي أثيرت حولها الأسئلة و الجّدل المستمر للآن؛ هي (المعرفة)، من أين تأتي؟ وما هي حدودها؟ وما هي مصادرها؟ وما علاقة المعرفة بالعِلم؟ كيف تؤثر المعرفة ومصادرها على تكوين مناهج البحث العلمي؟ وهل المعرفة تُشكل الحقيقة؟ و ما هي الحقيقة؟ و ما الفرق بينها و بين المعرفة؟ و ما هي حقيقة الإدراك وحدوده؟

كل هذه الأسئلة على مرّ الأزمنة شكلّت ما تمّ آلتعارف عليه بـأركان نظرية (المعرفة), أو Epistemology الابستيمولوجي.

إتفق البعض من الفلاسفة المتأخرين ؛ بعدم وجود تعريف مُحدّد للمعرفة, فكلّها مقولات وإجتهادات حاولت وصف حقيقة العمليّة النفسية و العقلية التي تحدث في الإنسان ليصبح عارفا بأمر ما, لذلك تعدّدت التعاريف، حتى تبادر للذهن أنّ مصطلح (ألفلسفة و العلم و المعرفة) ؛ فيها حالة من الترادف و آلأشتراك لكنها مُختلفة في الجوهر و العرض، و عموماً؛ ألمعرفة أخصّ و أعمق من العِلم و الفلسفة أدق و تتقدم عليهما مرتبةً، فهي عبارة عن العلم بأمر معين في ذاته، أما العِلم فيكون أعم وأشمل، فكلّ معرفة عِلم, لكن ليس كلّ عِلمٍ مَعرفة, و القرآن الكريم عبّر عن الفرق بينها بآلترتيب: [عِلم اليقين(ألعلم)؛ عَين اليقين(ألمعرفة)؛ حقّ اليقين(ألفلسفة].

و من أشهر ألتعاريف ألمشهورة للمعرفة التي نريد فلسفتها, هي: [ألفعل العقليّ الذي يتمّ به حصول صورة الشيء في الذّهن (ألعلم)، ثمّ رؤيته بآلعين (ألمعرفة), ثم النفوذ لجوهره لفهم حقيقته (الفلسفة)](1).

لكن تعريف المعرفة الكونيّة, أشمل وأعمق من آلتعريف الآنف, حيث تُعرّف المعرفة .. بكونها:
[الفعل العقليّ الباطنيّ الذي به نحصل على صورة و جوهر و غاية ألموضوع المراد معرفته].
و هناك تعريفٌ أجمل, مفادهُ : [ألمعرفة هو معرفة المعرفة إعتماداً على البديهية و البحث لإكتشاف المجهول خارج أو داخل الذات من أجل تطويرها و الأستفادة منها].
لهذا أخطأ معظم .. ربما كلّ الفلاسفة, حين حصروا (المعرفة) بكونها مجرّد؛ [عملية عقليّة و نفسانيّة تحدث

داخل الإنسان ليتوصل إلى معرفة شيء معيّن, أو من أجل التوصل إلى حقيقة الشيء المراد معرفته]، فآمن الفلاسفة بكون تعريف المعرفة, هي [الحالة النفسيّة التي يجدها الإنسان بالضرورة حال الإدراك و التصور لتسجيل ملاحظاته].

هذا بجانب أنّنا نعتبر أنّ هذا الكون؛ محراب للفكر و التأمل و كتاب مفتوح للمعرفة تدلّنا على وحدة و جمال وعظمة الوجود و آلنظر والسير بروح الله فيه كما حثّنا القرآن على ذلك بطرح الأسئلة التي تفتح القلب و تجعله مركزاً لوجوده تعالى, كما تفتح آفاق العقل على مدى الوجود, فيحسّ العارف أنه أمام تناسق مطلق و جمال معجز و تدبير محيّر لا تُدركه كلّ العقول و عليه التفاعل معها لأجل البناء و التنمية و الأبداع, و تلك هي آيات الآفاق و الأنفس كمصدر أساسيّ للمحتوى المعرفي الكونيّ الذي يزوّدنا بآلأبعاد الكونيّة المشتملة على القوانين المنبثقة من عناصر الطبيعة و الغيب و ماهية الأنسان .. لا ككَمٍّ معرفيّ مجرّد من الأهداف؛ بل كمحتوى عمليّ له مردود إيجابيّ يجب تفعيله لتحقيق فلسفة الوجود من خلال سنّ الدساتير و آلقوانين لتطبيق النظام ألذي يُنظم شؤون آلبلاد و العباد و تُحقّق هدفهم.

تعريفنا بإختصار لـ(نظرية المعرفة الكونية) : [هي ألرّؤية الكونيّة التي تبحث من خلال العقل الباطن بتأئيد الله و محبّته .. لمعرفة فلسفة (الوجود و الخلق والخالق) لتقنين القوانين التي تُحقق بتطبيقها العلّة الغائيّة من وجودنا بأكمل وجه, و التي تُوصلنا للسعادة و الخلود], بعكس القوانين الوضعية التي ليس فقط لا خير فيها للجميع, بل و تجعل ألأكثرية كآلعبيد للطبقة الأقتصادية التي تحكم بالجّور و الفساد.
ألفيلسوف الكونيّ / عزيز الخزرجي.

---

(1) مثال لتوضيح الفرق بين العلم و المعرفة و الفلسفة؛
لو رآى دُخاناً من بعيد يحصل له (العلم), ثمّ تقرّب فبدى له آلنار فهي(المعرفة), ولو لمسَ النار فهو الفلسفة.

أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – آلأساس الأوّل

أساسات نظريّة ألمعرفة ـ ألأساس ألأول

مُميّزات و أبعاد النظريّة ألمعرفيّة ألكونيّة:

فلسفتنا الكونيّة إمتازت عن غيرها بدراستها المنهجية الشاملة لكل القضايا المتعلقة بالأسس الأثني عشر لنظرية (المعرفة), لهذا كان من الطبيعي أن تكون فلسفتنا آلكونيّة (ختام الفلسفة) في الوجود لخصوصيات عديدة في نظريتها المعرفية!

منذ بدء ألحضارة ألأنسانيّة سعى آلفلاسفة للوصول إلى تعريف معقول للمعرفة, فوصفها"أفلاطون" بأنها[إعتقاد مُبرّر و صحيح], مُشترطاً تحقّق ثلاث شروط في أطروحة ما و هي: أن تكون ألأطروحة؛ صحيحة؛ مُبرّرة؛ تشمل ألقضايا ألميتافيزيقيّة.

ثمّ قدّمتْ ألرّسالات ألسّماويّة تترا تعاريف عامّة تستبطن ألكثير من ألأسرار و آلمعارف, و تفرّد آلقرآن الكريم من بينها برؤية أوضح و أشمل و إن كانت متشابهة و متناثرة بين آلسّور, حيث لم يتمّ ألأعتناء بها و تنظيمها من قبل ألمفكرين كما كان مطلوباً لأستنباط أساسات و آفاق نظريّة المعرفة بإسلوب علميّ رصين.

ثم جاء دور فلاسفة عصر النهضة الأوربية كَـ "لوك" و "بيكون" و "هيوم" و إنتقدوا تعريف أفلاطون لعدم تقيّده بآلحسّ ألبشري, فعرّف "لوك" ألمعرفة بأنها؛ "إدراك ألصّلة و الموافقة أو ألللاموافقة بين آلأفكار", و إعتبر الأحساس إنعكاس للحواس, و حدّد لوك طرق المعرفة بـ : ألأدراك ألتلقائي؛ ألتعليمي؛ ألأحساسي.

لقد أتمّ "لوك" عمل "فرانسيس بيكون" في إرساء أهمّ أصول المنهج العلمي ألتجريبي, و أتى "ديفيد هيوم" أحد المعاصرين لـ"لوك" ليتم أصول ذلك آلمنهج ألفكري بآلخلاف ألشّهير ألذي وضعه مع مبدأ ألأدراك التلقائي, حيث إعتقد "هيوم" أن إدراك ألوجود غير مُمكن في ظل المبادئ ألتي أرساها "لوك" نفسه, إذ أن إستثناء إدراك هذا آلوجود من إشتراط وجود أدلة عليه غير مُبرّر.

أمّأ "برتراند راسل" ألذي هو آلآخر لم يتوصل إلى نتائج شاملة, و هو واحد من أهم فلاسفة ألقرن ألعشرين؛ فقد كتب عن هذه ألأشكالية قوله؛ [لسوء ألحظّ إنّ آلتوصل لتعريف للمعرفة هو أمرٌ بالغ الصعوبة], ويقسم راسل تبعاً لـ "كانت" ألمعرفة إلى قسمين؛ ألأول: معرفة الأشياء بإستخدام ألحواس, و آلثاني: معرفة آلحقائق و يتأتّى عن طريق ألأستنباط, و هو ما يفتقر إلى آلصحة ألمبدئية من الأساس, لكنه نشاط عقلي محض خاضع لقواعد العلم ألتجريبي و مستقلّ و رافض تماماً للميتافيزيقيا, لكن "راسل" الذي يُعتبر أشهر فلاسفة الألحاد في القرن العشرين إلى أن إدراك حقائق الكون العليا ممكناً عن طريق الأستنباط.

ألقاسم ألمشترك بين جميع آلفلاسفة هو إيمانهم بآلغيب و إن بدى الأنكار الظاهري على بعضهم, كل ما في الأمر هو إعتقادهم بإفتقار ألأستنباط إلى آلصحة المنطقية من آلأساس, إذ أنّ آلأستنباط ألتجريبي يقود إلى فرضيات أو "نظريّات" يحول بينها و بين إعتبارها"حقائق عليا", إن الموانع العديدة إلتي تحول بإستحالة ألأثبات الحسيّ و تنتهي بعدم القدرة على التعميم الكلي لهذه الفرضيات بآلنسبة للزمن و الأدراك.

كلّ ما يمكننا قوله على الرغم من كثرة البحث و آلتأليف خلال رحلة الحضارة إلى يومنا هذا هو؛ ألتعامل ألتجزيئي مع نظريّة ألمعرفة ألمتكاملة, حيث إفتقدت ألشمولية في جميع ألمدارس ألفلسفية ألتي تطرّق إليها

الفلاسفة, بمعنى عدم وجود تعريف متّفق عليه و حاسم حول آلموضوع, لهذا جاءتْ نظريّتنا لتُقدّم تعريفاً علمياً شاملاً للوجود و ما في هذا الوجود!

و تتضمّن نظريّـنا المعرفيّة : ألمفهوم ألفلسفي ألشامل و الموضوعي للعالم كأساس لفلسفتنا الكونيّة و منطلق لسائر ألأبحاث ألعلميّة و الماديّة و النفلسية و الروحية ألأخرى, لذلك بدونها لا يُعرف فساد أو صلاح أيّ فكر أو نظام أو كيان أو قضية أو قانون إجتماعي؛ سياسي؛ إقتصادي؛ تربوي؛ تعليمي؛ تكنولوجي؛ عسكري؛ حقوقي و غيرها, و هو آلمنطلق الأساس و ألصّحيح لبناء منظومة فلسفيّة علميّة متكاملة عن حقيقة ألحياة و آلكون و آلأنسان و آلقيم لضمان نجاح ألخطط ألخمسيّة و آلعشرينيّة و حتى ألقرنيّة لسلامة و إسعاد ألمجتمع و تطوّره و رقيّه.

لقد تكاملت (نظريّة المعرفة الكونيّة) بعد تفعيل ألعقل ألظاهر وآلباطن ألذي علينا معرفتهما و آلكشف عن قُدراتهما و أدوارهما في تفعيل قوانين (ألكَوانتوم) .. لكون معرفتها من آلمؤشرات ألأهم ألّتي تُميّز وجود آلأنسان ألعارف ألحكيم عن غيره, و مصاديقها ألعملية تبرز من خلال مدى آلعطاء ألذي يُقدّمه الباحث للناس.

و آلعطاء لا يأتي إلّا من أصحاب ألفكر و أهل **آلمعرفة المعرفة الكونية**, من هنا جاء تأكيدنا وإصرارنا على تأصيل و تفعيل نظرية **المعرفة في المجتمع من خلال النظام و المؤسسات المختلفة** كونها تمثل قمّة الثقافة و حصيلة الفكر ألأنساني و آلنهج ألأمثل للنهضة الحضاريّة و المدنيّة, و في ذلك فليتنافس ألمتنافسون .. كما حثّ آلقرآن ألكريم! لكون ألأنسان و بآلتّالي ألمجتمع لا يتطوّر تطوّراً حقيقيّاً و شاملاً .. بتفكيرٍ سقيمٍ أو ناقصٍ أو أنصاف حلول و ثرثرات و خُطب أو فرضيات و آمالٍ مبعثرة أو نظريّات عشائرية أو قوميّة أو عنصريّة أو طائفيّة أو حزبيّة أو ثقافات إلتقاطية غير متجانسة, و كما يحدث في الكثير من بلدان العالم و منها العراق.

إنّ التطور ألحقيقي و آلنهضة ألشّاملة تتحقّق .. حين يستند عملية التغيير بفعل آلهيئات ألمشرفة في المؤسسات التعليمية و الجامعية و كذلك المراكز و المساجد الدينيّة و آلمؤسسة آلأعلامية ألرّسميّة إلى نظريّة معرفيّة متكاملة ألأبعاد ضمن خططٍ ستراتيجيّة ترتبط بآلسّماوات العُلى عموديّاً و بآلأنسان أفقياً و بآلطبيعة من كلّ آلجهات, لنُؤمّن إنتاج العلم و ألوعي ألمعرفيّ و آلتنمية ألعلميّة على جميع الأصعدة و الأختصاصات ليبدأ السير و البناء بحزمٍ و أطمئنان و حكمةٍ على أسس ثابتة و قواعد صائبةٍ نحو أهدافٍ و غاياتٍ شريفةٍ كبرى مشخصة للتخلص من آلأستغلال و هيمنة ألحكومات و ظلم ألمتسلطين في (المنظمة الأقتصادية).

و لأنّ **نظريّة ألمعرفة** تهدف, أوّلاً؛ تحقيق ألكمال ألرّوحيّ والأخلاقي لنباء الأنسان و آلسّلامة ألعامّة في شخصيّة ألفرد و آلرّوابط ألأجتماعيّة ككل, لكون فلسفتنا تؤكّد على تحقيق إصالة و سلامة ألفرد أولاً ثمّ آلمجتمع و الناس ثانياً, على حدٍّ سواء تتصدّر "ألنّظريّة" كغاية و تتقدّم على كلّ ألأوليات ألأخرى لتأمين و ضبط ألمسيرة ألأنسانية إلى آلحقّ خلال عمليّة ألبناء و آلكدح بإطارٍ يكتنفه آلمحبة و آلعشق و آلأنسجام و التواضع, مع نبذ و محو ألتكبر و آلعلوّ و آلجدل و آلفساد و آلفرقة و آلخصام و آلحرب ألتي تغيير الأقدار نحو الفساد و الفناء.

إن الوصول إلى الكمال و تحقيق "الآدمية" في وجود البشر هو نفس مفهوم "خليفة الله" في الأرض, لأنّ الخلافة الألهيّة لا تتسنّى إلّا في الأنسان ألكامل, و المعرفة الكاملة لا تتجسد إلّا في وجود الأنسان ألحكيم, و هي الحالة التي يكون فيه آلآدمي مرتبطاً بمنبع الفيض الألهي, فيكون رأيه هو الأمثل, لأنه لا يكون إلّا عن دراية و حكمة و علم, فمن أخلص لله أربعين صباحاً جرت الحكمة من قلبه على لسانه, بل تتمثل صفات الله تعالى - سوى الذاتية - في وجوده بكل تفصيل .

و سنشير في هذا آلأساس .. بعد بيان التعريفات و المقدمات اللازمة؛ إلى دور نظريّة **ألمعرفة** في تطوّر ألمجتمع و سلامته من الأمراض و آلعاهات و ترشيد ألقوانين و آلأقتصاد و آلتنمية و إنتخاب ألأفاضل بدل آلأراذل في آلحكم و مستقبل ألبشريّة على ضوء **نظرية المعرفة**.

ألفرق بين آلعلم و آلمعرفة و آلفلسفة:
يتداخل معنى و مفهوم (ألمعرفة و العلم و الفلسفة) فيما بينها, فجميعها مرادفة لحقيقة واحدة و معنى مشترك يُعَبّر عنه بآلثقافة أو ألفكر أو ألآيدلوجية التي عادةً ما يؤمن بها الأنسان في وجوده و تعامله مع الله و الطبيعة و الأنسان, فبدون آلفكر لا يبقى من الأنسان سوى كومة من آللحم و آلعظم و آلعروق!

هناك تمايزٌ من بعض الوجوه بين العلم و المعرفة و الفلسفة, لذلك سنُبين بعض التفاصيل كي يكون القا رئ على بينة من الموضوع كمقدمة للدخول في تفاصيل (النظرية) التي هدفها هو الأنتاج العلمي – ألمعرفي – ألفلسفي.

آلعلم: هو من عَلِمَ ألشيئ, بمعنى عرفه, و قد عرّفه "التهتاوي" في كشافة ألعلم بآلقول؛ إنّهُ – أيّ ألعلم - معنىً من معاني ألمعرفة, فقال:
[و منها أيّ"ألمعرفة" ألعلم مُطلقاً, تصوراً كان أو تصديقاً].
و من هنا يستعمل ألمتكلمون في تعريف "ألعلم" كلمة ألمعرفة فيقول "ألباقلاني" في تعريف المعرفة:
[معرفة المعلوم على ما هو به].
و "للجويني" تعريف آخر يقول فيه:
[ألعلم عقدٌ يتعلّق بآلمعتقد على ما هو به].
أما "إبن منظور" فيعرّفه في لسان ألعرب بآلقول:
[ألعلم هو العرفان].
أما آلدكتور"صليبا" فقد قال بآلعموم و آلخصوص و آلأحاطة في الأدراك و عدمه و قد قدّم آلتعريف التالي:
[ألمعرفة؛ إدراك الجزئي, و العلم إدراك الكلي, و أن المعرفة تستعمل في التصورات و العلم في آلتصديقات, و لذلك تقول؛ عرفتُ الله دون علمته, لأن من شرط العلم أن يكون مُحيطاً بأحوال ألمعلوم إحاطة تامة, و من أجل ذلك وصف الله بآلعلم لا بآلمعرفة, فآلمعرفة أقلّ من العلم, لأنّ للعلم شروطاً لا تتوافر في كل معرفة, فكلّ علمٍ معرفة, و ليستْ كل معرفة علماً].
و يمكننا القول بأن آلعلم عبارة عن مجموعة معارف, و المعرفة جزء من العلم.

أمّا **آلمعرفة:** فأنّ ألعلماء و آلمحدّثين جعلوا له أربعة معانٍ:
ألأوّل: ألفعل الذي به يتم حصول صورة الشيئ في الذهن سواءاً كان حصولها مصحوباً بآلأنفعال أو غير مصحوباً به.
ألثّاني: ألفعل العقلي ألذي يتمّ به النفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهم الحقيقة.
ألثّالث: مضمون ألمعرفة بآلمعنى ألأول.
ألرابع: مضمون المعرفة بآلمعنى ألثاني.
و يعتقد ألبعض بأنّ **نظريّة ألمعرفة؛** هي آلتي تعني بطبيعة ألمعرفة و ماهيّتها و مصادرها و موانعها و شرائطها و قيمتها و وسائلها و يعبر عنها بـ (ألأيبستيمولوجي), و يذهب البعض إلى أنّها قسم من علم آلنفس ألنظري ألذي يصعب فيه الأستغناء عن علم ما بعد الطبيعة (ألميتافيزيقيا), لأنّ غرضه آلبحث عن المبادئ ألتي يفترضها الفكر متقدمة على الفكر نفسه, و معنى ذلك:
(أنّ نظرية المعرفة: هي البحث في المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة بين آلذّات المدركة و الموضوع

ألمدرك, أو بين العرف و المعروف) تحتاج لمعرفة دقيقة مع دراسة ما يتعلق و ما يحيد به .

أمّا وجه التباين بين **ألفلسفة و آلمعرفة**, فهناك أيضاً تداخل بينهما فآلمعرفة كلية بآلقياس مع الفلسفة التي تبحث في (آلنانويّة ألثقافيّة لتعريف المُكتشف بدقة .. ليكون المعرفة متقدمة على العلم في بعض التفاصيل, و آلسّؤآل ألذي يطرح نفسه هنا هو؛
هلْ أنّ ألفلسفة تتقدّم على **نظريّة المعرفة** أم إنها تأتي بعدها, أم تسيران بمستوى واحد, لكون البعض عرّفها " بـ :"ألتّفكير في آلتّفكير", أي آلتّفكير في طبيعة ألتفكير و التأمل و التدبّر, و هي عموماً محاولات للأجابة على الأسئلة الأساسية ألمصيرية ألتي يطرحها آلأنسان عن آلوجود و الكون و آلأنسان نفسه, و الأصل الكوني توصل .. بكون الفلسفة تتقدم على المعرفة و المعرفة تتقدم على العلم في الكثير من تفاصيله!

و آلفلسفة: في أصلها كلمة يونانيّة مركبة من جزأين"فيلو" بمعنى حُبّ و "سوفيا" بمعنى"حكمة"(1) و تعني في الأصل اليوناني"حُبّ الحكمة", و ليس إمتلاكها, و يعتبر ألفيلسوف اليوناني"فيثاغورس" أول من إستخدم لفظ "فلسفة" و حدّد معناه, و في العصر الحديث يستخدم كلمة الفلسفة للأشارة إلى السعي وراء تحصيل المعرفة بخصوص مسائل جوهرية و عقدية في حياة الأنسان؛ كآلموت و الحياة و الواقع و المعاني و الحقيقة و أصل الوجود و سبب خلق الأنسان, كما تشير بداهة إلى ما أنتجه كبار الفلاسفة في التأريخ.
إنّ آلفلسفة هي ركن أساسيّ من حضارة كلّ أمة, و لهذا لا يُمكن تنسيبها لزمانٍ أو مكانٍ معينٍ, و آلسؤآل؛ "ما آلفلسفة؟"
لا يقبل إجابة واحدة, كما أنّ في فترة من فترات التأريخ إتخذت الفلسفة شكلاً و منحىً معيناً متأثرة بعوامل عديدة في مقدمتها مسألة الوحي و الرسالات السماوية و نتاج العقل الأنساني على مختلف الاصعدة.

أمّا وجه التباين بين **ألفلسفة و آلمعرفة**, فهناك أيضاً تداخل بينهما, فآلمعرفة كلية بآلقياس مع الفلسفة التي تبحث في (آلنانويّة ألثقافيّة لتعريف المُكتشف بدقة .. ليكون المعرفة متقدمة على العلم في بعض التفاصيل, و آلسّؤآل ألذي يطرح نفسه هنا هو؛
هلْ أنّ ألفلسفة تتقدّم على **نظريّة المعرفة** أم إنها تأتي بعدها, أم تسيران بمستوى واحد, لكون البعض عرّفها – أي المعرفة : بـ "ألتّفكير في آلتّفكير", أيّ آلتّفكير في طبيعة ألتفكير و التأمل و التدبّر, و هي عموماً محاولات للأجابة على الأسئلة الأساسيّة ألمصيريّة ألتي يطرحها آلأنسان عن آلوجود و الكون و آلأنسان نفسه, و الأصل الكوني توصل .. بكون الفلسفة تتقدم على المعرفة و المعرفة تتقدم على العلم في الكثير من تفاصيله!

و يمكننا تلخيص و تحديد مباحث ألمعرفة في ألفلسفة الكونيّة بالتالي:
أصل الكون و جوهره,
ألخالق (الصانع) و التساؤل عن وجوده و علاقته بآلمخلوق,
صفات ألخالق (ألصّانع), و هل هي صفات أزليّة أم حادثة؟
لماذا خلق الله الكون و آلأنسان؟
و هل القرآن مخلوق أم أزلي؟
و من أين؟
و مع من أتى؟
و لماذا أتى(هبط)؟
و إلى أين يعود؟
و كيف يعود؟
ألعقل و أسس ألتفكير ألسّليم,

ألأرادة الحرة و وجودها,
ما هي الكرامة و قيمتها؟
و هل تستحق أن نعيش هذه الحياة؟

و أخيراً ما ألهدف من الحياة؟ وما منهج ألعيش السليم لتحقيق آلغاية من وجودنا عبر الخلافة الألهيّة في الأرض في حال إيماننا بوجود الخالق المطلق؟

لقد إختلفت الأجابات عن تلك الأسئلة الكبيرة و المصيرية بإختلاف المدارس الفلسفية ألعديدة التي ظهرت عبر التأريخ عددها 15 مدرسة فلسفية؛ كآلفلسفة ألسفسطائية و المدرسة المادية ألديالكتيكية و الفلسفة اللاهوتية و الفلسفة الوجودية و الفلسفة الأسلامية و غيرها, أما المدرسة الرأسماليّة فلا يمكننا إعتبارها من المدارس الفلسفية لعدم وجود رؤية فلسفية واضحة لها قبال مسائل الوجود.

إن ما يهمنا في آلفلسفة و ما يرتبط بموضوعنا **"نظرية المعرفة"** هو دور الفلسفة في تجديد الفكر ألأنسانيّ - الأسلاميّ و إحيائه, و هل يمكن للفكر الأسلامي أن يرتقي ليكون فكراً عالميّاً – كونيّاً - ليتم الأفادة منه و التفاعل بين المحلي و الكوني؟
فآلذي يُحقّق ألعالميّة ألأسلاميّة و أفضليّة نظامه؛ هو إعادة قراءة تأريخ الفلسفة قراءة تعيد إلى مختلف ألحضارات و مختلف الفترات ألتأريخية ألمنسية .. قدرها من الإسهام في هذا التأريخ, و هذا يحتاج لمجال واسع و عقلية منفتحة و صبر مقاوم.

كما لا يمكننا إعتبار منجزات ألتأريخ المعاصر مُلكاً خاصّاً بآلغرب أو الشرق, فعلى رغم العداء التقليدي ألتأريخي ألذي تحكمت فيه ظروف و مصالح معينة؛ فأنّ معركتنا مع الغرب لا ينبغي أن تجعلنا نتغاضى عن أهمية المشروع ألمدني و ربما الحضاري في كلا الجانبين و شموليته, و بآلتالي عدم خسارتنا للمكاسب التأريخية على جميع المستويات, و هو الأمر الذي سيتيح لنا إنخراطاً و تفاعلاً أفضل مع العالم و مع التأريخ و بآلتالي تحقيق خطوات إيجابية بإتجاه تزاوج الحضارات و توحيدها .. بدلاً من تنافرها و إقتتالها كما يدعي ذلك فوكوياما, و هذا ما شرّعه و أكدّه قادة الثورة الأسلامية المعاصرة (قدس)(2).

من هنا فمشروع الفلسفة آلكونيّة هو ركن أساسيّ من المشروع الحضاري ألّذي يتوخّى بدرجات متفاوتة رفع رهان الحداثة و الخروج من التقوقع و المصالح الطبقاتيّة و توسيع مجال السؤآل الفلسفيّ ألمنفتح و آلمُتجدّد, كما أنّ نظريّة ألمعرفة تسعى إلى قراءة شاملة و تجديديّة للتراث ألأسلاميّ و إقحامه في آلحياة الأجتماعيّة عبر نظام ألحكم, و آلتأقلم مع عصر ألعقل و آلتكنولوجيا, و من أقوى رهانات الفلسفة الأسلامية أليوم – خصوصاً – بعد إنتصار الثورة الأسلامية و وقوفها أمام ظلم المستكبرين؛ هو محاولة تحديد ألبنى ألفكريّة من أدوات و أجهزة نظريّة و أقلمتها مع الواقع الأجتماعيّ بحيث يتحقق ألتوصل إلى علاقة إرتباطيّة بين الأبحاث العلميّة و أهدافها ألتي يُمكن أن تتحول إلى مشاريع تؤدي إلى تغيير معالم المجتمع الأنساني المُكبل بأنواع البلايا و المحن, إننا بحاجة آليوم إلى ترشيد التدبير و عقلنة المؤسسات و ترسيخ قيم إجتماعيّة - كونيّة في مختلف القطاعات و تنمية العنصر البشري و تأهيله ليكون قادراً على تحدّي رهانات الحداثة و التخطيط لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع في عصرنا هذا و في المستقبل, و هذا آلأمر هو من صلب عمل الفيلسوف ألذي أزالَ عن عقله قشرة الأفكار ألهشة و التقليد الأعمى ليحل محله ألبنى آلأساسية المعرفيّة بشكل كامل و واضح من خلال إيمانه بنسق كونيّ من المفاهيم و الأفكار ألتي يعتقد أنها ستدفع المجتمع إلى الأمام و ستسهم في تطوير الحياة و تخفف معاناة الأنسان و تلغي الطبقية وإستغلاله و إضطهاده و تدفع عجلة التنمية على جميع الأصعدة و تضيف خطوات جديدة في رحلة أنسنة الأنسان عبر التأريخ لإيصاله إلى درجة الآدميّة.

إنه بإمكان الفيلسوف الكوني الذي يقترب من العارف الحكيم في تقريراته (3) أن يتحصّل على مفاهيم و معارف و وجهات نظر جيّدةٍ و مفيدةٍ للمجتمع؛ لكنّه قد يؤثر ألدّعة و آلرّاحة و لزوم ألبيت و آلأهتمام بشؤونه ألخاصّة خوفاً من الأصطدام بسلطة ألمجتمع و آلدولة .. فهذا مفكرٌ يحمل رسالة لنفسه تماماً كما كان بعض الأنبياء ألمرسلين ألّذين حملوا شرائع لأنفسهم و لم يؤمروا بتبليغها للناس.

أمّا المفكر الهادف ألذي يجد لزاماً عليه أن يبلغ ما يعلم و يقدم آلنقد العلمي للأوضاع ألأجتماعية و السياسية و الأقتصادية و الآيدلوجية ألسائدة في المجتمع مع البديل الأمثل لها, و قد يُقدم نفسه قرباناً كي يقنع الناس بصحة فكره و نظريته, و في التأريخ أمثلة كثيرة نذكر منها ألأمام الحسين بن علي(ع) و كذا آلحسين بن منصر الحلاج و غاليلو ألذي خالف الكنيسة و تبنى نظرية علمية حول دوران الأرض حول الشمس و ان الأرض ليست مركز الكون, و كان بآلأمكان أن يجلس في منزله مرتاحاً و يتطلع إلى رجال الدين و إحتكارهم للمعرفة و قيادة الناس و توجيههم و إستغلالهم .. لكن إنسانيته ألمرهفة و فكره ألناضج أبى عليه إلا أن يُبين الحقيقة و يدفع حياته ثمناً لها فكان شهيد العلم في عصره!
و كذلك الأمام الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) لم يكتفي بتقديم اطروحاته الفلسفية القيمة, بل قدّم نفسه قرباناً ليثبت للعالم صحّة عقيدته و تفانيه و صدقه لمبادئه السّماوية العليا.
لقد شهدت الفلسفة تطورات عديدة و مهمة, فمن الأغريق الذين أسسوا قواعد الفلسفة ألأساسية كعلم يحاول بناء نظرة شمولية للكون ضمن إطار النظرة الواقعية؛ ثمّ إلى الفلاسفة المسلمين ألذين تفاعلوا مع الأرث اليوناني و أدمجوه مع التجربة آلأسلامية لتتحول تلك الفلسفة من الواقعية إلى فلسفة إسميّة ثم إلى فلسفة العلم و التجربة في عصر النهضة ثمّ الفلسفة الوجودية و آلأنسانية, ثمّ مذهب الفلسفة الحداثي فنظرية المعرفة ثمّ أخيراً فلسفة ما بعد الحداثة و العدمية.

و خلاصة القول فيما يتعلق **بآلمعرفة** و الفلسفة هو أن المعرفة تتقدّم على الفلسفة من حيث ألأحاطة و الشمولية, فآلمعرفة حين تتأطر ضمن نظريّة متكاملة في الوجود تشمل بشكل طبيعي مجموعة من التعاريف و الموضوعات التي تخص آلحياة و الوجود, من هنا سوف نعرف نظرية المعرفة و أبعادها.

تعريف نظريّة ألمعرفة:
نظرية المعرفة(ألأيبستمولوجي) Epistemology كلمة مؤلفة من جمع كلمتين يونانيتين؛
لوكُو Logos بمعنى حديث, نقد, دراسة.
إيبستمي Episteme بمعنى علم.
فهي إذن دراسة العلوم ألنقدية, فآلمعرفة هي؛ فلسفة العلوم, و تختلف عن علم مناهج العلوم(ألميثولوجيا), لأن ألأيبيتمولوجيا تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم و فروضها و نتائجها لتحديد أصلها المنطقي و بيان قيمتها, كما أن نظرية المعرفة تدرس وسائل إنتاج ألمعرفة, كما تهتم بآلشكوك حول إدّعاآت المعرفة ألمختلفة مثل:
هل لمعرفتنا حدود؟
ماهية المعرفة؟
و كيفة الحصول عليها؟
و آلياتها؟
و ما يمكن معرفته؟
و غيرها.

و ينقسم الأيبستمولوجي إلى:
ألفلسفة الوضعية؛ Positivism و هي فلسفة تعتمد على الأرقام لأن الأرقام لا تكذب بنظرهم.
ألفلسفة التفسيرية؛ Interpretivism أو ألفينومولوجيا Phenomenology و هي فلسفة تعتمد على الشرح.
ألفلسفة الواقعية؛ Realism و هي فلسفة تقع بين الفلسفة الوضعية و التفسيرية.
و من أشهر فلاسفة العلم؛ غاستون باشلر, كارل بوير, ألكسندر كواري, بول فيرابند., و فوكوياما و غيرهم.
أما التفسير ألأصطلاحي للمعرفة؛ فأنّ مصدرها (عرف يعرف) و هي عكس الجهل, و تطلق على كل معلوم أو تصور وصل إلى إدراك الأنسان كآلمشاعر أو الحقائق أو آلأوهام أو الأفكار ألتي قد تُساهم في معرفة المحيط من حوله و كيفية التعامل معها.
و المعرفة؛ من عرف الشيئ؛ أدركه بآلحواس أو بغيرها, و المعرفة إدراك ألأشياء و تصورها, و لها عند القدماء عدّة معان منها؛
إدراك آلشيئ بإحدى الحواس.
أو بآلعلم مطلقاً, تصوراً كان أو تصديقاً.
أو إدراك الجزئي, سواءاً كان مفهوماً جزئياً أو حكماً جزئياً, و منها إدراك ألجزئي عن دليل, و منها ألأدراك الذي هو بعد الجهل.
كما يُمكن تعريفها بأنها مجموعة من المعاني و آلمفاهيم و المعتقدات و الأحكام و آلتصورات الفكرية ألتي تتكون لدى آلأنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر و الأشياء ألمحيطة, و يطلق لفظ "ألمعرفة" عند المحدثين على أربع معان:
ألأول: ألفعل العقلي ألذي يتم به حصول صورة الشيئ في الذهن.
نظريّة (Epistemology) هي أحد فروع ألفلسفة ألتي تبحث في أصل و بنية و مناهج ألمعرفة.
ألمعرفة(ألأيبستمولوجي)
و آلتي تضمّ نتاج ألنظريات الفلسفيّة في إطار نظريّة معرفيّة متكاملة, و من هنا يأتي تداخل ألفلسفة مع نظريّة ألمعرفة
و آلذي يظهر من موضوعاتها:
كيف نعرف؟
و ماذا علينا أن نعرف؟
و ما درجة موثوقية المعرفة؟
و ما هي آليات المعرفة؟
ثم ما أهميّة و دور نظرية المعرفة في تطور المجتمع و سعادته؟
حيث تحتاج ألأجابات إلى إثباتات فلسفية تتداخل في إطار النظرية المعرفية.
يرى "كولبة" بأنّ مصطلح نظرية ألمعرفة يطلق و يراد منه أحد معنيين؛
معنى عاماً؛ و يراد به العلم ألذي يبحث في مادة العلم الأنساني و مبادئه الصورية.
معنى خاصاً؛ و يراد به العلم الذي يبحث في المعـرفة من حيث مبادئـــها المادية.
و عليه فآلمعنى آلواسع لهذا المصطلح يشمل كلّ البحوث الفلسفية ألهامة ألتي تتعلق بظاهرة المعرفة مثل المنطق و علم النفس و علم وظائف ألأعضاء و علم الأجتماع و التأريخ و ميتافيزيقيا المعرفة, أما المعنى ألضيّق فَيُراد به ألعلم الذي يبحث في ماهيّة ألمعرفة و مبادئها و مصدرها و منابعها و شروطها و نطاقها و حدودها.
ألكثير من الأكاديميين يُوعزون أصل نظريّة ألمعرفة و بداياتها إلى "ديكارت"(1595-1650), و آخرون يَرون "جون لوك"(1632-1704م) هو آلمُؤسس لمبادئ **نظريّة المعرفة**, تلك المبادئ ألتي ما زالت فاعلة حتى في العصر ألحديث, أمّا البعض الآخر فيقولون بأنّ الميلاد الرسمي لأسس نظريّة ألمعرفة كان مع ظهور المشروع "ألكانتي" نسبة إلى آلفيلسوف "كانت"(1724-1804م) لنقد العقل, إلّا أنّه هناك إجماع بأنّ

نظرية المعرفة ظهرتْ في الفلسفة الحديثة, و أنّ تحليل المعرفة ألأنسانية في شتّى نواحيها يوشك أن يكون هو الشغل الشاغل للفلسفة منذ بدايات القرن السابع عشر أي منذ بدايات النهضة الأوربية.

على أي حال فأنّ مصطلح **"نظريّة ألمعرفة"** لم يُعرف إلّا في وقتٍ مُتأخرٍ عليه عام 1862م عند "تسلر" و ذلك في كتابه(أهمية نظريّة ألمعرفة و وظيفتها), و بعض ألباحثين يرى أنّ هذا المصطلح ظهر على يد "رينهد" عام 1832م في كتابه؛ (نظريّة ملكة ألمعرفة ألأنسانية و آلميتافيزيقيا).
أمّا في الجانب الأسلاميّ في الشرق؛ فبآلرعم من آلأشارات القرآنية الواضحة لمسألة **المعرفة** إلّا أنّ العلماء لم ينتبهوا للأمر إلا خلال القرن الماضي بسبب تخلف المناهج الحوزوية و النهج التقليدي في التعاطي مع أصول الدين و فروعه خصوصاً في آلمدرسة ألنجفيّة .. فكان آلشيخ جعفر سبحاني و الشهيد مرتضى مطهري و الشهيد محمد باقر الصدر و الدكتور علي شريعتي و آلأمام الخميني(قدس) و الشيخ محمّد تقي ألجعفري و جواد الآملي هم أوّل من نظّروا لوضع أساسات آلنظرية المعرفية الأسلاميّة بما يتناسب مع تطلعات الأنسان في عصرنا هذا, و قد سبقهم الأمام الخميني بتطبيقه لتلك النظرية على أرض الواقع من خلال نظام ألجمهورية الاسلامية, و كان آلأمام الفيلسوف الصدر ألأكثر ألقرين ألذي بيّن بقلمه العملاق أسس و شكل الحكومة في تلك الجمهورية كنظام إسلامي عصري, و قال قولته المشهور؛ [لقد حقّق الأمام الخميني حلم جميع الأنبياء].
لقد صنّف الفيلسوف الصدر(قدس) نظرية المعرفة بإختصار إلى ثلاثة مدارس في كتاب (فلسفتنا):
ألأول: ألمذهب التجريبي؛ أو "ألواقعي" و هو المذهب الذي يُرجعْ ألمعارف جميعها إلى التجربة أو الواقع, و ينظر إلى العقل على أنه مرآة تعكس الحقائق ألخارجية عن طريق الحواس.
ألثاني: ألمذهب العقلي؛ و هو آلذي يُرجع المعارف كلّها إلى العقل بإعتباره ألأداة لكل معرفة.
ألثالث: ألمذهب ألنقدي؛ و هو مذهب توفيقي بين المذهبين السابقين, و يرى أنّ العقل يشارك الحس و مدركاته ألحسية في الحصول على المعرفة.
و يُمكننا إضافة **ألمذهب الأسلامي** كمذهب ثالث بجانب ذلك, حيث يعتمد على عامل الغيب(ألوحي) و آلألهام(ألأشراق) بجانب العوامل الآنفة ألذكر.
و قد طرح الأمام الصدر (قدس) رؤيته الجديدة من خلال مباحثه القيمة حين عرض ألمذاهب الفلسفية و موقفها من المعرفة تمهيداً لطرح رؤيته الجديدة ألمتميزة في موضوع المعرفة و يقينيتها, بعد آلتأكيد على أهمية نظرية المعرفة و الأهتمام بها في أكثر من مصدر علمي و أطروحة, بحيث شكلت مرتكزاً في الفكر الجديد ألذي طرحه حول معرفة الكون و كل ما يتعلق به خلال النصف الثاني من القرن الماضي.
يقول ألأمام الفيلسوف الصدر(قدس)؛ [تدور حول المعرفة الأنسانية مناقشات فلسفية حادة تحتل مركزاً رئيسياً في الفلسفة و خاصة ألفلسفة الحديثة, فهي نقطة الأنطلاق الفلسفي لأقامة فلسفة متماسكة عن الكون و العالم, و ما لم يُحدد مصادر الفكر البشري و مقايسه و قيمه لا يُمكن ألقيام بأية دراسة مهما كان لونها].

و في نصّ آخر له (قدس) يقول؛ [مفاهيم كلّ مبدأ عن آلحياة و الكون تُشكل ألبُنية الأساسيّة لكيان ذلك المبدأ, و الميزان الأول لأمتحان ألمبادئ هو إختيار قواعدها الفكرية ألأساسية ألتي يتوقف على مدى أحكامها و صحتها إحكامم ألبناآت ألفوقية و نجاحها].
و نفهم من هذين النّصين .. أنّ آلأيمان بآلمعرفة و آلثقة فيها كأساس و خارطة طريق للعلم ألأساسي أو البنية الأولى – بحسب تقرير الأمام الصدر - ضرورة مُلزمة لأيّ كيانٍ فكريّ يتوخى إقامة نظام إجتماعيّ ضمن فلسفة آلكون و آلأنسان و خالقهما, خصوصاً و أنّ الحاجة لتلك الدراسة ظهرتْ أشدّ ما يكون بعد أنْ ظهرتْ ألنزعات ألماديّة في آلفلسفة الأوربيّة ألحديثة ألتي أنكر كثيرٌ من أصحابها ما وراء المادة, و إتّخذوا من آلشك منهجاً و طريقاً للتعامل مع المبادئ الغيبية بعد أن شاعت تلك الأفكار في الثقافة و الفنون و آلآداب, بل و في

الدين أيضاً, بآلرغم من أن الأنسان بعقله ألسليم و فطرته الصحيحة لا يحتاج إلى عميق إستدلال ليؤمن بآلله و بوجوده و وحدانيته في صنعه و خلقه, يقول الفيلسوف الصدر(قدس):

[ألفكر الحديث منذ قرنين من الزمن لم تترك هذا الوجدان طليقاً و صافياً, و من هنا إحتاج الأستدلال بآلنسبة إلى من كان مُلمّاً بآلفكر ألحديث و مناهجه في البحث .. إلى تعميق و ملء ألفرآغات ألتي كان ألأستدلال الأبسط و آلأبده يترك ملأها للوجدان الطليق].
فآلحاجة لذلك ماسّة لصياغة دليل يبنى على منهج قريب من الحياة اليومية للفرد – تلك الحياة الزاخرة بآلاستدلالات الكثيرة لأثبات العديد من الحقائق, و يرى الصدر(قدس) إن المنهج المستخدم لأثبات حقائق الحياة اليومية هو المنهج الذي يتلقى معه منهج الأستدلال المقترح على الصانع ألحكيم, لأن منهج الأستدلال على وجود الصانع الحكيم هو نفسه المنهج ألذي نستخدمه عادةً لأثبات حقائق الحياة اليومية, و الحقائق العلمية و الكونية, فما دمنا نثق به لأثبات هذه الحقائق ؛ فمن الضروري أن نثق به بصورة مماثلة لأثبات الصانع ألحكيم ألذي هو أسّ ألأساسات في نظرية المعرفة الأسلامية و آلذي تدور حوله جميع تلك الحقائق.
من المنطلقات ألأساسية أعلاه جاءتْ عناية الشهيد الصدر(قدس) **بنظريّة ألمعرفة** أو آلمفهوم ألفلسفيّ للعالم(4).

نظريّة ألمعرفة (ألأبيستمولوجي)(5) عند كلّ إنسانٍ ينطلق من معتقداته الأصلية و آلمرجعيّة الفكريّة خصوصاً ألدّينيّة و المذهبيّة ألتي يؤمن بها, فلو كان مفكّراً ماديّاً لا يُؤمن بغير ألطبيعة ؛ فأنّ المعرفة الحسّيّة عنده هي المصدر الوحيد لمعارفه, أما لو كان مُفكّراً ربّانيّاً و يُؤمن بآلله كأصل في هذا الوجود فأنّ آراءه و قوانينه تستند على المعرفة الغيبيّة من خلال النصوص ألمُقدسة بجانب آلعلل و المعلولات التي منشأ قوانينها هي الاخرى من الله تعالى, و هكذا يختلف آلأمر مع آلفلاسفة و العرفاء و غيرهم كما يختلف آلأمر فيما بين المتعصبيّن المذهبيين و المقلّديّن ألطوباويّين بحسب معتقداتهم و مشاربهم.

إذاً صاحب **النظرية المعرفية** هو العارف ألمثقف بفروع معرفية و مجالات فكرية متعددة تشترك في جوانب معينة, و تضم القوانين الكمية و آلأستدلالات العلمية, و يتم إكتساب تلك المعرفة عن طريق ألملاحظة و آلتجربة و تُبوّب و تُوضّح على شكل قواعد و قوانين و مبادئ و نظريات و فروض.

و تعريف (ألثقافة) عند آلمفكريين هو؛ [ما يبقى في آلذّهن بعد أن ننسى كلّ شيئ] , بحسب تعريف "إدوارد هريو", أيّ ما يبقى في اللاوعي, يوجه ألعقل في نشاطه إن إكتساباً أو إنتاجاً و يُحدد للأنسان سلوكه فعلاً كان أو إنفعالاً, لذلك فآلذي يتثقّف على نظريّة معرفيّة يتأصل بداخله جذور تلك النظريّة, و من الصعب جدّاً تغيير قناعاته, لذلك نوصي الذين يتباحثون مع أهل العرفان والفلسفة أنْ يأخذوا بنظر الأعتبار ألجذور ألفكرية التي آمن و إحتكم إليها المُحاور في البحث كمرجعيّة فكريّة له, و بآلمقابل عرض وجهة نظرنا بسهولة و يسر و من دون تجريح, مع أعلان إحترامنا لآراء المقابل كي نترك في وجوده أثراً طيّباً.
أمّا ألمباحث ألرّئيسية لنظريّة ألمعرفة فهي معرفة ألأنسان .. ثم خالق ألأنسان .. ثم آلوجود.

معالم نظريّة ألمعرفة في آلفكر ألأسلاميّ:
لأجل التعرف على تفاصيل نظرية المعرفة الأسلاميّة لا بُدّ من تناولها في القرآن و في كتب الفلاسفة و المتكلمين و الأصوليين على حدٍّ سواء, فآلفلاسفة المسلمون بحثوها متأثرين بفلاسفة اليونان – ضمن مباحثهم في النفس و آلميتافيزيقيا و آلمنطق, أما المتكلمين و من ثمّ الأصوليين فقد أفردوا لها مباحث مستقلة تبوّأتْ مكان ألصدارة في كتبهم منذ كتاب التمهيد للباقلاني(ت403هـ), كما أن رسالة ألحارث بن أسد المحاسبي(ت256هـ) في العقل هي أقدم تأريخاً من رسالتي ألكندي(ت252-256هـ) أللتين خصّصتا لشرح

آراء أرسطو في العقل, علماً أنّ الفكر الفلسفيّ الأسلاميّ تداخلت فيه و إمتزجت عناصر علم الكلام و آلفلسفة منذ آلبواكير الأولى للفلسفة, مشخّصةً في الفيلسوف ألمسلم ألفارابي و ألكندي و علاقته بآلمعتزلة صلةً و تفلسفاً(6).

أسس نظريّة ألمعرفة ألأسلامية تبدأ بـ:

ألأدراك؛ و هو على قسمين:

ألأول: ألتّصــوّر؛

ألثاني: ألتّصديق؛

ألتصور؛ هو وجود الشيئ في مداركنا ألعقلية و هو لا يُبرهن – إذا جُرّد عن كلّ إضافة – على وجود الشيئ موضوعياً خارج الأدراك, و إنّما آلذي يملك خاصيّة ألكشف ألذاتي عن ألواقع ألموضوعي؛ هو التصديق أو ألمعرفة التصديقية حسب قول أستاذنا ألشهيد ألفيلسوف ألصدر(قدس), أما التصديق فمردّها إلى معارف أساسية ضرورية, لا يُمكن إثبات ضرورتها بدليل البرهنة على صحتها و أنّما يشعر العقل بضرورة التسليم و آلأعتقاد بصحتها كمبدأ ألعلية أو ألمبادئ ألرياضية ألأولية .. و هي الأضواء العقلية الأولى, و على هداها تُقام سائر المعارف و آلتصديقات و كلّما كان الفكر أدقّ في تطبيق تلك الأضواء و تسليطها كان أبعد عن آلخطأ, فقيمة ألمعرفة تتبع مقدار إرتكازها على تلك الأسس, لذلك يُمكننا إستحصال معارف صحيحة في كل من الميتافيزيقيا و الرياضيات و آلطبيعيات على ضوء تلك الأسس, و العلوم ألطبيعية تحتاج إلى التجربة, أمّا ألميتافيزيقيا فلا تحتاج إلى التجربة الخارجية, بل نتائج ألأتجاهين قطعية في الغالب.

أنّ مردّ ألمعارف ألتصديقية جميعاً إلى معارف أساسية ضرورية, لا يُمكن إثبات ضرورتها بدليل, أو البرهنة على صحتها, و إنّما يشعر العقل بضرورة التسليم و آلأعتقاد بصحتها, و قد أشار الباري تعالى إلى ضرورة الأحتكام إلى العقل حيث أورد القرآن الكريم أكثر من خمسين آية تحث الناس على آلتعقل و أستخدام العقل كميزان في المعرفة و آلكشف عن الحقائق و المجاهيل, لقد توّج القرآن الكريم ألمعرفة ألتامّة بـ "عين اليقين" ثم "علم اليقين" ثمّ "حقّ اليقين" على التوالي.

ألمتأمل لآيات القرآن الكريم يُلاحظ بأن الباري تعالى يُؤكد دائماً على ضرورة التعمق و الرجوع إلى الأصول و الجذور لفهم الظواهر و الأحداث لإدراكها بشكل أفضل بعد تحليل عناصرها و أسبابها, للوقوف على ألموضوع بإقتدار و شمولية, كي نكون في النهاية عند إتخاذنا لقرار معين بشأن ألوقائع و الأحداث و آلشخصيات قد أصبنا كبد الحقيقة.

إنّ ألتأمل و آلأدراك العميقين لا يتحقّقان إلاّ بتفعيل ألعقل ألظاهر و آلعقل ألباطن(7) أو ما يُعبّر عنه بآلضمير ألباطن معاً, و لهذا أشار آلباري في عشرات ألآيات إلى وجوب الأحتكام إلى العقل و البصيرة بشكل أخصّ لمن يريد معرفة الحقيقة و نظرة أوسع و أشمل للوجود و الأنسان ليعيش سعيداً مُعزّزاً مُكرّما غنيّاً في كلّ شيئ, بل تفرّد الباري في آية رائعة حين أبرز أهمية التعقل بآلقلب بالقول: [فإنّها لا تُعمي الأبصار و لكن تُعمي القلوب التي في الصدرو](8).

إنّ تفعيل العقل الباطن يجعل الأنسان ذو بصيرة, بمعنى أنّه لا يكتفى بظواهر الموجودات .. بل يسعى دائماً للتعمق في الأسباب و الجذور و آلعلل و آلبحث في البواطن, و هذا آلأساس من شأنه جعل ألبصير ألكادح نحو الله تعالى يسير على أسس سليمة قوياً و منسجماً و مفيداً و عصيّاً على آلهدم و الفناء من قبل الطواغيب و أولياء الشيطان, و من الآيات التي أشارت لأهمية تحقق البصيرة في وجود الأنسان هي:

[يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار](9).

[يكاد سنا برقه يذهب بآلأبصار](10).

[يقلب الله الليل و النهار إنّ في ذلك لعبرةٌ يا أولي الألبابُ](11).

[و إذ زاغت الأبصار و بلغتْ القلوب ألحناجر](12).

[...أولي آلأيدي و آلأبصار](13).

[فأعتبروا يا أولي الأبصار](14).
نستنبط من مجمل الآيات الآنفة بأنّ الدّروس الألهية – و التي وحدها هي المُنجية – لا يتعلمها و لا يدركها على حقيقتها سوى أصحاب البصيرة, و لا يتحقّق هذه المرتبة إلّا عند المتقين ألذين يتعلمون من الله, فطوبى للذي كان تلميذاً مهذباً عند خالقة حيث يقول الباري:
[و إتّقوا الله و يعلمكم الله].

دور نظريّة ألمعرفة في ترشيد ألقوانين:
من آلأمور ألهامّة جدّاً و التي تلعب فيها نظرية ألمعرفة دوراً حساساً و مصيرياً هي ترشيد و تصويب ألقوانيين و آلدساتير ألمدنية و غيرها و التي بموجبها يتمّ تقنينها من قبل المعنيين سواءاً عبر الهيئات ألتشريعية في المجالس ألنيابية أو القضائية ألمختصة أو التنفيذية .. من حيث أن (نظريّة المعرفة) تُسلّط ألضوء على معظم ألجوانب خصوصاً الأنسانيّة و آلحياتية ألتي تتعلق بكرامة ألأنسان و قضايا ألمجتمع بما يضمن تحقيق أهدافه و سعادته, و هنا تلعب (نظرية المعرفة الكونية) دوراً أساسياً و مباشراً في تعبئة ألقوانين و صياغتها بإتجاه خدمة الناس و رقيهم فيما لو كان الحاكمون إنسانيّون و مؤمنين بآلغيب, و إنّ ألمجالس و الهيئات ألتي لا تستند إلى نظريّة المعرفة في وجودها قد تُسنّ ألقوانين بشكلٍ يتعارض مع تطلعات الفرد و بآلتالي المجتمع .. ربما تصب معظم فوائدها لصالح الطبقة المسيطرة على الحكم و آلأقتصاد لفقدانها إلى الرؤية ألمعرفيّة حول هدفيّة القانون بإتجاه الصالح العام .. أمّأ جهلاً أو تجاهلاً!

من هنا لا بُد و أن يكون ألعضو في المجالس النيابية أو المحلية أو القضائية مُلمّاً بنظرية المعرفة إلى حدٍّ معين, كي يكون مؤهلاً لتحمل مسؤولية المشاركة في تصويب و ترشيد القوانين للمجتمع بشكلٍ يضمن معها تطور المجتمع و رقيه و سلامته.

دور نظريّة ألمعرفة في سلامة ألمُجتمع:
دلّت دراسة حديثة أجرتها إحدى الجامعات الأمريكية ألمُميزة كهارفارد, على أنّ المجتمع ألذي تسوده العلاقات الأجتماعيّة ألحميمية و الروابط الأخلاقية ألحسنة يقلّ فيه نسبة الاصابة بآلأمراض و العوارض النفسية, و إن متوسط آلأعمار فيها ترتفع إلى نسبة عالية بآلقياس مع المجتمعات التي لا تسودها روابط إجتماعية حميمية, و هذا لعمري يُثبت لنا صحة و فاعلية الأحكام الأسلاميّة في هذا المجال .. حيث تأمرنا النظرية الأسلامية بوجوب التواصل مع صلة الرحم و حتى الناس مهما كانت الظروف, و عدم قطع العلاقة مع آلأرحام لأيّ سبب كان, كل ذلك لأهمّيّة و دور تلك العلاقة في سلامتهم و صحة أبدانهم و أرواحهم.
لهذا يأتي تأكيدنا على ضرورة ألوقوف و التعرف على أهميّة و دور و مضمون **نظريّة المعرفة** في آلحياة ألفردية و الأجتماعية على حدٍّ سواء, و النظام الحاكم له دور رئيسي في مدى سلامة المجتمع و أمنه و تطوره, و أستطيع ألقول بأنّ آلجيلين ألذين عاشا تحت سلطة حزب البعث في العراق ما بين عام(1986 – 2003م) قد إحترقا تماماً, فنادراً ما تجد عراقياً أو كل من عاش في العراق .. أليوم سليماً من آلعاهات ألجسميّة و الرّوحيّة و آلنفسيّة بسبب كثرة ألضغوط و آلفساد و الظلامات التي صبّها النظام الجاهلي الطاغوتي على آلشعب.

دور نظريّة ألمعرفة في إنتخاب ألنّظام ألحاكم:
إنّ ألمواطن المسلح بنظريّة المعرفة لا تهجم عليه اللوابس, و لا يتسلط عليه من ليس بأهله خصوصاً في النظام السياسي - ألأجتماعي, لأنّه لا ينتخب عضو البرلمان أو رئيس الحكومة أو المجلس النيابي أو رئاسة الجمهورية إلا بعد دراية كاملة و تشخيص سليم و دقيق للشخص أو الجهة المُرشحة و آلداعمة له للحصول على تلك المواقع التي تعتبر من أخطر الأمور في تقويم و ترشيد المجتمع بإتجاه الخير أو الشر!

كما أن المواطن المسلح **بنظرية المعرفة** لا يكتفي بآلأشارة إلى مواطن الخطأ و السلب فقط كما هو حال ألمتطفلين على الفكر و الثقافة, بل المصلحون عادة ما يفعلون الخير بحسب آلحكمة البوذية التي تقول: [بَدَلَ أنْ تلعن الظلام .. إشْعل شمعة], فآلأخطاء و الأنحرافات – خصوصاً حين تتحول إلى ظاهرة – تُعد أموراً يشهدها كل آلمواطنين خصوصاً لو كان يتواجد فيهم مفكرٌ قدير لكون آلمفكر الحقيقي يُعادل بثقل فكره أمّة كاملة, و هو يسعى لبث روح المعرفة و الهداية في الأمة نحو الكمال الحقيقي, متجاوزاً الأطر التقليدية التي و للأسف تربّى عليه من يدّعون المرجعيات التقليدية و الفكرية للأديان السماوية, بينما حقيقتهم لا تتعدى سوى كونهم طفليون و عالة على الدين و المجتمع, و لكونهم لا يفهون أبعاد نظريّة المعرفة و أسرارها لذلك نراهم كانوا على الدّوام عقبة كأداء أمام نهضة الشعوب و ثورة المفكرين و عامل تخلف و هدم في المسيرة الأنسانية, و ما جرى من أحداث خلال القرن الماضي في العراق و إيران خصوصاً في موقف المرجعية الدينية في النجف و منذ ثورة المشروطة و ثورة العشرين و حتى نجاح الثورة الأسلامية في إيران خير دليل على ما أشرنا إليه.

إن العامل ضمن إطار نظرية المعرفة لا تهجم عليه اللوابس, و لا يستطيع أحداً من إستغلاله و آلتلاعب بحقوقه, و يتحقق ذلك في أبرز مصاديقه ألعمليّة في مجتمع معيّن من خلال مدى نزاهة و إستقامة آلشخصيات ألمرشحة للرئاسة و آلمؤيدة من قبل ألأولياء ألصّالحين في آلأمة, و بآلمقابل مدى أنسجام أصوات الناخبين و إتفاقهم على المُرشّح ألشّرعي ألأفضل لاستلام زمام ألرئاسة و الأمور في آلحكومة, و هذا آلأصل يرتبط بشكل مباشر بآلقائد المتصدي لأمور ألمجتمع, و هو ما أشار له الأمام الصادق(ع) في حديث متواتر بآلقول: **[بني الأسلام على خمس؛ على الصوم و الصلاة و الحج والزكاة و آلولاية, و ما نودي بشيئ مثلما الولاية].**

أنّ ما حلّت بآلبشرية من مآسي و ظلامات و سرقات و إستغلال لحقوقهم ما كانت لتكون إلّا بسبب ألأنتخاب الخاطئ للمسؤولين, و المؤمن بنظريّة المعرفة هو الوحيد الذي بإمكانه إنتخاب المرشح ألأتقى و الأعرف و الأرحم على مصالح الناس و مستقبلهم, لأنّه العارف ألذي لا تهجم عليه اللوابس حتى و إنْ إتّخذ قراراً بشأن أبسط الأمور ما لم يدرس جميع جوانبه و أحتمالاته .. فكيف لو كان الأمر يتعلق بحكم آلناس و سياستهم و بآلتالي مستقبلهم و آخرتهم.

أنّ **نظريّة ألمعرفة** لما تحويه من أسسٍ رصينة و تطلعات أنسانيّة تجعل ألمؤمن به قادراً على قراءة الأمور ألمستقبلية بشفافيّة عالية و بدقة متناهية و كأنه يعيشه و يراه, من هنا يكون رأيه و قراراته و إنتخابه هو آلأصح و آلأقرب إلى الحقّ و بآلتّالي قلّة ألأخطاء و تجاوز آلخسائر المادية و آلمحن ألكبيرة على آلأقل.

أما المعايير التي تؤكدها نظرية المعرفة في المُرشح الذي سيكون حاكماً في الأمة فهي:
أولاً: أن يكون المرشح طيّب المولد و المنشأ.
ثانياً: أن يكون مؤمناً **بنظرية آلمعرفة** في الحياة.
ثالثاً: أن يُشاع عنه الصلاح و الخير و العدل.
رابعاً: أن يكون متواضعاً مع الناس و يخاف الله تعالى.
خامساً: أن يكون الأعلم من بين أقرانه, و إلّا فمقولة الأمام علي ستنطبق علينا, حيث يقول:
[يستدل على إدبار الدول بأربع: تضييع الأصول و آلتّمسك بالغرور و تقديم ألأراذل و تأخير ألأفاضل].
سادساً: أن يكون مواسياً و مشاركاً لهموم الناس من ناحية المأكل و الملبس و الأمكانات ألأخرى.
لأن الناحية الأقتصادية و الجانب المادي هي من أهم الأمور التي من خلالها يُعرف نوايا آلحاكم, فلو إستغل منصبه من أجل ترقية نفسه و ذويه و حزبه فأن ذلك الحاكم يكون فاسداً و غير صالحاً للحكم, لهذا فأنّ

الأقتصاد له دورُ مباشر في رسم توجهات و سياسة الأشخاص و هي المحك لمعرفة مدى أخلاصهم و صدقهم في مدّعاهم.

و آلأهم في آلرئيس أو آلمسؤول ألمؤمن ألمُسلّح **بنظرية المعرفة** هو أنّهُ ينتهج مخططات ستراتيجية خمسية أو عشرية أو حتى خمسينية, للقيام بآلبناء و آلأعمار و الأصلاحات, و يعتبر اليابان من الدول التي وضعتْ خطّة خمسينية, بمعنى؛ أن المسؤوليين في اليابان يعرفون اليوم ما سيتحقق في بلدهم بعد خمسين عاماً من الآن, بينما في دولنا و للأسف فأن المسؤوليين ليس فقط لا يعرف ما سيحصل غداً؛ ألمهم عنده هو كيف يرصد آلتحركات المعارضة, و كيف يبتكر الخطط للحفاظ على المنصب, بمعنى أن الحكم هو من أجل المنافع و المناصب و التسلط و ليس من أجل خطط ستراتيجية لبناء الحضارة الأنسانية.

دور نظريّة المعرفة في ترشيد ألأقتصاد و آلثروات الطبيعيّة:
تُولي نظريّة المعرفة أهمية خاصة للبعد الأقتصادي في حياة الشعوب و الأمم, لما للأقتصاد و المستوى المعيشي دورٌ رئيسي في تقويم شخصية المجتمع و أخلاقه, حيث أن الأقتصاد له تأثير كبير و مباشر في حياة الناس السياسية و الأجتماعية و آلأخلاقية, و لعل أنتصار المعسكر الغربي(ألرأسمالي) على الشرقي(ألشيوعي) كان بفعل قوّة الأقتصاد الغربي الذي كان يتحكم فيه مجموعة ألـ 1% و التي همّها الأكبر تركز خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي على آلتخطيط للقضاء على النظام الشيوعي لذلك بدأت تخطط من الداخل لشراء ذمم الأعلاميين و السياسيين و العلماء بغية الأعداد للأنقلاب, و قد تمّتْ المخططات بنجاح كبير من قبل الأدارة الأمريكية و جهود مخابراتها العالمية ألـ سي آي أي, و كان لكورباتشوف دوراً رئيسياً في تمرير ذلك المخطط, و الجدير بآلذكر أن الأمام الخميني(قدس) أرسل وفداً خاصاً نيابة عنه إلى القيادة الروسية قبل آلتغيير يدعوهم للأسلام لتحصينهم و تنبيهم من الوقوع في أحضان الغرب المتربص بهم, و قد حذّرهم الأمام من آلمخططات الغربية ألتي كانت تعد العدة في وقتها للأنقضاض عليهم لتغيير آلنظام و تفتيت معسكرهم و وحدة المقاطعات الروسية, لكن تلك آلدعوة الألهية ألتي أرادت صون كرامتهم و عزتهم لم تلق آذاناً صاغية, فتمّ القضاء على النظام ألأشتراكي في ليلة و ضحاها!

و لا بأس هنا ألأشارة إلى أن المنظومة الأشتراكية كانت تمتلك نظريّة معرفية وفلسفة للحياة على الرغم من أنها لم تكن متكاملة حيث أقصت من نظريتها كل ما يتعلق بآلميتافيزيقا و آلغيب و آمنت بآلمادة و الأنتاج المادي إلا أننا نرى سيطرة النظام الرأسمالي ألفاقد لأية نظرية معرفية عليهم, فلم يجد الغرب صعوبة للنفوذ في أوساطهم و من نفس المتبنيات المادية تلك و لكن عبر نظرية مادية أوسع ممّا آمنوا به.

إن مأخذنا آلأساسي على النظام الغربي(الرأسمالي)هو كيفية التعامل مع حقوق الأنسان!
فآلنظام الرأسمالي و على الرغم من إيمانه بآلحقوق الطبيعية ألدنيا للمواطن و كما ورد في مثلث"ماسلو" و نظريات "آدم سمث" و فوكوياما إلا أننا نرى الأحداث و الوقائع تعكس غير ذلك, حيث يتعامل الحاكمون بعيداً عن المثل و القيم مع المحكومين من أجل الهيمنة عليهم و إستغلالهم بإتجاه منافعهم العظمي مقابل تأمين حاجياتهم و معيشتهم ضمن الحدود الدنيا, بحيث يكون قادراً للعيش فقط لأداء عملٍ معين ضمن آلنظام ألحديدي المرسوم له بكل تحديد لا أكثر و لا أقل.

إن طغيان النظام الرأسمالي بقيادة المنظمة الأقتصادية العالمية لا يتوقف عند هذا آلحد .. بل وصل إلى خارج حدودهم للسيطرة على الموارد الطبيعية ألأساسية كالنفط و الغاز و المعادن و حتى المنتوجات الزراعية خصوصاً في الخليج و آلدول الأسيوية و الأفريقية .. لسلب كل قدرة إقتصادية من شأنها تحصين إستقلال الأمم و الشعوب و توحيدها بإتجاه الخير و بآلتالي جعلهم على الدوام رهن إشارة الطاغيين ألمستكبرين ليسهل

عليهم ألتّحكم به و تسير شؤونه بما يضمن لهم ألأستمرار في التسلط على مقدراتهم.

بآلـتأمل في آلحقائق الآنفة الذكر فأنّ نظريّة المعرفة آلتي نحن بصددها تسعى لفتح آفاق الأنسان كي يتمكن من آلولوج في حلبة آلأقتصاد و المال بآلطرق الشرعية ليكون من المتمكنين .. لنشر الفضائل و الخير و المحبة و الأخلاق الفاضلة .. لا من أجل التمتع بشهوة الرئاسة و الحكم و المصالح الضيقة لأشخاص أو أحزاب سياسية لم يفهم آلمتصدين فيها أبجديات نظريّة المعرفة و أبعادها!

إن الذي نتوقعه بعد عشرين عاماً من الآن – لو إستمر الوضع على هذا الحال – هو جعل كرامة آلأنسان أرخص ما يكون في الواقع لعدم حاجة الشركات آلكبرى و المعامل و التي معظمها ستكون تابعة لسيطرة أعضاء آلمنظمة الأقتصادية العالمية(15) إلى فنيين و أيدي عاملة, حيث سيحلّ الأنسان ألآليّ(ألريبوت) بدلاً عن الأنسان العادي ألحقيقي, و بآلتالي فلا أهمية لأي صوت أو مدعى للحقوق فيما لو صدر من آلمليارات المظلومة من شعوب الأرض حينها لأنها لا تملك إرادتها و تكون مهددة بآلفناء آلجمعي من قبل أؤلئك المتسلطين الظالمين.

لو وصل ألوضع في آلمستقبل إلى تلك النقطة فحينها لا أحد يعرف طريقاً للحل – و لو كان يعرف – فلا حول و لا قوة له على التغيير لأنّه مسلوب الأرادة و الأمكانات, بل أنّ معظم الناس و بسبب جهلهم لأهمية **نظرية المعرفة** لا يبحثون عن سرّ و أسباب تلك المحنة آلتي ستكون محنة المحن في حياة ألبشريّة.

نظريّة ألمعرفة و مُستقبل ألبشريّة:
إنّ ما يشقى به العالم اليوم من خلافات فكريّة و سياسيّة و أقتصاديّة و عسكريّة و فقدان للمروءة و آلأخلاق و آلنيات ألحسنة و من تهاونٍ بكرامة الشعوب و رعب من قيام حربٍ نووية شاملة يكون ضحيتها العوام .. بعد ما قامت بشبه حرب نوويةٍ في العراق و أفغانستان و ربما بلدان إسلامية أخرى بإستخدامها للأشعاعات النووية, للهيمنة على آلحكومات الثورية آلتي تعمل من أجل حقوق الشعوب؛ كل ذلك هي نتيجة طبيعية للمبادئ الفكرية السائدة آلتي تبنتها آلأنظمة الحاكمة خصوصاً ألنظام الغربي بقيادة أمريكا و التي لا تؤمن بآلأنسان كلّه – تؤمن بآلأنسان من الدرجة الثانية و حتى العاشرة – حيث لا تتعامل بآلتساوى مع جميع المواطنين .. بل هناك قيمة مادية لكل إنسان في المجتمع يلعب الثراء ألدور الأساسي في تعيّنه!
و آليوم أمام البشرية طريقان:
ألأول: ألأستمرار – لو قُدّر لها البقاء – في مأساتها حائرةً متخبطةً, أمام مخططات ألمنظمة الاقتصادية آلتي تحاول ترتيب الأمور و عولمة ألعالم من خلال حكوماتٍ ذيليةٍ ذليلةٍ لا تعمل طبق **نظرية معرفية** تكون من أهم أهدافها محو الأستغلال و الطبقية و الظلم و آلأستعمار و خيانة الأمة.

ألثاني: أن تُعيد النظر في عقائدها و مقاييسها و نظمها و تؤمن بآلله إيمان وعي و تبصر و تُعلن عبوديتها لله تعالى فقط و التمسك بشريعته في كلّ عملٍ و مجالٍ في الحياة ألفرديّة و العائليّة و آلمجتمعيّة, و كما قال عليّ(ع) في نهجه ألقويم:
[عليكم بتقوى الله و نظم أمركم], و تحقيق هذا الأمر لا يكون إلّا بوجود من يرتبط بآلولاية بإعتبارها آلعمود و المرتكز في نظرية المعرفة الأسلامية.

و من طبيعة الأنسان خصوصاً في هذا العصر ألمادي(16) أنّه لا يقبل بعقيدة كآلأسلام كمنهج و نظرية معرفية للحياة ما لم يدرك مقدار صحة و خطأ مبادئها و إتجاهاتها الفلسفية و العلمية, و لا يتمّ ذلك بسهولة كونه يحتاج إبتداءاً إلى دراسة أبعاد ألنظرية ألمعرفية الكونية و قضاياها و تأريخ مرجعيتها الفكرية .. دراسة

علميّة موضوعية نزيهة بعيدة عن المشاكسة و آلغرور و آلتحريف أو آلأحكام المسبقة نتيجة التراكمات الثقافية ألتي تقعد المرء عادةً عن مجابهة ألحقائق و بآلتالي إعلان الرأي ألصائب حيال آلوجود و ما فيها, ذلك أننا نعتقد بأن العقيدة التي لا تصمد أمام الأفكار الأخرى على صاحبها البحث عن غيرها.

أنّ منطقة الشرق خصوصا الدول الأسلامية – العربية, قد تعرضت منذ زمان إلى هجمات متتالية و منظمة من قبل أوربا و الغرب خصوصاً مع بدء الألفية الثالثة للتسلط عليها و تسخير منابعها الأقتصادية و الزراعية, و تتعرض اليوم إلى مخطط أخطر من قبلهم للسيطرة التامة على سبعة دول أسلاميّة نفطية بحيث تكون مستعمرات تديرها مباشرة أمريكا لمنع إنتشار الصحوة الأسلامية فيها, تلك الصحوة تعني نهضة ضمير الأمّة و تطلعها إلى حياة خالية من العبودية و التسلط الأجنبي و سيطرة الحكومات العميلة, و لا يخفى على أهل القلوب بأنّ جميع دول المنطقة و العالم قد خضعت للمنظمة الأقتصادية العالمية, و لم تبق سوى إيران التي تحمل راية المعارضة و الحرب ضد تلك المخططات ألأستعمارية.

---

(1)ألحكمة هي إختزال في العبارة و تكثيف في المعنى و يقترب التعريف من (البلاغة), و غالباً ما يحمل المعنى إثارةً منطقية أو عاطفية فيميل المرء إلى خزنها في الحافظة و تداولها أنّى باتتْ الحاجة لتتناقلها الأجيال دون آلحاجة إلى تدوين, و الحكمة هي أيضاً؛ ما تحتمله الكلمة من شرح و تفسير, أننا أعطينا كل حكمة كل ما تحتمله من المعاني, و أعتبر جميع ما ورد في "نهج البلاغة" مجموعة متكاملة و متوالية من الحكم و المواعظ, و آلحكمة لا يصنعها إلّا الحكيم.

(2) الثورة الأسلامية حدثت بإعجوبة عام 1979 لتلاقح ثلاث مكونات؛ القيادة و الشعب و الآيدلوجية, التي هزمت المستكبرين.

(3) المراتب ألعلمية الكونية سبعة, هي: قارئ – مثقّف – كاتب – مفكر – فيلسوف – فيلسوف كونيّ – عارف حكيم

(4) الصدر, محمد باقر (1980م), فلسفتنا- دار التعارف للمطبوعات – ص162 ط10.

(5) ألعوا, عادل(1961م), ألكلام و الفلسفة – مطبعة جامعة دمشق - ط1.

(6) أبو ريدة, محمد عبد الهادي(1369هـ), مقدمة رسائل الكندي ألفلسفية - دار الفكر العربي – مصر, ط1.

(7) لمعرفة المزيد عن العقل الظاهر و الباطن؛ راجع كتابنا؛ [أسفارٌ في أسرار الوجود].

(8) سورة الحج /46.

(9) ألنور / 37.

(10) ألنور / 43.

(11) ألنور / 44.

(12) ألأحزاب / 10.

(13) ألأحزاب / 45.

(14) ألحشر / 2.

(15) يُقدّر عدد أعضاء المنظمة الأقتصادية بحدود 350 شخصاً يتحكمون بمجمل الأقتصاد العالمي خصوصاً أسواق النقد و النفط وآلمعادن و المعامل و الشركات و المؤسسات الأعلامية الكبرى.

(16) ألسبب في إطلاقنا على هذا العصر بـ (المادّي) هو سعي الأنسان و تخصيص أكثر وقته لتأمين لقمة العيش ألذي بات همّه الأول و الأخير, و بذلك نراه لا يملك الوقت الكافي للأهتمام بآلآخرين و لا بآلجانب ألروحي و آلنفسي و آلسّايكلوجي ألذي هو الأساس و الأهم في حياة الأنسان, هذا ما يتطلع إليه أعضاء المنظمة الأقتصادية العالمية كي لا يطالب الناس بكل حقوقهم المغتصبة من قبلهم.

أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساس الثاني

أساسات نظريّة ألمعرفة – ألأساس الثاني

معرفة الأنسان:

لو عرفت إنساناً واحداً لعرفت الناس جميعاً!
بل لو عرفت إنســـاناً واحداً لعرفت الله حقّاً!
و بمعرفة الله تعرف أسرار خلق الوجود!

و حين تحمل بوجودك كل تلك المعارف, ليس من السهل أن يتلاعب بقلبك أو بعقلك, بل تكون عقائدياً ذو موقف و رأي في هذا الوجود.
لذلك يُعتبر معرفة آلنفس ألّتي هي معرفة الأنسان من أهم أركان نظريّتنا ألمعرفيّة و محور البحث, فبدونها يستحيل آلأمان و آلأستقرار و آلتقدم و تحقيق ألرّفاة و آلسعادة .. بلْ لا معرفة حقيقيّة و لا فائدة و لا عاقبة و لا قوانين عادلة لمجتمع أو أمّة من الأمم بدون تلك المعرفة حتّى لو عرفتْ كلّ العلوم و ملكت كلّ آلكنوز!

و ما آلحضارات الزّائفة عبر التأريخ (كآلحضارة ألسّومرية و آلبابليّة و آلآشوريّة و آلفرعونية و السّاسانيّة و حتى الحضارة الغربية اليوم)؛ إلّا معالم للفساد و للظلم و آلأرهاب و آلأنحطاط ألأنسانيّ .. بعكس النظرة التي سادت طيلة القرون في أوساط الناس و الأكاديميين و بتوجيه و دعم من المتسلطين لتبرير ظلمهم .. بكونها معالم للتمدن و التحضر و الأنسانية! فآثارهم الباقية آلتي نُشاهدها اليوم كآلأهرامات في مصر و آثار مدينة بابل و عشتار في العراق و صروح همدان في إيران و سور الصين و غيرها؛ ما بُنيَتْ على أيدي و كدّ ألملوك و السّلاطين و أبنائهم أو آلوزراء و حواشيهم لأجل الناس .. بل بآلعكس بُنيَتْ على جماجم المستضعفين و عرق الكادحين الذين لم يتلذّذوا لحظة من زخرفها و بلاطها بل كانت مصدراً لتعاستهم على حساب سعادة و ترف و أمن ألمتسلطين, و حتّى بقايا آثارها اليوم لا تصب في مصلحة الكادحين و عموم الناس؛ بل باتتْ مصدراً لدرّ الأموال و آلأبّهة لحساب الحاكمين و الرّؤساء أيضاً!
لذلك علينا نصب مآتم للعزاء و آلأسف على تلك الأطلال .. لكونها ما كانتْ إلا لسعادة و ترف الحاكمين و شقاء المحكومين

فأيّة حضارة هذه التي لم تكن لتُوجد إلاّ لخدمة المتسلطين و لذّاتهم و عذاب المستضعفين و أنينهم و تدمير البلاد و العباد بسببهم!؟

إن تلك المحنة الحضاريّة ما زالت مستمرة على البشرية لفقدان النظرية الكونية .. و إستمرار الملوك و الرؤساء بإعتزارهم بتلك ألمعالم الظالمة آلتي لم تخدم آلناس؛ بل كانت سبباً لتعاستهم و هضم حقوقهم عن طريق فرض الضرائب العالية عليهم لتأمين مخارج الساكنين في تلك آلبروج و القصور, فقوانين (أورنمو) تحكي بوضوح وقوع ذلك الظلم على الناس .. حين كان يُعلن الملك بتغيير رأس الشهر و تقديمه بحسب أهوائه قبل حلول رأس الشهر الحقيقي ليدفع الناس آلضرائب قبل حلول موعدها, وهكذا فراعنة مصر حين كانوا يجعلون جماجم الكادحين الذين كانوا يموتون أثناء العمل جزءاً من الأهرامات!

أنّ كل بناء معماري أو صرح حضاري أو فنّي أو علميّ إكتشف أو سيُكْتَشَف؛ و كلّ قانونٍ مدني صُوّب أو يُصَوّب؛ و كلّ حركة إجتماعيّة أو سياسيّة .. إنّما يكون صرحاً أنسانيّاً و حضاريّاً و كونيّاً حين يكون غائيّة

ألهدف منها؛ خدمة الناس و رضاهم و رفاههم و بآلتالي تحقيق سعادتهم كونهم اللولب لتلك الفعاليات و النشاطات و القوانين؛ أو هكذا يُفْترض أن يكون, هذا هو المعيار ألصّحيح في نظريتنا المعرفية الكونية!

و مع هذا الحال .. لو كان المُشرّع أو المُقنِّن أو المُكتشف أو حتى المسؤول؛ يجهل ماهيّة الأنسان و صفاته و حقوقه و حدوده و نوازعه النفسية و الرّوحية, سواءاً كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً أو أمّا أو أباً (1) و مكانة و قيمة كرامته و ما يضرّه و ما ينفعه و ما يُشقيه و ما يُسعِدهُ و فلسفة وجوده في الدنيا؛ فأنهُ غير مؤهل في هذه الحالة للمسؤولية و لتقنين أيّ قانون له, حيث لا يُمكنه أن يخدم آلأنسان و آلمجتمع بتشريعاته و قوانينه و إجراآته مع جهله بتلك الأمور و حقيقة الأنسان و نوازعه الذاتية!؟

من هنا لا يُمكن أن تكون القوانين المدنيّة و القضائيّة و الأداريّة وآلسياسيّة و التربويّة و الحركات الأجتماعيّة و الأقتصاديّة و غيرها ذات جدوى و إيجابيّة لصالح الأنسان ما لم تكن بإشراف ألمُتخصصين في العلوم الأنسانيّة و الأجتماعية و النفسية ألكونيّة .. بجانب المشرع ألوليّ ألمُتّقي(2) ألذي يُؤمن بآلغيب!

و آلسؤآل المركزي في هذا الركن من نظريتنا المعرفيّة, هو؛ ما هي المعرفة ألأساسية ألتخصصية ألتي تُحدد و تُعيّن شخصية الأنسان و آلطبيعة التكوينية له و الغرائز آلنفسيّة و الروحية و الأبعاد السّايكولوجية و القوى الخفيّة فيه, و هذا آلسؤآل يجرّنا للبحث في جذور التكوين الأنساني و معرفة خفايا النفس و آلضّمير الباطن, للوقوف على آلحقيقة كاملاً, هذا أولاً.

أما المحور ألآخر في هذا البحث فسيتركز على ألهدف و الفلسفة من خلق الأنسان عموماً, و سبب مجيئه لهذا العالم و المراحل التي مرّ بها لحدّ آلآن و التي بمعرفتها تتكامل نظريتنا المعرفية الكونية.

و سنبدأ بدراسة تلك المحاور بعد عرض مقدّمات ضروريّة للمراحل ألتي مرّ بها الأنسان منذ بدء الخليقة؛

لقد مرّ على الأنسان ستة أزمنة خلال آلعشرة آلاف عام ألماضيّة من عمره الذي بدأ بنزول آدم(ع) إلى الأرض حتى يومنا هذا, و لم يستقر فيها على حال, و هي:

ألأول: زمن خلق آدم و هبوطه إلى الأرض قبل 10000عام تقريباً.
ألثاني: زمن ألأنبياء و الفلاسفة ألأرضيون(بوذا,كنفسيوس, هوميروس, ثم سقراط و أفلاطون), و هي الفترة المحورية في التأريخ, والواقعة بين القرن الخامس و السابع قبل الميلاد.
ألثالث: زمن المرسلين(أصحاب الرسالات السماوية) حتى خاتمهم محمد(ص) قبل 1400عام تقريباً.
ألرّابع: زمن العدالة العلوية, و هي ألفترة الأستثنائية و التي طُبّقت فيها العدالة الألهية خمسة أعوام تقريباً, لتكون نموذجاً واقعياً لكل متطلع نحو تطبيق العدالة في الأرض.
ألخامس: زمن النهضة الأوربية ألتي بدأت قبل ثلاثة قرون ثمّ تسلطهم على شعوب و مقدرات الأرض بقيادة المنظمة ألأقتصادية.
ألسادس: زمن إنتصار الثورة الاسلأمية عام 1979م و أمتداد المواجهة آلشاملة و أتّساعها مع بدء الألفية الثالثة على كلّ صعيد مع المستكبرين إلى يومنا هذا, علماً أننا قدّمنا دراسة كاملة حول الموضوع بعنوان: [ألأزمنة آلبشريّة المحروقة].
و خلال تلك الأزمنة آلستة دفع آلانسان ألمستضعف و لا يزال ثمن آلظلم ألذي لحقه بسبب جشع و تكبر ألمتسلطين, لتحترق في ثناياه كلّ الصّيحات الأيجابية ألأستثنائية .. ألتي لم يكتب لها البقاء طويلاً لقوّة الشّر ألتي كانت تظهر في البشرية على الدّوام بلا إنقطاع لعدم وجود النظام الكوني, لذلك لم يصلنا الضوء سوى

اللهب من تلك الأزمنة المحروقة!

فهل كان الجّهل الذي هو قرين الظلم؛ ألوقود الذي أجّج لهيب ذلك ألظلم ألمُمتد لتحترق آلأنسانيّة و يشقى بإضطراد مع تقدم الزمن!؟
أم كان العلم مبعثاً لذلك اللهب الحارق الذي ما إنخفض أواره بل و إزداد يوماً بعد آخر بسبب أصل الشر ألمُتجذّر في أعماق الأنسان و الوجود؛ [و ما إختلف فيه إلّا آلذين أوتوه من بعد ما جائتهم ألبيّنات بغياً بينهم](3).

فآلجذور التخريبية للمأساة الأنسانيّة .. منذ خلق آدم (ع) و إلى يومنا هذا متجذّرة في أصلين, هما:

ألأوّل : نفس ألشيطان,
ألثاني : نفس ألأنسان,

فهل من سبيلٍ لدرء الشر و بتره من هذا الوجود, خصوصاً في قضية يكون القاضي و المُدّعى عليه هو الأنسان نفسه؟

هذا ..إذا علمنا بجانب ذلك أيضاً بأنّ الأمانة ألألهية(ألخلافة) هي بيت القصيد في هذا الوسط .. حين عرضها الباري تعالى على الأنسان و قبلها دون تردّد .. تلك الأمانة التي أبهرتْ الجن و الأنس و أبتْ حتّى السماوات و الأرض من حملها .. بلْ و أشفقن منها(4), أيّ؛ إنْحنين أمامها و إعتذرن لها .. و هذه لعمري مفارقة كبرى؛ فكيف يمكن لظالم جهول كآلأنسان أن يكون حاملاً لتلك الأمانة العظيمة؟
هذا ما سنبحثه أيضاً في دراستنا ألقادمة بعون الله!

حقيقة الأنسان:

كي نقف على حقيقة الأنسان؛ علينا آلغوص فيما هو أبعد من هذا الجسم المادي المحدود ألمنظور و المكون من اللحم و الدم و العظام, و يحتاج ذلك إلى آلتمعن في شهادة ألقرآن و التأريخ و إعتراف العلماء و على مرّ العصور بأنّ الأنسان خصوصاً(ألبعد السايكلوجي – ألنفسي) فيه كان دائماً هو ألأصل الموجود ألمجهول الذي أوجدهُ الله تعالى ليكون مظهراً لجماله و صفاته و ظهوره!

و خلال آلاف آلسنين نَظّرَ الفلاسفة و آلمفسرون للكشف عن حقيقة هذا الأنسان و نوازعه آلنفسية, و جاء آلأنبياء بآلرّسالات ألمتعددة كدعائم للكشف عن تلك المعرفة و بيّنوا رؤآهم و نظريّاتهم بأمر من الله كمنّةٍ منه تعالى على خلقه و عرضوا و حدّدوا البرامج المختلفة لتحقيق سعادته عن طريق تلك الخلافة؛ لكنهم- أي الأنبياء - لم يستطيعوا تبيان حقيقة هذا المخلوق ألمرموز ألمشكوك كما ينبغي .. ليُعَرّفوا لنا بآلضبط؛

من هو هذا الأنسان؟
و ماذا يفعل في هذا العالم؟
و من أين أتى؟
و كيف أتى؟
و لماذا أتى؟
و مع من أتى؟

و إلى أين يرجع؟
و كيف يرجع؟
بل أجمعوا على جواب عام و مُبهم بقولهم:

أنّ آلله تعالى لم يخلق الخلق إلّا لعبادته!؟
فهل آلله يا تُرى مُحتاجٌ لعبادة آلعباد!؟
و لو كان الجواب؛ بنعم, فمعنى ذلك أنّ الله محتاج لذلك حاشاه .. و هذا يتنافى مع آلرّبوبية و صفات الله الثابتة و وحدانيته كإله غني عن العالمين!

و لو كان الجواب على سبيل الفرض؛ بلا, فمعنى ذلك بأنّ آلآية القرآنية خطأ و أن الرّسول(ص) قد إفترى على الناس حاشاه! وهذا أيضاً يخالف حقيقة الرسول(ص) و مصداقيّة الأمانة التي أوصلها للناس و كونه قد أدّى ما عليه بتبليغ الرسالة الأسلاميّة و أكمال آلدِّين و إتمام النعمة علينا و آلرضى بآلأسلام ديناً للبشرية إلى يوم البعث!

إذن فما هو الجواب الشافي و آلدقيق على ذلك!؟
و ما معنى قوله تعالى؛ (ما خلقتُ الجنّ و الأنس إلاّ ليعبدوني!؟).
بمعنى أدّق و أشمل ما هو آلهدف و الفلسفة من خلق الأنسان!؟
و هل عدم وجود ألأجوبة ألشافية لتلك الأسئلة هي التي سببتْ ألفشل ألعملي للأنبياء و المصلحين في مهمتهم لتطبيق الخلافة الألهيّة على أرض الواقع عملياً طيلة القرون و الأزمان الغابرة .. حتى إنتصار الثورة الأسلامية في إيران عام 1979م و بزوغ فجر الأسلام من جديد .. بعد ما قدّم ثلّة من آلمفكريين العظماء كآلأمام الخميني و الدكتور شريعتي و الشيخ المطهري و العلامة محمّد تقي ألجعفري مع فلاسفة آخرين كآلشهيد الفيلسوف محمد باقر الصدر؛ ألجّواب ألشافي لذلك السؤآل ألمحوريّ ألمتعلق بحقيقة آلوجود و خلق الأنسان!
لقد ركّز هؤلاء العمالقة ألمفكريين على الجانب العرفانيّ و آلأخلاقي للرّسالة الأسلاميّة و الفكر الأنسانيّ, ذلك الجانب الذي طالما حثّنا عليه الباري تعالى نفسه من خلال آيات التعقل و التبصر و التفكر و آلرّحمة و اللّين و الأدراك و التأمل و النّظر في الكون, و الآيات الآفاقية و النفسيّة والهدف من الرسالة الأسلامية و الخلق, تلك الجوانب الهامة التي أهملتها الحوزة ألعلمية ألتقليديّة خصوصاً ألنّجفية – نسبة إلى مدينة النجف في العراق - على مدى أكثر من ألف عام بقصدٍ أو بغير قصدٍ! حتى جاء زمن الثورة العرفانية بقيادة الأمام الخميني خلال القرن الماضي بعد ما مهّد لها الطريق ألشيخ النراقي و الشيخ فضل الله النوري و غيرهم بأكثر من قرن, لِيُولد الأسلام المُحمديّ الأصيل كقوّة حقيقيّة مقابل آلأستكبار العالمي ألذي تصوّر بأنّه سيحكم الأرض منفرداً مُتجبّراً بعد ما هزم المعسكر الشرقي بقيادة روسيا ألأشتراكية نهاية ألقرن ألماضي!
صحيح أن الغرب الرأسماليّ سيطر اليوم على معظم مناطق العالم الغنيّة بآلنفط و المعادن و بآلزراعة خصوصاً في آسيا و أفريقيا و جنوب أمريكا و غرها, إلّا أن ذلك لم يكن إلّا بفضل تزويج (التكنولوجيا مع المال) ألحرام من قبل البنوك الربوية الأستكبارية .. هذا بعد سياسات ذكيّة و حروب مدمرة من أبرزها أيجاد ألمنظمات العالميّة كهيئة الأمم ا لمتحدة و صندوق النقد الدولي و المؤسسات الأعلامية الكبرى و نصب الحكومات العميلة التي لا تستند على نظرية معرفية في برنامجها بآلأضافة إلى حروب مدمرة و قاسية كحرروب الخليج و البلقان و الصومال و البوسنة و غيرها .. و مما زاد من شوكتهم هو بفعل ما توصل إليه هذا المخلوق ألعجيب(ألأنسان) من إكتشافات علمية و تكنولوجية و مخططات شيطانية؛ إندفع بشكل لا إرادي إلى حدودٍ أبعد ممّا كانت عقائده تُشير إليه؛ بمعنى أن المدار التكنولوجي بدأ يتحرك في فضاآت أبعد و أوسع, حتّى بدت فواصل كبرى تفصل بين تلك التطورات و بين إدراكها و هضمها من قبل عموم البشرية, فأصبح

حالها كآلتائه وسط فوضى عارمة أصبحت من الصعب تقنينه أو آلأستفادة الأيجابية منه بإتجاه ألأهداف ألانسانية ألكبرى للصالح العام!
و الذي يزيد الطين بلّة - كما يقول المثل العراقي – هو إزدياد ألهوّة بين آلطبقات ألغنيّة و آلفقيرة و بشكلٍ مُطّرد .. بحيث بات من الصّعب على الأكثرية مُتابعة أو حتى معرفة تلك الأكتشافات و آلتطورات و ما يدور من آلمؤآمرات خلف الكواليس من قبل إخطبوط المنظمة الأقتصادية العالميّة التي سيطرت تقريباً على منابع الثروة و الطاقة و الأنسان في عالم آليوم!

لقد بقت عموم البشرية – على الرغم من إنتشار العلوم و التطور التكنولوجي – مكتوفة الأيدي قبال المستكبرين و هي تعاني الفقر و المرض و الهبوط الحضاريّ و الأخلاقيّ ألذي يزداد يوماً بعد آخر, حيث بدت مشاكل معقدة و كثيرة تلوح في الافق؛ كآلبطالة و الطلاق و صعوبة الحصول على عمل شريف, قلة المأوى(السكن), إنتشار الأمراض الفتاكة و الغريبة, ألتلوث ألبيئي, ضمور الأنسانية في وجود البشر, ضمور الأخلاق الفاضلة, تفكّك ألأسر و العوائل, ألعزوب عن الزواج, فقدان العلاقات الأنسانية, كثرة النزاعات و آلحروب و عوامل سلبيّة كثيرة تبرز يوماً بعد آخر فأردت مجمل تلك العوامل؛ إنسان العصر صريعاً يتلوّى من الألم على مصيره و ما حلّ به بسبب سوء التدبير و التخطيط من قبل آلمتسلطين .. ألذين يُنفذون أوامر مجموعة صغيرة – أي المنظمة الأقتصادية – ألتي وحدها تعيش البذخ و الرفاه و هم لا يتجاوز عددهم آلمئات مقابل المليارات من البشر الفقراء ألمستضعفين!
تلك المجموعة الظالمة الصغيرة التي تسيطر على مقدرات العالم عبر التكنولوجيا و الذرة و السياسات الشيطانية؛ تراها كلّ يوم في شأن؛ تُخطط و تُبرمج لمخططات و أهداف جديدة؛ لحروب جديدة؛ لأستعمار جديد؛ لفضاآت تجاوزت حتى مدار الأرض؛ لنزاعات شيطانية مختلقة.
هذا الجدل و الحراك الدائم و الجشع و آلطّمع و الحرص .. هو نفسه الذي كان قائماً بآلأمس؛ بلّ على طول التأريخ كأصل مُتجذّر في الأنسان منذ أن وطأ آدم(ع) قدمه على هذه الأرض خصوصا حين يموت القلب(الوجدان) .. لا بل قبل ذلك أيضاً حين طمع آدم أثناء وجوده في الجنة .. بسبب تصوره ثمّ أقدامه على آلأكل من تلك الشجرة التي تصوّر بأنّها ستخلده في الوجود, إلا أنّه – أي الجشع و الطمع و الحرص و حب المال و آلثراء - قد توسّع و أنتشر في عصرنا هذا أكثر من ذي قبل و بأية وسيلة ممكنة!
بآلطبع كثيرون من أوعزوا ألثراء أو عدمه .. إلى الحظ!
و الحظ نفسه حتّى هذه اللحظة, لم يستطع أحدٌ من تفسيرهِ و معرفة آفاق أسراره ليقفوا بآلضبط على معناه و جوهره و منشأهُ!
فآلمؤمنون بآلغيب جعلوا آلله تعالى محلّ آلحظّ .. و آمنوا بأنّ كلّ ما أصابهم و يُصيبهم من الخير و آلشر هو من الله تعالى!

و أما الذين آمنوا بآلعقل (ألماديّون) فقد آمنوا بأنّ كل ما يقع للأنسان هو بسبب آلأفكار و التجربة ألتي يتوصل إليها, فآلعقل هو الحاكم و المقرر لما يواجهنا في الحياة!

و فريق ثالث؛ آمن بأن الأمر لا هذا و لا ذاك .. بل هو حالة بين الحالتين آلآنفتين!

أيّ أنّ لله دورٌ لا شكّ فيه في ترسيم الأمور و تقديرها و قضائها .. كما للعقل و التدبر دورٌ بجانب ذلك في تقديرها تقويمها و ضبطها و آلأستفادة منها ضمن فلسفة القضاء و القدر و الجبر و الأختيار!
أيّ أنّ الحوادث الواقعة تتحكم فيها إرادتان أو أكثر؛ و هي إرادة الله تعالى و إرادة الأنسان, و ربما إرادة الشيطان في كثير من الحالات في النهاية و بإذن من الله تعالى!

و الحقيقة أنّ الفلاسفة الكبار .. و بآلأخص أئمة أهل البيت(ع) و أنبياء أولي العزم عليهم السلام إعتقدوا بأن حقيقة آلأمر يرتبط بآلله و بآلعقل معاً أي أن الأمر هو أمرٌ بين أمرين(5).

و الحقيقة أن الذين يعتقدون بآلغيبب من المؤمنين هم أيضاً على نوعين؛

ألأول: هم الذين إستندوا على ذلك الأعتقاد – أيّ إرادة آلله و إرادة الأنسان - بقوّة كي يستفيدوا منه للأبداع و الأبتكار و الخلق و الوعي الأكبر لكشف ألحقائق و الأسرار, حيث جعلوا الباري تعالى كأمتداد راسخ و داعم لمسعاهم في الحياة من أجل ألترقي و آلتّقدم في الحياة .. و هذه النظرة تُعتبر فلسفة تعقليّة عرفانية للوجود, وقد آمن به كبار آلعلماء حتى آلبرت آينشتاين(6).

ألثاني: هم الذين أمسوا مع الدين نياماً؛ أي إتخذوا الدين تعصباً – كما هو حال المسلمين في الأمة العربية و أكثر البلاد الأسلامية و نخصّ بآلذكر ألسّلفيين بقيادة الوهابيّة التي وصلت حدّاً فصلت السياسة و أمور المجتمع عن الدين .. و كذلك الخط التقليدي للمرجعية الدينية ألشيعية التي تقوقعتْ بين جدران الحوزة لا يهمها من أمر الأمة و الأنسانية سوى تأمين أرصدتها و آلعلاقة مع مقليدهم التقليدون ألذين أبطلوا بدورهم أهميّة العقل في الحياة ليتحولوا إلى قطيع من الخراف يسيرون و المنايا تسير معهم, معتقدين بأنّ الدين و باب الأجتهاد حصر على الذي لبسوا ألعِمامة من أجل مصالحهم و ثرواتهم و سطوتهم و سيطرتهم الشخصية على المُقلدين ألبسطاء فكرياً من دون كدحٍ أو عملٍ أو إختصاصٍ سوى بعض الكلام الفارغ من حقيقة الله و الوجود و العمل الصالح, إن هؤلاء و على الرّغم من توجههم نحو الركود و الجمود و الأنزواء و الموت؛ لكننا نرى أن الأمة لا تُحرّك ساكناً قبالهم سوى بعض الهفوات و الأنتفاضات, فآلمتوقع حدوث ثورة عارمة ضد تلك المرجعية ألتي تعيش مع آلأموات بحسب تعبير الأمام الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) في القريب العاجل(7), لأنهم أمواتٌ تتحرك في الحياة بإجسامها و ما الدِّين إلّا شكلٌ يؤطر حياتهم و يخدّر وجودهم لجمع المال!
و من أبرز الأديان ألألهية ألتي ما تزال قائمة و فاعلة و لو شكلياً في الظاهر بنحوٍ من الأنحاء كعقائد للناس وسلوكهم هي:

ألأسلام, ألمسيحية, أليهودية؛ و هي الأديان الأبراهيمية ألمعروفة من نسل آدم(ع) بمعنى أديان نشأت من منشأ واحد و لكلّ منها شريعة و تأريخ!
فتأريخ الأسلام ثبت منذ خلافة عمر بن الخطاب حين أشار لذلك ألأمام علي(ع) بجعل السنة التي هاجر فيه النبي(ص) من مكة إلى المدينة, حيث وصلنا به اليوم إلى عام 1433هـ و تم تقسيمه على أساس الشهور الأسلامية – ألعربية ألمعروفة, و عرف بآلتأريخ الهجري القمري, و إيران هي الدولة الوحيدة ألتي إعتمدتْ هذا التأريخ أساساً لنظامها .. حيث إتفق تقويمها على أساس هجرة الرسول(ص) و أ بدلت القمري بآلشمسي لتلافي الفرق في السنيين.

أمّا أكثريّة دول العالم فأنها نظّمتْ تأريخها على أساس ميلاد السيد المسيح, حيث يكون اليوم قد وصل إلى عام 2012م.
أمّا السّنة اليهودية فتبدأ بحسب تأريخها منذ ولادة نبينا آدم(ع), حيث يكون آليوم قد وصل إلى سنة 5770 سنة, و هو تأريخ (الفراماسونري) و الذي إنبثق من تأريخ اليهود بإختلاف 3000عام قبل ولادة المسيح, ليكون اليوم 5012سنة.
ألبُعد الحقيقي للأنسان:
يتكون الأنسان من بُعدين:

ألأول؛ المادي (ألجسمي) و يتكون من اللحم و آلدم و العظام و العروق و الشعر, و هي المكونات المادية التي يشترك فيها جميع البشر بما فيهم الأنبياء و المرسلين و حتى الحيوانات, و سوف نترك البحث في هذا المجال لأنه من أختصاص الأطباء و المهتمين بآلصحة البدنية من المتخصصين و هو أمر ليس من الصعب معرفته لكونه ملموس و يمكن متابعته تجريبياً بحسب تصريح إبن سينا و الرازي, و لعلهم – أي ألعلماء - توصلوا اليوم لمعرفة معظم أسرار الجسم الأنساني, لذلك سيتركز كلامنا على الأبعاد النفسية و الروحية و الفكرية للأنسان كونه هو البعد الحقيقي ألمكون للأنسان.
و آلجدير بآلذكر؛ أنّ ذلك البعد – أي ألرّوحي ألنفسي – هو آلذي يتحكّم بجميع التفاصيل و المكونات ألماديّة للأنسان, بحيث أن العلم الحديث توصّل إلى أن جميع الأمراض ألعضويّة سببها الرئيسي هو آلمؤثّرات النفسيّة و آلرّوحيّة, و لذلك نرى أن المستشفيات المتطورة في العالم تؤكد على كوادرهم بضرورة التعامل الأنساني ألمليئ بآلمحبة و العطف مع المرضى كون ذلك التعامل يساعد بشكل سحري و فاعل على سرعة شفاء المرضى, و لعلّ الفارق الأكبر الذي يُميّز طرق العلاج في الغرب بآلقياس مع الشرق؛ هو أساليب المعاملة من قبل الممرضات و الأطباء والأدارة مع المرضى بجانب العناية الطبية!

من هنا تضاعفت أهميّة ألعناية و السعي لمعرفة الجانب الرّوحي و آلشّخصي في نظريتنا المعرفيّة لكونها أهم مفاتيح المعرفة, و أن من أفضل و أقصر الطرق و أسهلها لمعرفة الأنسان؛ هو المعرفة التي يتوصل إليها الأنسان نفسه عن طريق نفسه, وهناك أربعة رؤى يُمكننا آلتّعرف على الأنسان من خلالها و هي:

1- نظرة الأنسان نفسه لنفسه.
2- ألنظرة التي يراها الناس للأنسان.
3- ألنظرة الواقعية التي تُمثل حقيقة الأنسان نفسه.
4- ألنظرة التي ينظرها الأنسان لنفسه من خلال نظرة الناس له.
و النظرة ألمعرفيّة الحقيقية لا تستقيم و لا تتكامل .. إلّا من خلال مجموعة النظرات آلأربعة, مع دراسات علميّة لمعرفة كل منّا حقيقة نفسهُ و قدره و مكانته بين الناس, و دوره في آلخلق عموماً طبقا لنظرية المعرفة الكونيّة!
إن الوقوف بدقّة على حقيقة تلك النّظرات ألأربعة تكشف للأنسان حقيقته و حقائق وأسرار كثيرة قد تكون علامات كبيرة لتغيير المنعطفات و الأقدار في حياته, لهذا فإن دراسة علم النفس القرآني و قضايا آلرّوح واجب في معرفتنا الكونيّة.
ألرّوح في نظريّة ألمعرفة:

قبل آلخوض في حقيقة ألرّوح في آلنظرية ألمعرفية, لا بُدّ من الأعتراف بأنّ ما توصّل إليه الأنسان هو وليد قصور ذاتيّ في الرؤية عند الذين أخذوا على عاتقهم مهمة صنع القرارات الكبيرة, لذلك لحقه – أيّ الأنسان – غُبْناً كبيراً نتيجة مقايضة غير عادلة على الأطلاق بسبب آلتعامل التجزيئي معه من قبل المستكبرين المغرضين, فقد أخذ الأنسان من التكنولوجيا كلّ آلأشياء بل هكذا إنتظمت الحياة المعاصرة, و التي إتّضحتْ فيما بعد أنها ليست لازمة له حقيقةً, وأهمل الجانب التربوي والروحي و الأخلاقي, فإضطرب وضعه, لأن التعامل الأحادي مع الأنسان لا تُناسب طبيعته ألسايكلوجية, خصوصا بعد ما أكملت آلقنابل الذرية و الصواريخ الهايدروجينية و آلحروب ألمحلية و الدولية و آلصراعات العائلية و الفئوية و غيرها المحنة والبلاء, بعد ما أخذتْ ألتكنولوجيا منه كلّ الأشياء الحقيقية الثمينة الجوهرية فيه, بمعنى أن الأنسان إشترى آلتكنولوجيا .. و التكنولوجيا إشترتْ ألأنسان!

إن أزمة ألرّوح في العالم – ألشرقي و آلغربي – نابع أنّ الشرقيّ أدار ظهره عن موضوع الرّوح بإعتباره

موضوعاً قديماً – بيد أنّه لا يعكس موقفه الفعلي و آلحقيقي, فهذا الأسلوب ليس في الواقع سوى آلمظهر القشري الخارجي ألذي يرقد تحته إيمان عميق بآلروح والغيب و لو أنه إيمان مشوش.

و في هذا يلتقي آلشرقي مع كثيرين غيره من بني آلأنسان في كل قارات العالم, و كل ما فعله الشرقي هو أنّه أخفى إيمانه و قمع قناعاته آلحقيقيّة و غيّر لهجته فقط .. حتى يتسنى له ألتحدث بلهجة مناسبة لمنطق العصر و مجتمع الحضارة الصناعية المادية .. و هذا آلواقع المزيف يُفسّر سرعة إرتداد ألشرقي إلى قناعاته الحقيقيّة في المناسبات ألجدّيّة في الحياة و التي يعتبر الموت من أكثرها وضوحاً.
مع تلك آلمقدمات الكلية .. ينتهي هذا الأساس الذي تركز على ضرورة ألمعرفة الكلية والدقيقة للأنسان و آلأدوار التأريخية التي مرّ بها و نسبته مع ما سُمّيتْ بآلحضارات الكبرى و طرق معرفة النفس, و سنركز في الأساس الثالث على آلرّوح ثم النفس والجسد كمكونات حقيقية للأنسان .. و ألأساس و آلمُحرّك للحياة الأنسانية, لأنها يُشكل أساساً هامّاً من آلنظرية المعرفيّة التي نحن بصدد بيانها بسهولة و يُسر لتكون منطلقاً لبناء آلمجتمع و ألحضارة الأنسانيّة ألجديدة إن شاء الله.

---

(1) إختص آلله تعالى بآلأنسان مئة صفة بعضها تناقض بعضاً(و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها) إستجمعت في وجوده ليكون مزيجاً مُعقّداً يصعب الوقوف على حقيقته, و منها بحسب ما ورد في القرآن الكريم: ألعجول(ألأسراء/11), ألضعيف(ألروم/54), ألكادح(ألأنشقاق/6), ألأنسان(ألأنشقاق/6), ألهلوع(ألمعارج/19), ألجزوع(ألمعارج/20), ألكافر(عبس/17), ألجاهل(ألأحزاب/72), ألظالم(ألأحزاب/72), ألحسود(ألفلق/5), ألخصيم(ألنحل/16), ألقتور(ألأسراء/100), ألجدول(ألكهف/54),ألمغرور(ألأنفطار/6), ألطاغي(ألعلق/6), ألكنود(ألعاديات/6), ألخاسر(ألعصر/2), ألخيّر(ألعاديات/8), ألسافل(ألتين/5), ألمُقوّم(ألتين/4), ألكابد(ألبلد/4), ألآثر(ألأعلى/16), ألمفتون(ألعنكبوت/2), ألوسواس(ألناس/4), ألفاني(ألرحمن/55), ألمفتري(ألنحل/61), ألفضّ(آل عمران/159), ألفاسق(ألبقرة/197), ألغليظ(آل عمران/159), ألباغي(ألبقرة90), ألبصير(آل عمران/13), ألمهين(ألمرسلات/20), ألّلوام(ألقيامة/2), ألمُراقب – ألرّقيب(ألطارق/4), ألمكرم(ألأسراء/70), ألمُسيئ(يوسف/53), ألفاجر(ألشمس/8), ألمُتّقي(ألشمس/8), ألطّأمع(ألفجر/20), ألمُسرف(ألزّمر/53), ألمُبغض, ألمُحبّ(و إنّه لحبّ الخير لشديد), و هناك حديث شريف إستوقفني كثيراً يقول فيه الرسول(ص): [لو تكاشفتم ما تقابرتم], و السؤآل ألذي يفرض نفسه بعد كل هذا .. هو: (كيف يُكرّم هذا الأنسان كخليفة لله تعالى مع تلك الصفات ألتي نادراً – إن لم نقل مستحيلاً – ما لا ينجو منها إنسان على وجه الأرض!؟).
(2) و لهذا السبب تكون معظم القوانين و آلأحكام ألتي تمّ تصويبها في الدساتير العربية و حتى العالمية غير إنسانية و غير مجدية لكونها لا تصب في مصلحة ألمجتمع – خصوصاً ألعوام؛ بل تصب لصالح الحاكمين لتثبيت سلطاتهم و كياناتهم لأدامة تسلط رؤساء الأحزاب و الكيانات التي عادةً ما تتوارث الحكم سواءاً بآلشورى أو الديمقراطية أو التحالفات السياسية و مجالس الحل و العقد!
و من هنا فأن جميع الأمبراطوريات و الحكومات التي تعاقبت على الأمم في الأرض كانت ظالمة و غير إنسانية خصوصاً تلك التي سمّوها بآلحضارات الكبرى كآلبابلية و آلآشورية و الفرعونية و غيرها, و التي ما بنت ما أسموها (بآلحضارات) إلا على جماجم الفقراء و حقوق المقهورين, و ما زالت الأمم – معظم أمم الأرض تعيش تلك المأساة بألوان و مسميات مختلفة.
(3) ألبقرة / 213.
(4) ألأحزاب / 72.
(5) لا جبر و لا تفويض .. بل هو أمرٌ بين أمرين, و هذا هو تصريح الأمام الصادق(ع) في حديث متواتر.(6) للمزيد من المعلومات حول مسألة الجبر و الأختيار, راجع كتابنا؛ [أسفارٌ في أسرار الوجود].
(7) راجع كتاب (ألمحنة) و هي عبارة عن محاضرتين ألقاها الأمام الفيلسوف على طلاب البحث الخارج.

أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة ـ ألأساس الثالث

أساسات نظريّة ألمعرفة – ألأساس الثالث

ألرّوح

تُعتبر ألرّوح ألمُحرك و آلطاقة الأساسيّة لحياة ألأنسان و خلوده في الوجود, فبدونها لا وجود للأنسان ولا لأيّ كائن حيّ سواءاً كان حيّاً أو نباتاً أو جماداً, فمثلها كآلمغناطيس و كآلطاقة ألكهربائية للأجهزة و الدوائر الأليكترونية, كما أن إتّحاد الروح مع الجسد يكوّنان النفس(1) ألتي تضمّ ألحواس والغزائز الماديّة - ألروحية, و ألتي تستجمع الخير و الشر .. ألفجور و التقوى .. ألشكر و الكفر .. ألرضى و السخط, و هي بآلتالي ميدان ألمُتناقضات الذي يُحدّد شخصيّة الأنسان و عاقبته من خلال مدى تطابقها مع آلمعايير الألهية أو نقيضها ؛ (ونفس و ما سوّاها, فألهمها فجورها و تقوها)(سورة الشمس/7 و 8).
فما هي حقيقة عالم الرّوح و دوره في الوجود مع كل تلك المتناقضات و 33 صفة بذيئة لازم الأنسان بعد ولادته!؟
قبل آلدخول في آلتفاصيل علينا أنْ نعرف بأنّ آلفرق ألأساسي بين آلشرق و آلغرب في التعامل مع الأنسان, و يكمن في كيفيّة النظرة التي ينظرون من خلالها إليه و بآلتالي ألأساليب و المناهج آلتربوية و الأجتماعية ألتي من خلالها يتمّ إعداده و توجيهه لصناعة الأنسان المطلوب إذا صحّ الأصطلاح!

معرفة هذه المقدمة ضرورية كونها ترتبط بمحتوى القوانين ألأجتماعية و الحقوق الطبيعية ألتي يشرّعها ألقائمون على النظام من خلال نظرتهم للأنسان, بغض النظر عن التطبيقات التي جرت على المجتمعات المختلفة.
ففي الغرب يتمّ إعداده بإتجاه منافع ألطبقة الحاكمة في المنظمة الأقتصادية ألتي فسرت الحياة على أساس إقتصادي ماديّ بحتْ حدّدوا له درجات, و يتطلب تطبيع الروح و السلوك على حبّ المنهج و النظام القائم الذي يُسيطر عليه الطبقة الرأسمالية! لذلك نراهم يهتمون به حتّى قبل ولادته عن طريق تقديم المستلزمات و الأمكانات أللازمة للأم و بعد الولادة يتم إحتضان الطفل حتى سن الثامنة عشر .. و هي فترة دخول الجامعة حيث يتمّ تسليفه بآلمعونات و المساعدات المادية لحين إكمال الدراسة الجامعية ليكون حين تخرجه بعد سنوات مُداناً من رأسه حتّى أخمص قدميه للنظام و مَمْلوكاً لأصحاب البنوك فعليه – أيّ المتخرج – تسديد جميع ألديون و آلسلف مع فوائد و ضرائب عالية قد تصل إلى ضعفي ألمبلغ ألمُستدان!

و بهذا اللون من التعامل يصبح ألمواطن مَديناً للنظام حتّى قبل ولادته و لآخر ألعُمر, و بسبب إهمال ألمُثل و آلقيم و آلأيثار في آلنفس و آلسلوك الأخلاقي ألسّوي حيث لا وجود له في المنهج التربوي و آلحياة ألأجتماعيّة أساساً .. لفصلهم ألدين ألذي هو المنبع ألرئيس للأخلاق و آلقيم عن الحياة الأجتماعية و آلتربوية و السياسية و الأقتصادية؛ فأنّ آلمواطن ألغربي لا يشعر بكرامته و عزّته و قيمته في الوجود سوى آلتركيز على أداء عمل ما – طبعا لو حصل عليه - لتأمين لقمة العيش و كأنّه خُلقَ ليكون برغياً في ماكنة النظام و أسيراً لأرباب آلأعمال لإشباع بطنه و شهوته فقط .. كما آلحيوانات و بأيّ ثمن حتى لو كان مقابل كرامته, و لولا صرامة ألقوانين و كامرات ألمُراقبة و الكومبيوتر و آلأجهزة البوليسية و الأمنية لَثارَ آلمواطن الغربي على أوضاعه ألتي جعلت أكثر من 50% منهم مرضى نفسياً .. ولأختل الأمن إلى أقصى حدٍّ و لتحولت ألدّول الغربية إلى غابات متوحّشة! و لعلّ عمليّات ألسّرقة ألتي حدثتْ في نيويورك خلال القرن الماضي عند أنطفاء الكهرباء لساعتين فقط .. هو خير برهان على حقيقة ما يجري على الأنسان في آلغرب, فقد حدثتْ في تلك المدينة و خلال أقل من ساعتين أكثر من 52 ألف عملية سرقة للبنوك و آلمحلات و آلمعارض, فآلوضع في دول

آلغرب كنار تحت الرّماد!

و لو أنتبه بعض المواطنين الغربيين على فقدان كرامتهم و حقوقهم آلطبيعية - حين وعيهم لفلسفة الحياة و كرامة الأنسان – و هي حالات قليلة؛ فأنّهم لا يقدرون على تغيير ألشيئ ألكثير من الواقع, لكون إرادتهم و قدراتهم مسلوبة و محكومون بأنظمة أمنية و بوليسية متعددة و متشعبة و متسلحة و قوية, لأنّ المتسلطين عليهم جعلوا بآلحسبان حدوث تلك الأنتفاضات مستقبلاً من قبل المواطنين ألمستضعفين, لذلك فأنهم سبق و أن أعدوا العدّة و جهزوا نظامهم بتلك القوى المنظمة لقهر و إجهاض أيّ إعتراض أو إحتجاجات طارئة محتملة, لذلك لم يبقى أمام الغربي سوى آلكفاح و العمل بكل طاقاته و تعريض نفسه للضغوطات ألرّوحية و آلنفسية و آلجسميّة المختلفة و حتّى تعريض كرامته للخطر و الأهانة و هم مستسلمون آليوم كآلأسرى مقابل حقوقٍ تكاد تكفي بآلكاد لتسديد الفواتير و الأقساط و الضرائب التي لا تنتهي حتى بإنتهاء حياة الأنسان! و هنا لا أعني بأن وضع المواطن الشرقي في بلاد المسلمين بأفضل و كما بيّنت, بل الجميع سواسي في الظلم مع الفوارق.

و بسبب ذلك الأستغلال ألمُثْقَنْ و القهر المُنظّم لحقوق الأنسان و كرامته بغطاء ألدّيمقراطية(2) نرى أنّ المنظمة الأقتصاديّة عبر أدارة حكوماتها أللّيبرالية تُحارب أيّ نظام تُريد تحكيم مبادئ آلدين الأسلامي – خصوصاً ألمذهب ألشيعي ألذي يُؤكّد مُعتنقوهُ على وجوب ألألتزام بخط ألولاية كأصلٍ عقائديّ يرتبط بشكل حيويّ بآلسماء عن طريق أمام العصر(عج) فآلرّسول(ص) فآلله تعالى .. ذلك الأمتداد ألطبيعيّ ألذي يضمن فاعليّة تطبيق تفاصيل مبادئ ألرّسالة الأسلامية في آلمجتمع .. لكون تلك الولاية أمتداد مباشر و شاهد حيّ عن طريق ألولي الفقيه ألعادل ألعارف بأمور زمانه كنائب لأمام العصر(عج) ألذي يرتبط بآلله تعالى جل و علا مباشرةً.

إنّ مُحاربة ألغرب لدولة الأسلام و خلافهُ معها لا ترتبط فقط بموقف سياسي أو إقتصادي أو مذهبي أو علاقة معينة .. و كما يحدث بين بعض دول العالم؛ بل تأتي حيثيات تلك المواجهة ألغربيّة الشاملة بقيادة أمريكا مع الدولة ألأسلامية بقيادة المرشد الأعلى لتخوّفهم – أيّ الغرب - من تحكيم ألمُثل و آلقيم و مبادئ ألكرامة ألأنسانيّة بين أبناء المجتمع ألأنسانيّ وآلذي سيؤدّي حتماً في حال إنتشارها؛ إلى زيادة وعي آلناس و مداركهم و بآلتالي مُطالبتهم بكامل حقوقهم و كرامتهم و عدم إكتفائهم بلقمة ألعيش لسدّ رمقهم و تسديد فواتيرهم و سلفهم و ضرائبهم ألكثيرة و آلعالية ألتي تصبّ أرباحها مُباشرة في حساب ألأثرياء و آلحاكمين ألذين يمتلكون البنوك الشركات ألكبرى و الذين يلعبون بحقوق الناس و الأمم كيفما يشاؤون!

أنّ الرّوح الأنسانيّة تتطبّع بطابع معين من خلال ألمؤثرات العديدة ألتي تنتقل عن طريق ألحواس و التغذية و المحيط على حالات مختلفة, و بإتحادهما – أيّ إتّحاد ألرّوح مع آلجسد – كما أشرنا يتكوّن ألنّفس, و آلتطبع – و ليس الطبع - أو الصّفة التي يتّصف بها الفرد أو المجتمع ككل؛ هو ألناتج من آلتّربية و آلتّعليم و الأعداد ألمدرسي و السياسة العامة المتبعة من قبل النظام, و من هنا يتبيّن ألفارق ألأساسيّ في نشأة الأنسان و تطبّعه على نمطٍ خاصٍ و سلوكٍ مُعيّنٍ في الغرب و آلشرق, فنظريّة ألمعرفة ألمتّبعة في الغرب وُضِعَتْ لتطبيع الأنسان و أعداده ليُحبّ آلنّظام ألقائم و يُخلص له كإله مُقدّس بشكل لا مجال حتّى في آلتفكير بمعاداته خصوصاً في الجوانب التي تتعلق بآلأقتصاد/ألأستثمار, و يُعتبر ألحصول على آلأمتيازات و آلمناصب ألرّسميّة من خلال مدى ألتّفاني للنظام أللّيبرالي ألقائم بإعتباره ألأمل ألوحيد لأدامة ألحياة تحت ظلّه و كأنه إلهٌ قائم بذاته و لا يُمكن ألوقوف ضدّه أو معارضته أو حتّى إتّخاذ موقف حيادي قباله.. فذلك يعني ألموت المحتوم .. و لا بُد من السّير و العمل ضمن برامجه لتأمين لقمة العيش للبقاء حيّاً!
إنّ الذي يعيش لنفسه يحيا صغيراً و يموت صغيراً, أمّا الذي يعيش للآخرين فأنّهُ يحيا كبيراً و يموتُ كبيراً, فالمُسلمون في عصرنا آلحاضر هم أيضاً – إلّا القليل جدّاً - و كما وصفهم سيّد البشر ألأمام علي(ع)؛ [...

كآلبهيمة همّها علفها] بسبب فساد ألقوانين و المناهج ألخاطئة ألتي تحكمهم من قبل الأحزاب و الحكومات و آلمرجعيات, فآلآلاف من البشر يُولدون كلّ يوم .. و آلآلاف يموتون, دون أن يُتركوا بصمة تُخلّد ذكراهم في هذا آلوجود, لكونهم عاشوا حياتهم لآخر لحظة و هم يحملون هموم آلعيش فقط .. من دون التفكير بمبدأ أو قضية يُحَقّق من خلالها ألهدف من خلقته كأنسان!

لهذا نرى إنهزامنا الأسلامي بآلرغم من أمتلاكنا لعقيدة الأسلام و أمة تناهز المليارى نسمة بجانب مرجعيّات عتيدة أمام دولة باطلة صغيرة كإسرائيل .. لا لشيئ سوى إننا غفلنا أهمّ عامل للتقدم في كلّ شيئ؛ و ركّز عليه عدوّنا و هو صناعة الأنسان و إعداده – بغض النظر عن مسألة تهميش الأخلاق و آلمثل – ذلك آلجانب الذي أهملناه نحن أيضاً مع الجوانب الأخرى لأسباب لم تعد خافية على آلكثيرين, يأتي في مقدمتها؛ ألفهم الخاطئ للدين و إستغلاله من قبل المُدعين و آلمرجعيات لأغراضهم الشخصية و الفئوية و العشائرية و المذهبية و عدم وجود القيادة ألربانية الصالحة آلتي ترتبط بولاية الله طيلة القرون ألسابقة حتّى نهضة الأمام الخميني(رض) كما أسلفنا خصوصاً في الوسط العربي و تعطيل دور العقل في التعامل مع النّص ألديني و بآلتالي تثويره في الواقع السياسي و الأجتماعي و آلتربوي!

إن التمسك بآلأخلاق و المثل و القيم تعطيك أكثر من حياة .. و تُوسّع آفاقك نحو معرفةٍ أفضل و رؤية أوسع للوجود .. و فهم أدق لفلسفة و معنى آلحياة و خلق الأنسان, و بآلتالي ألتلذذ في كلّ المديات و تحقيق ألتكامل الأنساني و هذا هو أسّ آلأساسات في نظريّتنا ألمعرفية ألتي تُقرّبنا إلى آلحقيقة ألمطلقة .. بل و تُصهرنا معها ضمن وحدة آلوجود ألتي بيّنها بوضوح آلشيخ الأكبر محي الدين بن عربي و طبّقها الأمام الخميني عملياً لنعبر الذات و حدود ألجسم الأنساني إلى كلّ المدار الوجودي, حيث يتحقق ألللاوجود(ألفناء) في وجود الأنسان, و آلرّوح هي الميدان ألذي يستقطب ألمُثل و القيم و مكارم الأخلاق لتعكسها عبر الحواس و السلوك بمعونة العقل ألظاهر الذي يُنظم الفكر ألمُكوّن من قبل العقل الباطن و تفعيله كقوة خارقة في آلواقع, فما هو سرّ و حقيقة ألرّوح!

مكوّنات الرّوح:
ألرّوح عبارة عن طاقة تُشَغّل جسم ألأنسان عن طريق منظومة العقل و تُفعّل وجوده ألحقيقي, و لم يتوصل علم الأنسان حتّى آلآن إلى كنهها و مكوناتها ألدقيقة, و ألرّوح ألتي أودعها الله في أجساد بني آدم تختلف عن أرواح ألكائنات الحيّة ألأخرى, لكنّ هذا تعريف عام و مُضلّل, و معرفة حقيقة الروح ليست هيّنة, و على الأنسان إجراء الكثير من التحقيقات و آلتجارب الطبيّة و النفسية و الروحية لمعرفة خفايا هذا اللغز ألذي حيّر آلعلماء لأنّنا ما أوتينا لحدّ آلآن من آلعلم إلّا القليل, و لا أدري هل بآلأمكان ألوقوف على حقيقة أمر الرّوح مستقبلاً حين يُؤتى الأنسان العلم ألكثير بحسب آلأشارة القرآنية؛
[و يسألونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربي و ما أوتيم من آلعلم إلّا قليلاً]؟(3), خصوصا بعد ما كشف الروس من خلال تجربة أجريت على إنسان حُكم بآلأعدام؛ بأنها طاقة معينة على شكل ضباب يخرج من جسد الأنسان, وحين حاصروه في زجاجة مغلقة بإحكام .. بدأت كغيمة تحوم بداخلها ثم خرجت لبارئها.

هل ستبقى(آلرّوح) لغزاً مبهماً حتّى النهاية!؟

لقد أخطأ البعض من آلذين أشاروا إلى أن مركز ألرّوح في آلمخ وآخرين في الدم, حيث أثبتَتْ ألتجارب الطبيّة, بأنّ جسم الأنسان يبقى حياً حتى لو تمّ فصل المُخ عنه, بل فصل آلرأس كلّه .. و أنْ كان آلجسد لا يعمل عندئذٍ بكفائته العاديّة لفقدانه مركز الأدارة (ألمخ) .. لكن الرّوح تبقى فيه فاعلة, أيّ إنّ صاحبه لا يُغادر عالم الحياة, و كذلك الأمر مع القلب ألذي يعمل كمضخة لتغذية الجسم بآلدّم ألمُحمّل بآلغذاء و الهواء, و يعني

أمكانية إستبدال هذا آلعضو ألحيوي بمضخة إصطناعية أو حتّى بقلب خنزير – كما يفعلون - كونه يُماثل قلب الأنسان, و هذا ما يحدث أثناء العمليات الطبية الكبرى, و مع ذلك يبقى الجسم و آلعقل و الفكر يعمل بشكل طبيعي!

وآلروح مقسمة لخمسة أجزاء,هي : روح القدس ؛ روح الشهوة ؛ روح التسلط ؛ روح التكبر ؛ روح الأيمان.
و ما يُمكننا التوصل إليه هو أن جسم الأنسان بكل محتوياته يتفاعل بعضه مع بعض بشكل عجيب و دقيق, و هناك علاقة تبادلية بين الجسد و الرّوح (فآلجسد لو كان سليماً فأن الروح تعمل بكل كفائتها و يكون صاحبها مبدعاً, و كذا الروح لو كان سليماً فأن الجسد يكون سليماً), و ليس من السهولة معرفة و حلّ هذا اللغز .. على الأقل في زماننا هذا, و لعلّ هذا الأمر يُجسّد معنى الآية التي أشار لها الباري تعالى بآلقول:- [سنُريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه آلحقّ](4).

فآلقضية ليست دينيّة بحتة, حيث تحدّى ألباري تعالى ألعلماء جميعاً بتلك آلأشارة؛ بلْ بإشاراتٍ عديدةٍ وردتْ في آلقرآن ألكريم, و هذا آلموضوع حيّر آلجميع حقيقةً, فعلماء ألأحياء لم يستطيعوا إلى الآن فهم طبيعة ألرّوح, و كيفية نشأة الحياة في المادة ألجامدة .. بل إن السؤآل ألذي يطرح نفسه هو؛ هل هناك أساساً شيئاً في الوجود لا حياة فيه و يُصدّق عليه كلمة الموت و السّكون؟

أم أن كل شيئ يتحرك و فيه آلحياة و آلحيوية و آلملكوت, لكننا لا نستطيع إدراكها ذلك لمحدودية قوانا و عقولنا!؟
إن قول بعض العلماء بأنّ المادة الحيّة(ألسايتوبلازم) هي المسؤولة عن حياة الخلية و بآلتالي سريان ألحياة في ألجسد, هو كلام غير دقيق! و ليس هو الجواب ألشافي و آلكامل لحقيقة الحياة! فآلسّؤآل عن ماهيّة ألرّوح لم يتمّ الأجابة عليه بمجرّد إطلاقنا صفة ألحيوية على المادة الحيّة(السايتوبلازم) من حيث عدم معرفتنا بسرّ الحيوية ألتي تحرك و تجعل مكونات الخلية كأصغر جزء للجسد؛ حيّاً و فاعلاً!؟
و ليس هذا فقط بلْ إن آلكروموسومات و التي هي جزء من آلخليّة – على صغرها – هي المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية و الكثير من الطبائع الأنسانيّة في البشر جيلاً بعد جيل!

فكيف يتمّ ذلك!؟
و من وراء تلك آلأسرار!؟

بلا أدنى شك لا يُمكن أن يكون وراءها مجرّد مواد مصنعة من الكربونات و الغازات و المكونات الأخرى ألمعروفة للخلية, لكونها غير عاقلة و هي نفسها المواد التي تُشكل وجود الكائنات المادية الأخرى في الوجود كآلتراب و الشجر و الحجر و جسد الأنسان, لذلك لا يُمكنها – أيّ ألخليّة بتلك المكونات ألمجرّدة - أنْ تُحدّد و تُبرمج نفسها لتنتج ما أشرنا إليه من آلصّفات و آلأفعال و آلخلق!

هذا بحقّ هو الموضوع ألذي ما زال يشغل بالي منذ سنوات عديدة,بل من الصغر, من حيث أنّه لا أحد يعرف [...كيف بدأ آلله الخلق], سوى القول بأنها القدرة الألهية .. بل تباهى الباري و تحدّى الجميع بقوله: [هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه](5).

ولا يملك العلم سوى نظرية (البك بن) التي ما زالت نظرية .. تحتاج للكثير من الزمكاني لإثباتها.

رغم آلتقدم ألعلميّ لكنه و إلى يومنا هذا لا أحد يعرف كُنه الرّوح و ملكوتها و تكوينها, بلْ لا أحد يعرف كيف

يتمّ التنسيق بين العقل و القلب و الجسد و بآلتالي ألأرتباط بآلغيب, كلّ ما أستطيع قوله, هو؛ أنّ الرّوح طاقة تُحرّك و تُفعل الجسد الأنساني و تُنظم ألأرتباط بين آلحواس وباقي أعضاء جسد الأنسان لتجعله حيّاً عبر تأمين ألأتصال بينهُ و بين خالقه تعالى.
و لفظ الجسد في القرآن جاء تعبيراً عن الهيكل(ألبدن) المكون من آلدم و العظم و اللحم و العروق, حيث يتكون كل جسم من 100ألف مليار خلية, لكن حينما يقترن ذلك الجسد(ألبدن) مع الروح يُسمى جسماً, و إنْ كان معزولاً عن آلرّوح .. أو لا روح فيه .. فيسمى جسداً.

كما قال الله تعالى في سورة المنافقين: [و إذا رأيتهم تُعجبك أجسامهم و إن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشبٌ مسنّدة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فإحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون](6), و هذه الآية تُشير من جانب آخر إلى أن آلأنسان قد يُحجّم روحه التي بين جنبيه لأبتعاده عن الله و فعل الخير و الإتيان بفعل الشر بحيث لا يبقى من وجوده سوى هيكلاً كخشبة .. كما عبّر عنه القرآن الكريم, كما أنّه تعالى حين أراد آلتعريف بطالوت في سورة البقرة قال: [إنّ الله إصطفاه عليكم و زاده بسطة في العلم و الجسم](7), و لم يقل بسطة في العلم و الجسد, لأنه يتكلم عن جسد مقرون بآلروح.
كما أن الروح حين إتصالها بآلجسد لا يُقال لها روح حينئذٍ .. بل تُسمى بآلنفس كما أشرنا, و لو إنفصلت عن الجسد تسمى بآلروح, و قد أسند الباري تعالى لهذه النفس أعمالها بآلقول: [أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله و إن كنت لمن الساخرين](8), ذلك أن إرتكاب الذّنوب أو أي عمل يتحقّق من خلال وجود الروح داخل الجسد(ألحواس), و لذلك أشار تعالى بآلقول: [و نفس و ما سوّاها, فألهمها فجورها و تقواها](9).
و قد خلق الله تعالى الأرواح قبل آلأجساد إلّا نبينا آدم عليه السلام, حيث خلق آلباري جسده أولاً ثم نفخ فيه من روحه ثانياً, و لذلك فأن الميثاق الذي أخذه الله علينا في عالم (ألذّر) كان من خلال الأرواح, و كما جاء بيانه في سورة الأعراف / 172.
ما يهمنا أيضاً من مسألة الجسد و الروح هو أنّ الروح تدخل الجسد بعد الشهر الثالث من عمر الجنين, لهذا لا يجوز ألأجهاض بعد إتحاد الروح مع الجنين, لأنّه يُعدّ بمثابة قتل النفس, كما إنها تخرج من الجسد بعد مجيئ الأجل من خلال الحلقوم كما عبّر القرآن الكريم بآلقول: [فلولا إذا بلغت الحلقوم ...](10), حيث يتذوق الأنسان الموت كما نتذوق الأطعمة؛ [كل نفس ذائقة الموت و إنّما تُوقون أجوركم يوم القيامة](11).

إن ما نريد التأكيد عليه هو أنّ الروح هي الأساس و آلأصل الذي يبقى و إن الأجسام في حالة تغيير دائم, حيث تتغيير خلاياها كلّ سبعة أشهر بشكل طبيعي و تتفسخ كلياً بعد الموت - إلا أجساد المعصومين - و أن مليوني كرية دم تتغيير كل ثانية, لذلك فأننا نرى بأنّ آلروح هي الضمان ألثابت لتغذية الوجود الأنساني بآلطاقة اللازمة كي يكون مُنوراً و مُشعاً عبر سلوكه في الحياة لخدمة عباد الله و بآلتالي ألخلود في هذا الوجود, فما هي الوسائل التي تساعد في تحقيق ذلك؟

يمكننا تلخيص آلأمر ضمن معادلة, الطرف الأول فيها هو: ألأبتعاد عن الحسد و التكبر, والطرف الآخر هو: تهذيب النفس بآلعبادة و ترويضها على عمل الخير و آلأنتاج, و يحتاج ذلك إلى الصبر و المطالعة و التحقيق و عدم الأكتفاء بحدود المسائل الفقهية(ألرسالة العملية) أو التخصصات الطبيعية وحدها .. لأنها تُجمد حركة الأنسان و دوره آلواسع في الحياة, إن ما يؤسف له اليوم هو حال ألمتدينيين ألتقليديين و آلمُعمّمين ألطفيليين ألذين لا يعملون و لا يُتقنون مهنة معيّنة, بل يريدون آلعيش على جهود و تعب الآخرين, و سبب ذلك هو قصور فهمهم لحقيقة الوجود و أسرار الكون و أحكامها, لعدم معرفتهم بأسرار الأحكام و البعد العرفاني للدين في الحياة و الوجود, و بغير تلك المعرفة فأن آلمُتديّنين و آلدين سيكونان آفة المجتمع و الأنسان!

و من أهمّ ألمبادئ ألعلميّة ألتي على ألسّالك الكونيّ معرفتها, هي ألأنتباه لغريزة حبّ الذات ألتي هي من أقوى الغرائز في آلنّفس و ذلك بتهذيبها و عدم السماح بآلأنتصار لها, لكون آلذات الأنسانيّة ترتبط و تأنس بآلحواس ألتي من خلالها تتحقق إشباع الشهوات المتعددة في وجود الأنسان, من هنا فأن الأستغناء عن العباد هو الطريق الأمثل و الأقوى لتحقيق الأمان و الأستقرار و السعادة في النفوس, و صدق من قال بأن القناعة كنزٌ لا يُفنى, يقول أبي ذؤيب الهذلي:
و النفس راغبة إذا رغّبتها .. و إذا تُردّ إلى قليل تقنع.

و من هنا يتحدد شخصية الأنسان إن شراً أو خيراً, فإطلاق العنان لنيل الشهوات و آلرغبات يحتاج إلى الصراع مع الآخرين و التداخل في حقوقهم و بآلتالي ألظلم, أما القناعة و التعامل مع الناس على أساس القوانين الألهية و المحبة و العشق و آلأيثار فأنه يضمن للأنسان عدم تجاوزه للحدود الشرعية و الأنسانية!
إن الوقوف على آلأمر الذي تقدّم بيانه يحتاج إلى معرفة النفس و خصائص الروح و حقيقة الحياة و الموت, و كما بيّنا سابقاً فأن تلك المعرفة تؤدي إلى معرفة الله و الوجود ككل, تلك المعرفة التي تسبق التعلم لكون الأفكار كائنات أزلية إنطبعت على النفس قبل إتصالها بآلبدن و جاءت تجربة الحياة مُوقظة لها بحسب إعتقاد أفلاطون, و أن أصل المعرفة من الله تعالى ألذي أشار لها بآلقول: [سنُريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم].

و آلهدف ألنهائي من هذه (المعرفة الكونيّة)؛ هو إيجاد النظام الأجتماعيّ الذي يتشعّب و يُؤثّر على جميع الأنظمة الأخرى؛ لتحقيق ألعدالة و آلسّعادة في البشريّة, و هذه الحالة تتحقّق عبر المراحل التالية:

معرفة النفس ثمّ ألله ثمّ ألوجود – لتقرير ألنظام الأجتماعي ألكونيّ – لسعادة البشر.
للوقوف على حقائق المعارف ألعظيمة التي أشرنا لها؛ لا بدّ من بحث ألأصول الأجتماعية للأفكار التي توصل إليها الفلاسفة و إرتباطها بآلواقع الأجتماعي و دراسة السلوك الأنساني وقد إختصر القرآن ألطريق لنا, كما أكّدتْ نظرية ماسلو(1907 – 1970م) على وجوب وجود ألرّوحِ ألطيّبة كي يتمّ بها تنفيذ و إتّباع آلنظام الأجتماعي ألآمن و ألأمثل, فآلرّوح هي آلأساس في عملية التغيير و آلأصلاح و آلبناء و آلابداع, و تحتاج إلى أجواء الأمن و الحريّة و الأستقلال و الأكتفاء, و إتفق الفلاسفة بأن آلكشف عن معايير المعرفة يتمّ عبر مثلث العقل(ألظاهر) و الحواس و القلب(ألعقل الباطن) و هو الأهم(12), و الفيلسوف "كانت" هو الوحيد و آلأوّل ألذي حاول التنسيق بين الحقوق الطبيعية و الخصائص الروحيّة.

حقيقة الواقع الأجتماعي في دول الشرق أنّه و إلى الآن لا تُوجد فيها معايير إسلاميّة – أنسانيّة ولا حتى (ماسلوية), رغم آلأكثريّة الأسلاميّة و وجود المرجعيات و المصادر و آلمآثر و مرور أكثر من 14 قرناً على نزول ألرّسالة الأسلاميّة بسبب فصل ألدّين عن السّياسة, و إهمال دور العقل, و تبدل ألدين ألحقيقي الذي أتى به الرسول الكريم(ص) و طبّقه الأمام علي(ع) في حكومته العادلة على مدى 5سنوات في أواسط القرن الأول الهجري, فآلحكومات المتسلطة على دولنا آليوم تفعل ما تشاء و تُخطط و تسن ألقوانين كيفما إتفقت أهوائها و مصالحها, و آلدّولة الأسلامية المعاصرة وحدها من بين 56دولة إسلامية في العالم تُحاول تطبيق الأسلام رغم مواجهتها آلمستمرة لحروب شرسة من قبل الطامعين في الشرق و الغرب, لهذا نراها تتقدّم ببطء و صعوبة نحو آلكمال لتحقيق ألعدالة و السعادة في المجتمع بسبب تلك الضغوط.

ألمطلوب أولاً و قبل كلّ شيئ هو الجواب على الأسئلة ألستّة(13), و معرفة حقائق الوجودو متطلبات الحياة و في مقدمتها الأنسان كما هو لا كما يراه ذات الأنسان المعني, بمعنى أننا لو أردنا أن نعرف ما هو المفيد للكلب مثلاً علينا دراسة طبيعة الكلب, و آلمسألة تتعاظم حين نواجه الأنسان, حيث يتطلب ألكثير من التنظير و آلتدقيق و معرفة أحكام السماء بجانب آلنظريات المختلفة بشأن أصل الأنسان و ماهيته و طبيعته النفسية و

آلقوى الخافية فيه ثم طبيعة العلاقات الأجتماعية لتكتمل نظرتنا للأمر و بآلتالي نتمكن من تحديد ألقوانين و الحقوق الطبيعية ثم الحقوق الأخرى كآلمساواة و العدالة للمجتمع.

هناك عقبات أمام هذا الجانب من النظرية, أهمها و بحسب إشارة ألمفكر الألماني"كُوته" ألذي تأثر بأفكار "إسبينوزا", يقول؛ [أن الأنسان يعرف نفسه بقدر ما يعرف العالم], و قد سبقهم آلأمام علي(ع) في المضمون بأكثر من 14قرناً, و أن "هيجل" يرى أن نموّ كلّ القدرات؛ ألكفاآت؛ و القدرات الفردية – أي الأبداع و الأنتاج - هي بسبب آلقوة الذاتية(الارادة) الأنسانيّة و ليس التأمل و آلخيال و التمني, أي عبر الكفاح و الجهد ألعملي المتواصل.

كما يرى "إسبينوزا" و "كُوته" و "هيجل" و "ماركس" بأنّ آلأنسان يكون حيّاً بمقدار ما ينتج, و إن حجم إنسانيته يتجلى بمقدار عطائه و أبداعه للأمة, و بغير ذلك يكون الأنسان إنفعالياً و طفيلياً و لا وجود حقيقي له, بل يُعدّ من الأموات.

ألأنسان يعرف من خلال ألحركة, و بنظر العارف الكبير "يعقوب بوهم"؛ [أن أصل الحركة لا تتحدّد ميكانيكياً, بل يجب أن تتلقى كَمَيْلٍ ذاتيّ و علاقة وجودية مع الأنسان, و فهمها و تلقيها كسرّ الحياة و طاقتها](14).

إن البعيد عن أسرار النفس آلأنسانية و عن حركة الحياة ألأجتماعية و الوجود يكون غريباً عن العالم, و لا يُمكنه ألتّلذّذ بطبيعة الحياة و جمال ألوجود و كأنه غريب في هذا الوسط, و من أجل درأ تلك آلغربة عن آلأنسان لا بُدّ من تفعيل طاقاته و أمكاناته حتّى يألف نغمة الوجود و حركة الحياة و يستأنس بالموجودات, و بآلتالي ليكون كلّ شيئ بآلنسبة لهُ معروفاً كما هو معروف لأشيائها و مكوناتها .. خصوصاً ألأنسان في هذا آلوجود.

أتعجّب كثيراً من آلحكام و آلسياسيين و رجال آلدّين" – ألمُترفين ألذين آثروا حياة الراحة و آلدّعة على العمل و الأنتاج و الأبداع ناهيك عن التطبيق - كيف أنهم يستسيغون حياتهم, خصوصا اؤلئك الذين يعلمون بأنهم يفعلون الحرام و يسرقون الفقراء؟
كيف يمرحون مع أطفالهم و عوائلهم؟
كيف ينامون مع زوجاتهم؟
كيف يأكلون أقوات غيرهم – بأموال الضرائب و الخمس و الزّكاة؟
كيف لا يستحون من أنفسهم على الأقل,أو من المجتمع .. و من كلّ ذرّة من ذرّات الوجود؟
كيف يستسيغون أللعب بأموال و حقوق الآخرين؟
كيف يتهنئون و عوائلهم بآلسفرات و الأزواج المتعددة و الأبناء و الأحفاد العديدين؟
فهل هؤلاء هم الجهلاء ألظالمون حقاً؟

و أذا كانوا كذلك .. فهل الذين ينتمون لمرجعياتهم و أحزابهم و ينتخبونهم هم أجهل منهم و أظلّ سبيلا؟

ما آلحلّ لدرأ كل تلك المظالم و الأنحرافات ألعظيمة ألخطيرة المتجذّرة في مجتمعاتنا و كأنها سنن لا جدوى من تغييرها؟

أسئلة عميقة و مصيرية تفرض نفسها في نهاية هذا الأساس من نظريتنا و تتطلب آلوقوف عندها, نتمنى من

ألمثقفين آلأنتباه لها, كي نكون أهلاً للدخول في معرفة أوسع و أشمل للنفس و الوجود و مكوناته و خالقه في الحلقة القادمة إن شاء الله من خلال رؤية شاملة تجعلنا جزءاً فاعلاً في هذا الوجود, لنتمكن بآلتالي تحديد ألخير و آلشّر؛ ألحسن و القبيح؛ ألنّفع و الخسارة للمجتمع عبر القوانين و الدساتير ألعصرية[لخلق السموات و الأرض أكبر من خلق الناس](15), و الله تعالى هو الأكبر, و لا حول و لا قوّة إلّأ بآلله العليّ العظيم.

---

(1) بحسب المصادر الأسلامية هناك عدّة أنواع من النفوس أهمها:
ألنفس اللوامة, ألنّفس الملهمة, ألنفس ألأمارة, ألنفس ألراضية, ألنفس ألمطمئنة, ألمرضيّة.
يقول أبي ذؤيب الهذلي:
و النفس راغبة إذا رغّبتها .. و إذا تُردّ إلى قليل تقنع.
(2) للمزيد من المعلومات, راجع كتابنا؛ (مُستقبلنا بين الدين و الديمقراطية).
(3) ألأسراء / 85.
(4) فصّلت / 53.
(5) لقمان / 11.
(6) ألمنافقون / 4.
(7) ألبقرة / 247.
(8) ألزّمر / 56.
(9) ألشمس / 8 – 9.
(10) ألواقعة / 83.
(11) آل عمران / 185.
(12) يتكون آلقلب أو اللب ألذي أشار له الباري في كتابه العزيز كثيراً من المكونات التالية:
ألرّوح, فطرة الأنسان, ألذات, ألنّور, طينة الأنسان و تؤثر في تكوينها؛ ألمعلم, و نوع الغذاء و اللباس و البيئة و ألصديق, و هي بإجتماعها و نتائجها تُكون حقيقة و وجود الأنسان,
فلا تصحب أخا آلسّوء .. و إيّـاك و إيّـاهُ,
فكمْ من جـــاهلٍ أودى .. حكيماً حين آخاهُ,
يُقاس المرء بآلمـرء .. إذا ما آلمرء ماشاهُ,
و للشيئ على الشيئ .. مقايـسٌ و أشــباهُ.
أو كقول لبيد بن ربيعة:
ما عاتب المرء الكريم كنفسه .. و المرء يصلحه الجليس الصالحُ.
(13) راجع أسس النظرية المعرفية – ألأساس الثاني, للكاتب.
(14) ماركس, كارل(1979م). رأس المال, المجلد الأول, الدار العربية, ص668 ط1.
(15) غافر / 57.

أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساس ألرّابع

أساسات نظريّة ألمعرفة – ألأساس ألرّابع

ألله جل وعلا

حقيقة الله و الذرة كأساس لمكون هذا الوجود:

في آلأساس ألثّالث كما شهدتم .. بيّنا حقيقة و مكانة ألأنسان, كونه آلبانيّ للحضارة ألّتي يجب أنْ تكون لخدمتة و سعادته لا لشقائهِ كما هو واقع الحال اليوم وبآلأمس و ذلك بتلبية متطلباته ألرّوحيّة و آلعاطفيّة و آلعقليّة و آلماديّة, و من آلخصائص ألّتي أشرنا لها في هذا آلبحث و آلتي يجب إتّصاف الأنسان ألحضاريّ بها هي:

*أن يكون صالحاً .. يحمل في وجوده أعباء ألنّهضة.
*أستثمار ألزمن و إستغلاله.
*توفير ألأمن و الأمان, لأنهما يفتحان مجالات ألأبداع.
*ألتّسلح بآلعلم لأنّ ألمجتمع ألسّعيد لا يتحقّق إلّا بآلعلم.
*معرفة ألبيئة و آلموارد ألطبيعيّة و تثويرها و الأستفادة منها بتصنيعها لصالح الأنسان و رفاهيته.
*تشريع ألقوانين بشكلٍ يتناسب مع مصالح و سايكلوجية ألأنسان ألطبيعيّة و تطلعاته ألماديّة و آلرّوحيّة لتحقيق رفاهيته و سعادته.
*ألتّخلق بمحاسن ألأخلاق حتّى مكارم ألأخلاق, أيّ خلق مَيلاً داخليّاً في وجود الأنسان يدفعه للخير و آلأيثار بآلنسبة لأبناء مجتمعه.
ثمّ آلأيمان ألواعي بآلله و آلأرتكاز على معرفته في نظريّتنا .. هو آلأساس و آلمُرتكز ألرّابع, كونهُ محورٌ هامّ لصلاح ألأنسان و يفتح أمامه آفاقاً رحبة لتحقيق ألمحاور ألتي حدّدناها آنفاً!

فمن هو آلله ألّذي علينا معرفتهُ و آلأيمان به إيماناً حقّاً؟
حقيقة الله تعالى .. و كيفيته .. و شكله .. و ذاته .. و قدراته .. و غيرها من المواصفات و آلأسماء ترجع إلى بداية ألتفكير الأنساني على الأرض, و آلله تعالى كان يعرف بأنّ آلأنسان و لأنه – ظلومٌ جهول – سوف يبحث و يسأل عن تلك الحقائق الكبيرة؛ لذلك نراه تعالى قد بيّن جواب تلك الأسئلة بوضوح من خلال ثلاث أحداث كبيرة كان أبطالها ثلاثة من عظماء المرسلين هم؛ خليل الله إبراهيم(ع) و كليم الله موسى(ع), و الثالث هو حبيب الله محمد(ص), جاءت تفاصيلها في القرآن الكريم و في كتب التفسير, و تعتبر من أكبر الأحداث ألكونية في عالم المعرفة ألأنسانية و كما وردت في أصدق الكتب ألسّماوية و في مقدمتها ألقرآن ألكريم و هي؛

أولاً: قضية **ألشّك ألمعرفيّ للرّسول إبراهيم ألخليل** عليه و على نبيّنا السلام, حيث وردت تفاصيل ألقصّة في سورة ألأنعام(1), حتّى إعترف آلخليل(ع) بقصر معارفه و عظمة آيات الله و براهينه.
ثانياً: **كذلك ألشّك المعرفيّ لدى موسى(ع)** و كما وردت تفاصيل ألقصّة في سورة ألأعراف, أثناء ألميقات(2).
ثالثاً: **ألقصة الثالثة كانت مع رسولنا ألكريم**, أثناء رحلة ألأسراء و آلمعراج, و قد أشار آلقرآن ألكريم لذلك في سورة ألأسراء, و كذلك سورة ألنّجم(3) و غيرهما, حيث بيّنت تلك آلحادثة ألكبيرة لطف لله تعالى و محبّته و إهتمامه آلخاصّ بحبيبه و خاتم رسله.

و آلعارف ألمُتطلّع على تفاصيل تلك آلقصص يقف تماماً على حقيقة الله تعالى و معرفة عظمته و ألطافه, تلك آلحقيقة ألتي يجهلها حتى المدّعين للدين و المرجعية(4) و لعلّ كلّ إنسان مُتطلّع بوعي نحو الحقيقة له تجربتة آلذاتية في معرفة الله .. بل ربما تجارب معرفيّة و كشفيّة عديدة و خاصة في هذا المجال تعرّف من خلالها على أدوار و ألطاف الله و عظمته و قدرته في آلوجود, فآلطرق إلى معرفة الله بقدر أنفاس الخلائق.

إنّما أراد الله تعالى أن يُبين للبشرية من تلك الوقائع الكبيرة حقيقته و عظمته و إختلاف سنخيته تعالى عن سنخية البشر و بآلتالي عدم قدرتنا على رؤيته من خلال الحواس المحدودة التي نملكها, و أن معرفته بآلنسبة للخلق من خلال الفكر أيضاً يتناسب مع مدى قدرة كلّ فكر و عمقه و شموليته لإستيعاب صفاته و أسمائه و افعاله!

إن تركيب ألذّرة و مكوناتها كما أشرنا في موضوعات سابقة .. قد أزاحتْ ألسّتار عن حقيقة ألمادّة ألصّلبة, كونها مجموعة كبيرة من آلذّرات ثمّ آلجّزيئات تتّحِدْ لِتَتَحَدّدْ وجودها عبرَ آلأهتزار (آلتّردد) كقانون عامّ لكلّ مستوىً من مستويات ألوجود ألماديّ . و قد صنّف آلعلماء منذ بداية آلقرن آلماضي تلك آلموجات إلى نوعين : هما
ألأوّل : ألموجات آلمُعبّأة و تسمى بـ (ألمادّة), و تضمّ كلّ ما يتعلق بالوجود المشهود و آلأشكال ألخارجية.
ألثّاني : ألموجات آلمُمتدّة و تسمى بـ (ألضّوء), و تضمّ كلّ ما تحتويه جواهر آلأشياء و آلجّسم ألأثيريّ.

و بتطور علم ألفيزياء ألذّريّة في أواسط ألقرن آلماضي .. وصل آلعُلماء إلى إكتشافات دقيقة و عجيبة أبهرتهم, حتّى آمن جميعهم بوجود آلله تعالى بشكلٍ مُطلقٍ و كان منهم "آينشتاين" نفسه و "كيرليان" مكتشف آلجسم ألأثيريّ و "كاكارين" ألرّوسي ألذي يُعتبر أوّل رجل من الأرض وصل إلى سطح آلقمر, فقد برهنت ألتّجارب آلعلميّة على أنّ كلّ شئ في آلوجود يهتزّ ضمن مرتبة مُعيّنة تمكّن آلعلماء من قياس موجاتها, حتّى تأكّد لديهم أنّ آلفارق في مستوى تردّد و طول آلموجة آلمُخْتصّة بكلّ موجود هوآلفارق بين آلموجودات ألظاهرة لعيوننا كأشكالٍ و أحجامٍ تجمع مكوناتها آلعناصر آلأربعة : (ألماء و آلهواء و آلتراب وآلنار) ـ فكلّ ما نلمسه أو نراه أو نسمعه أو نشمّه أو نتذوقهُ؛ ليس إلاّ كيان أثيريّ في درجة إهتزاز معينة, إذ لا وجود في آلأصل إلاّ لحقيقةٍ واحدةٍ تتوّلد منها كافّة ألتركيبات ألوجوديّة "الهيوليّة" , و كلّ قوى آلطبيعة صادرة عن ناموس واحد, مُتَفَنّنٌ في تركيبه و مفاعيله يحيى و يتواجد من خلال مبدأ آلحركة آلتي تضفى على صفة آلوجود ألحياة و آلجّمال و آلتّغيير آلمطرّد, من خلال ألتّحوّل وآلتّبدل و آلأستحالة؛ كتحويل ألسّائل إلى بخار بفعل آلحرارة أو إلى حالة آلمادة (ألأنجماد) كآلثلج عند إنخفاض درجة الحرارة.

و يتّفق جميع آلعلماء أيضاً على عدم وجود أيّ إنشاء حقيقي للمادّة, و على أيّ نحو, و إنّما هو تحوّل من حالة إلى حالة و بإستمرار بحيث يُمكننا آلقول بعدم وجود ثابت مطلق في آلوجود بسبب ذلك إلّا آلمصدر آلذي أشرنا لهُ بعد إثباته علمياً .. فقد برهنَ آلعِلم أمْكان تحوّل ألمادّة إلى طاقّة ثمّ إلى ضوء (إشعاع), و آلضّوء (آلأشعاع) لا يُفنى لأنّها تمثل آلجوهر, و من هنا وصف الباري نفسه بـ (النور) في سورٍ و آياتٍ عديدة(5)!

نظريّة ألأهتزار؛ آفاقٌ و حقائقَ رهيبة

إنّ نظريّة آلأهتزاز (ألتّذبذب) ليستْ نظريّة علميّة هامشيّة كما تُدَرّس في آلمعاهد و آلجّامعات كظواهر علميّة مجرّدة, بلْ تُفيد كونها أصلاً لأثبات ألرّوح و آلوجود بشكل مُغاير لما في ذهن آلناس و آلمُدّعين للدِّين, و عليه يتوقّف خضوع ألموجودات لأدراكنا و حواسّنا , أو إفلاتها من مدى آلحواسّ و قدراتها, حيث ثَبَتَ عِلميّاً أنّ حواسّنا لا تُدرك سوى جزء محدود من تموّجات ألكون و مراتبه, في حين يغيب كلّ ما عداها, و ما أكثرها عن حواسّنا!

فقد أثْبَتَ ٱلعُلماء أنّ كلّ ما في ٱلكون ٱلماديّ ٱلمرئيّ بٱلنسبة للأنسان يتردّد ضمن 34000 – 64000 موجة/بوصة .. تُمثل إهتزازات ٱلطّيف ٱلمنظور و ٱلّتي تقع ما بين إهتزازات ٱلأشعّة دون ٱلحمراء و ٱلأشعّة فوق ٱلبنفسجيّة.

و كما ثبت علميّاً أيضاً بإنّ كلّ شيئ يهتز يكون لهُ موجة, و لكلّ موجة تردّد و طول مُعيّن؛ لذا يتوقّف معرفة و خضوع أيّ شيئ لحواسنا على درجة تردّده و طول موجته, و كلّما كان تردّد ٱلشّيئ عالياً كانَ أكثر رقّةً و شفافيّةً, لهذا فٱلغازات أسرع من إهتزازات ٱلسّوائل, و إهتزاز ٱلسّوائل أسرع من إهتزاز ٱلمواد ٱلصّلبة , و لكون معدن ٱلألماس أصلب ٱلمعادن؛ لذلك فأنّها أبطأ ٱلمواد إهتزازاً.

و إستناداً إلى ٱلأثبات ٱلعلميّ ٱلآنف فإنّ ٱلعين ٱلبشريّة ٱلعاديّة تتأثر ببعض ٱلأشعاعات دون غيرها, فما تأثرت به إعتبرتهُ عقولنا ضوءاً, و ما لم تتأثّر به إعتبرتهُ عُقولنا ظلاماً و ربما عدماً, و هي لا تتأثر من أشعة ٱلطيف ٱلشّمسي إلاّ بما يقع بين ٱلّلونين ٱلأحمر و ٱلبنفسجي, فما نقص عن ٱلأول في طول موجته و ما زاد عن ٱلثاني في طول موجته لا تتأثر به, و كذلك ٱلأمر بالنسبة لآذاننا, فأنها لا تلتقط أيّ صوت إلاّ إذا تراوحت ذبذبته بين 20 و 20000 ذبذبة في ٱلثانية , أيّ أن ٱلبشر لا يُدركون سوى أحد عشر سُلّماً و نصف من ٱلسّلالم ٱلصّوتيّة, أمّا بلايين .. بلايين ٱلسّلالم ٱلأخرى؛ فلا تدرك أسماعنا منها شيئاً رغم إحاطتها بنا من كلّ إتّجاه, أمّا أعيننا فأنها تُدرك سُلماً واحداً فقط من بين بلايين ٱلموجات ٱلضوئية.

بإختصار أنّ ما نُريد قوله هو أنّ عالم ٱلرّوح و ٱلمادة هُما أشكال مُختلفة من مادّة موجيّة سائلة, و إن هذه ٱلمادة ٱلسّيالة لو حازت على تذبذبات بطيئة فأنها تتّخذ خاصّية ماديّة يُمكن مُشاهدتها بالعين, و نسميها في علم الفيزياء بالمادة, و أما لو إمتلكت إرتعاشات (تذبذبات) سريعة فأنّها تفقد ٱلصفة ٱلمادية و نسميها في ٱلفيزياء بالأثير (أتري) حيث تشمل عالم ٱلأرواح أيضاً, و بما أن شبكيّة ٱلعين غير قادرة على رصد ٱلأرتعاشات ٱلسّريعة ٱلّتي تزيد على 64000 ألف موجة؛ لهذا لا نتمكّن من رؤية ٱلرّوح أو عالم الأرواح أو ٱلأجسام الأثيريّة ٱلّتي تتذبذب بسرعاتٍ خارقةٍ!
و قد سبق أنْ أشرنا إلى إلى أنّ ٱلحرارة و ٱلضّوء و ٱلكهرباء هي حالة نهائية تُمثل آخر مراحل ٱلمادّة قبل أنْ تختفي في ٱلأثير .. عندما تفوق سرعتها سُرعة تردّد ٱلحدّ ٱلأقصى من تردّد ٱلمادة, و لو فرضنا عبور تلك ٱلسّرعة ضمن أجواء معيّنة .. سُرعة ٱلضّوء .. و مع إعتمدنا ٱلبوصة في ٱلقياس؛ فإنّ سرعة إهتزازها ترتفع إلى فوق الـ 64000 ذبذبة في ٱلبوصة, و لو إنخفض إلى ما دون 34000 موجة في ٱلبوصة بسبب مرتبتها في ٱلوجود؛ فأنّها تختفي نهائياً عن حواسّنا , لكنها تبقى موجودة في مكان مّا من رُتب ٱلوجود ٱلهائلة و ٱلّتي لا نَدركُ عن حقيقتها ٱلشّيئ ٱلكثير!

من هُنا نعلم مدى قصور حواسّنا ٱلتّي لا يُمكنها أن تَصلح كمدخل حقيقيّ لأيّة مَعرفةٍ حقيقيّةٍ, خصوصاً معرفة الله تعالى؛ لذلك علينا أنْ لا نُعوّد أنفسنا على إعتبار كلّ وجود تُطالهُ حواسّنا هو ٱلوجود ٱلحقيقي فقط, بلْ ٱلحقيقة و ٱلجّوهر تكمنان في ما وراء هذا ٱلوجود ٱلماديّ ٱلمحدود, خصوصاً بعد كشف تكنولوجيا (النانو) الذي سهلّ ٱلكثير من الأمور و الأكتشافات العلمية الدقيقة, لكنه في نفسه الوقت أظهر تعقيدات جديدة لمكونات مكون الوجود.

لقد فتحت هذه ٱلنّظرية ٱلعلميّة أمامنا آفاقاً جديدة في معارفنا .. للأيمان بأكوانٍ لا عدّ و لا حَصْرَ لها, تداخلتْ بقدرة صانع حكيم مع بعضها في أنساقٍ و كياناتٍ إخترقتْ بعضها ٱلبعض و لا نعلم عن تفاصيلها ٱلكثير, و

من دون أن يَشْعُر أحدُها بوجود آلآخر نظراً لتغاير رُتبها و كيفياتها في آلتردّد و آلتّداخل و لهذا ما زالت خافية كيفية الأنفجار الكبير و مراحله و نقطة البداية بشكل خاص.

و لعلّ (آلصحون آلطائرة) آلتي شُوهدت مرّات عديدة في كثير من بقاع آلدّنيا؛ هي إشارةٌ بسيطةٌ و واضحة تحكي جانباً من تلك آلأسرار آلّتي أشرنا إليها, كدلالة على وجود مخلوقات و أرواح مُتطوّرة علينا نسبيّاً .. إستطاعت إختراق عالمنا .. من عوالم و رتب أخرى ما زلنا عاجزين عن مشاهدتها و إدراكها - بفعل تقدمها التكنولوجي و العلمي و الرّوحي, و قد حَجَبَتْ مُنظمة الفضاء الأمريكية(ناسا) معلوماتاً هامّة عن هذا الموضوع و لا تنشرها وسائل آلأعلام عادةً للناس خوفاً من سريان ألأيمان بآلغيب و آلرّسالات ألسّماوية, و قد إدّعتْ كذباً بأنّها إمتنعتْ عن نشر ذلك خوفاً من سريان ألرّعب و آلشّك في آلمجتمعات آلغربية آلتي بدأتْ تُحبّذ آلبحث و آلغوص في آلغيب و في مثل تلك آلموضوعات آلتي قد تُخرجهم من آلحدود آلمادية آلضيقة و آلأزمات الرّوحيّة آلتي أحاطت بهم من كلّ جانب و مكان!

لقد أشار العالم المعروف(جيفونوس)(1835 – 1882) في مؤلفه(مبادئ العلم) إنّه قد يُوجد هنا آلآن كوكب غير منظور منا يخترق بمحيطاته و بحاره و أنهاره و جباله و مُدُنهِ و سُكانهِ, عالمنا هذا بما فيه من أجسام و كائنات تتجاوز في إهتزازها .. إهتزازات ألأشياء المُحيطة بنا, لذلك لا تقدرحواسنا على إدراكها!

إثبات وجود الله

إذن نصل بعد آلبحث آلآنف إلى إستحالة رؤية الله من جانب .. و كذلك إلى عظمة الله كأصل في هذا آلوجود, فبدونه تعالى يستحيل قيام ألمخلوقات ألأخرى ألتي ملكوتها بيد الباري تعالى(6), لهذا لا يبقى أمامنا سوى إثبات وجود الله عن طريق ألفكر(ألعقل ألظّاهر) و رؤيته عبر القلب(ألعقل ألباطن), و يتمّ ذلك من خلال معرفة و تحليل صفات الله تعالى ألثّابثة و آلذاتية, و يتمّ مشاهدته عن طريق ألشّواهد ألقلبية ألمترجمة من الواقع كإنعكاسات تصديقيّة, و آلتي من خلالها يتحقّق أليقين في وجود الفرد, تلك آلقضيّة ألتي أكّد عليها آلأنبياء و آلمرسلين لتحقيق ألتّكامل ألأنساني ألذي من خلاله يتمّ بناء ألحضارة ألأنسانيّة و المجتمع ألسّعيد على أحسن وجه, فما هو آلسّبيل لأثبات وجود الله و معرفة صفاته؟

يتّفق ألنّاس جميعاً بأنّ آلمنطق ألعلميّ ألسّليم هو آلسّبيل ألوحيد لإثبات وجود الله تعالى, ثمّ معرفة صفاته, فآلكل يتّفق على أنّ لكلّ فعل فاعل و لكلّ شيئ سبب, و لا يُستثنى من ذلك شيئ حتى آلوصول إلى علّة ألعلل ألتي هي الله تعالى!

لا شيئ يأتي من آلفراغ أو ألعدم, فآلمنطق و آلعلم يؤكّدان بأنّ هناك مَنْ أَوْجَدَ آلكون, و سواءاً كان إسمه الله, أو ألخالق, أو ألمُبدع, فليس لذلك تأثير على أصل ألحقيقية, فآلكون كلّه .. بما فيه؛ يدلّ دلالة كافية على وجود آلخالق, و هذا هو آلأهمّ.

أمّا معرفة صفات هذا آلخالق فيتمّ عن طريق دراسة و متابعة ما أنجزهُ من أعمال و مخلوقات, فآلكتاب؛ على سبيل ألمثال .. يدلّ على فكر ألكاتب و ثقافتة و قدرته على آلتّحليل, و كذلك آلمنتوجات ألصّناعية تُدلّل على مستوى آلتقدم التّكنولوجي و آلعلميّ للشّركة أو ألدّولة ألمُصنّعة لها, و إذا إستخدمنا هذا آلمنطق ألأستدلاليّ ألعلميّ ألرّصين ألواضح مع آلكون و آلمخلوقات ألّتي فيه لإستطعنا آلتّوصل إلى صفات ألصّانع ألعظيم, فآلأرض و آلسّماوات و آلمجرّات و ما فيها من آلماء و آلهواء و آلتّراب و آلطّاقة و جمال ألطبيعة و دقّة خلايا و مكونات جسم ألأنسان و آلحيوانات و حكمة ما فيها من تفاصيل و أهداف, و آلتّوازن ألرّهيب في حركة ألأفلاك و آلمجرّات طبقاً لقانون ألجاذبيّة و آلحركة و تبدل الليل و آلنهار .. و كلّ ما توصل لها آلأنسان من

علوم و أكتشافات؛ كلّها تدلّ في آلنّهاية على عظمة و علم و قدرة و حكمة و دقة و جمال و عدالة ألخالق جلّ و علا!

و سواءاَ إتّفق آلنّاس أمْ لمْ يتّفقوا على رأي واحد .. على سبب خلق الله للوجود و آلأنسان, و كذلك سبب وجود ألألم و آلصّعوبات في آلحياة؛ فأنّ هذا لا يُغيّر شيئاً من آلحقيقة ألمطلقة ألتي أشرنا لها .. حيث إتّفق جميع ألعلماء و آلعقلاء بوجود خالق عظيم لهذا آلوجود .. أسموهُ آلمؤمنون بـ (ألله) جلّ جلاله, أمّا سبب خلقه تعالى للأنسان و آلوجود فهذا ما سنبحثه مفصّلاً و بشفّافية في آلأسس و آلبناآت ألباقية لنظريّة ألمعرفة إنْ شاء الله.

جميع الديانات؛ ألأرضية و السماوية(7) يؤمنون بوجود الله في كل مكان, و هذا آلأمر في الواقع يؤسس لنظرية وحدة الوجود بكون الله تعالى موجود في كل شيئ و في كل مكان, و قد خالف بعض الأسلاميين هذه النظرية .. بدعوى إختلاف السنخية الألهية عن سنخية المخلوقات و لا يُوجد في الكون شيئ مماثل له تعالى, لكن الفريق المؤمن بـ(وحدة الوجود) يرى أن ملكوت الله في كل مكان و هو السبب في حركة الحياة و الكون و بدونه لا وجود لشيئ في هذا الوجود, و سنبحث تفاصيل الموضوع لاحقاً إن شاء الله.

إن الله تعالى لا يتحدّد بوصف ماديّ كما يعتقد بعض المسلمين للأسف بإمتلاكه تعالى للأيدي و آلأرجل و العيون كهيئة الأنسان, صحيح إنّ الله لديه المعرفة الكاملة و هو القادر على معرفة و رؤية كلّ شيئ و في أي مكان و زمان و في آن واحد و شاهد دائم على كل ما يجري في الوجود .. بل يعرف ما كان و ما سيكون حتى آخر الشوط - أن كان هناك آخِر لأمر ألوجود .. لكنّ ذلك لا يتحقّق لدى الباري بأجهزةٍ و حواسٍّ محدودةٍ كتلك التي نملكها, و ما ورد من صفات معيّنة للباري في القرآن الكريم .. كقوله: (يد الله فوق أيديهم ...) و غيرها من آلتشبيهات؛ إنما هي إشارات و تشبيهات لتقريب ألمعنى إلى أفهامنا كدلالة على قدرة و عظمة الله تعالى, و لا يعني بأنّ لله يدٌ أو ما شابه ذلك!؟

إنّ آلقرآن ألكريم يُعطينا فهماً أكثر تفصيلاً دقّةً وعن صفات الله تعالى ليكون قريباً و متجانساً مع ذهن البشر و قدسية الله تعالى و إختلاف سنخيته .. سنتطرّق لها لاحقاً.

من هو الله و ما هي صفاته؟

قال تعالى في القرآن الكريم: [ألله الذي خلق السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام ثم إستوى على العرش](8), كما أكدت الكتب السماوية على أزليّة الله و وجوده الدائم, و لم يكن هناك زمن لم يكن فيه الله متواجداً, و لم يكن له شريك, فلو كان كذلك لأتتنا رسل و آيات ذلك الشريك .. كما وضّح ذلك الأمام علي(ع) لأبنه الحسن(ع)!

إنّه هو الله آلذي لا إله غيره .. [... هو آلحيّ ألقيّوم, لا تأخذهُ سِنة و لا نوم, لهُ ما في آلسّموات و ما في آلأرض, من ذا آلذي يشفع عنده إلّا بإذنه, يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم, و لا يُحيطون بشيئ من علمه, إلّا بما شاء و سع كرسيّه آلسّموات و آلأرض, و لا يؤوده حفظهما, و هو آلعليّ ألعظيم](9).

لله تعالى نوعين من الأسماء, هي؛

أسماء الذات و هي ثلاثة؛ ألعلم و آلحياة و آلقدرة, حيث لا يشترك معه في تلك آلصّفات أحداً من آلمخلوقات, فهو الأعلم و الحيّ الباقي و آلقادر الذي لا يُقهر!

أما أسماء ألصّفات فهي عديدة جاوزت المائة صفة و قد وردت في آلقرآن ألكريم و في آلسّنة ألنّبوية وآلمعاجم اللغوية مع تفاصيلها و معانيها, منها: ألرّحمن؛ ألرّحيم ؛ألغفور؛ ألكريم؛ ألرّازق؛ ألباري؛ ألجبار؛ ألمتكبر؛ و غيرها(10), و آلجدير بآلذكر أنّ الباري تعالى نفسه قد أعطى آلأولوية لصفة واحدة من بين تلك الصفات و أختارها كأصل و عنوان للطفه وهي: (ألرّحمن) حيث قال:

بسم الله الرحمن الرّحيم, حيث كرّر كلمة ألرّحمة مرّتين(ألرّحمن ألرّحيم) .. بل و ذكرها تباعاً بعد ذلك في آيات فاتحة الكتاب بقوله: (ألحمد لله رب العالمين, ألرّحمن الرّحيم)(11) .. ثم أعادها بصيغة أخرى في نفس ألسّورة بقوله: (... أنعمت عليهم غير آلمغضوب).

و نحن هنا لسنا بصدد إثبات ألخالق و بيان أسماء صفاته تفصيلاً, فقد أصبحت ألمسألة من آلبديهيات بعد عروضنا آلسّابقة .. نحن نُحاول تقديم بيانات واضحة تقوم على آلمنطق ألعلميّ ألرّصين و آلحقائق ألبيّنة و للباحث أنْ يُقرّر بنفسه ما يجب أنْ يؤمن به, و للعِلم أنّ آخر ألأحصائيات ألتي وقفنا عليها بيّنت بأنّ 90% من آلناس يُؤمنون بوجود الله.

إنّ آلفطرة ألسّليمة تشهد بوجود الله من غير دليل, فآلقرآن ألكريم يُقرّر بأنّ ألفِطَر ألسّليمة, و آلنّفوس ألطاهرة ألّتي لمْ تتلطّخ بآلشّرك و آلذنوب ألكبيرة؛ تقرّ بوجود الله من غير دليل .. و ليس كذلك فقط – بلْ إنّ توحيده تعالى – أمرٌ فطري بديهي [...فطر الله آلنّاس عليها, لا تبديل لخلق آلله , ذلك آلدّين ألقيّم](12).

---

(1) سورة ألأنعام / 75 – 83, أكد الباري تعالى من خلال سيناريو حقيقية بأنه أراءَ نبيّه إبراهيم(خليل الله) ملكوت السموات و آلأرض ليكون من الموقنين, فحين جنّ عليه الليل رآى كوكباً, قال؛ هذا ربيّ, فلمّا أفلَ(غاب) .. قال؛ لا أحب الآفلين, و عندما رآى القمر بازغاً قال؛ هذا ربيّ, فلما أفِلَ, قال؛ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين, فلما رآى الشمس بازغةً, قال هذا ربي؛ هذا أكبر .. فلمّا أفِلَتْ, قال؛ ياقومِ إنّي برئ ممّا تُشركون, إني وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين, و حاجه قومه في كيفية و كينونة الله, فقال إبراهيم(ع)؛ أتحاجوني في الله و قد هداني و لا أخاف ما تُشركون به, إلّا أن يشاء ربي شيئاً, و سع ربي كلّ شيئ علماً, أفلا تتذكّرون, و تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم حليم.

(2) القصة الأخرى في معرفة الله تعالى؛ كانت مع موسى(كليم الله), كما وردت عنها بعض ألتفاصيل في سورة ألأعراف / 143 – 146, و خلاصتها أنّ موسى(ع) حين ذهب لميقات الله تعالى, و سأل الله, حيث طلب موسى(ع) بقوله؛ ربي أرني أنظر إليك, قال لنْ تراني, و لكن إنظر إلى آلجّبل فأن إستقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً و خرّ موسى صعقاً, فلما أفاق, قال؛ سبحانك تبتُ إليك و أنا أول المؤمنين.

(3) ألقصة ألثالثة بهذا آلشّأن كانتْ مع خاتم ألنبين محمد(ص) و كما ورتْ إشارات لها في سورة ألنّجم / 1 – 18, حيث بيّن ألباري تعالى بأنّ آلرسول ألكريم(ص) قد إلتقى آلباري عند آلعرش و وصل حتّى كان منهُ قاب قوسين أو أدنى.

(4) سألتُ أحد المُدّعين للمرجعية في العراق؛ لماذا تُصليّ؟
قال: لِله!
قلت لهُ؛ و هل الله مُحتاج لِصلاتك يا سيّدنا؟
سكت قليلاً, و أخذ يتلعثم بلسانه, و لم يُحدد آلجّواب!
بل نفى جوابه بآلقول؛ ألله لا يحتاج لصلاتي .. لأنّه غنيّ عن ألعالمين! هكذا و بكل سهولة نفى جوابه الأول, لأنه لم يكن يملك ألقول ألثّابث في آلحياة ألدّنيا!
قلتُ له: لقد نقضت كلامك بجوابك آلثاني, ففي ألأول كان خلاف ذلك!
و للأسف فأنّ جوابك آلثاني خطأ أيضاً يا سيّدنا, من حيث أنّك أهملتَ رابطة هامة في عملية الأتصال بين آلعبد و ربّه و لم تنتبه لمسألة قرب ألعبد من الله تعالى و مكانته عنده, لذلك حذفت أصلاً هامّاً في هذا الوسط و هو مسألة ألمحبة و آلعشق ألألهي بين آلطرفين, حيث يفرح ألباري بآلدّعاء و الصلاة لكنه لا يحتاج لعبده .. بل إنه تعالى يتباهى أمام ملائكته و الكائنات بعبادة و صلاةَ و دعاءَ عبده ألعاشق, و فلسفة آلعبادة أساساً هي لأصلاح ألعباد و هدايتهم و تقويمهم لدفعهم بقوة و عزيمة أقوى نحو آلعمل ألصّالح لخدمة ألمجتمع و إستعمار ألأرض.
تصوّر أخي الباحث حال الآخرين بآلنسبة لفلسفة العبادة و الدعاء, إذا كانت تلك هي حال ألمرجعيّة ألتي تدعي الدين و القيادة!؟
إنّني لأتعجّب من مُدّع للدين .. كيف إنّه يَعْبد إلهاً لا يعرفه و لا يعرف حتّى فلسفة ألعبادة؟
هل يعتقد أحداً بأنّ آلأيمان ألمبنيّ على تلك المعرفة ألناقصة بل الخاطئة له أثر إيجابي و نتائج طيّبة في شخصية الفرد و آلمجتمع؟
كيف يمكن أن يكون عليه حال المؤمن و الأمة التي لا تعرف لِمن تُصلّي و لماذا تُصلّي؟

هلْ من الممكن أن يُرافق ذلك آلوضع إنتاجاً أو عشقاً أو تآلفاً أو تقدماً في المجتمع؟
و لعل ما توصل إليه الشعب العراقي من الأنحطاط و التخلف يعود بآلدرجة الأولى لهذا السبب!؟
(5) ألصّف / 8, و كذلك ألنّور /35, ألزّمر / 22 و 69, و غيرها.
(6) ألمؤمنون / 88.
(7) ألديانات الأرضيّة؛ كآلهندوسية و آلبوذيّة و آلزرتشتيّة , أما آلسماويّة؛ كآلمسيحيّة و اليهوديّة و الأسلاميّة.
(8) ألسجدة / 4, كما وردت آيات مماثلة في سورة البقرة / 29, و الأعراف / 54, و يونس /2, و الرعد / 2, و طه / 5, و الفرقان / 59, و غيرها.
(9) البقرة / 255.
(10) يمكن الأطلاع على جميع ألصّفات في آلأدعية ألتي وردتْ في كتاب مفاتيح الجنان و ضياء الصالحين و غيرهما.
(11) فاتحة الكتاب / 2.
(12) ألرّوم / 30.

أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة ـ ألأساسُ ألخامس

أساسات نظريّة ألمعرفة – ألأساسُ ألخامس

فلسفة خلق الأنسان و الهدف من آلحياة الدّنيا

هناك فرق كبير – و كبيرٌ جدّاً - بين آلذي يعيش ألحياة مُنفتحاً عبر جميع الآفاق على أسرار ألوجود لآخر ألخط .. و يعلم لماذا خلقه الله؟ و ما آلهدف من الحياة الدّنيا؟

و بين أنسان آخر .. منغلق على نفسه .. يجهل أبجديات تلك آلحقائق و آلأسئلة ألمصيريّة ألكبرى!

ألأوّل؛ هو ألعارف لمعنى الوجود و مكوناتها و أجوبة ألمسائل ألكبرى ألتي مرّ ذكرها, من قبيل؛
من أين أتى؟
و كيف أتى؟
و مع من أتى؟
و لماذا أتى؟
و كيف يرجع؟
و إلى أين يرجع؟(1),

و مثل هذا آلعارف؛ سيكون آمناً مستقراً مُنتجاً و فاعلاً و مُبدعاً و مُجاهداً و إنسانيّاً و سعيداً في وجوده مع عائلته و أهله و مجتمعه, مهما كانتْ آلظروف الحياتيّه ألمُحيطة به, و سيعيش كبيراً و يموتُ كبيراً!

و أمّا آلثّاني؛ ألجاهل بحقيقة تلك المسائل الكبرى فسيكون مستهلكاً طفيّليّاً و ماكراً و حسوداً و مُنافقاً و شقيّاً في وجوده يُحاول سرقة ألآخرين و آلأعتياش على حقوقهم و جهودهم بكلّ ألوسائل ألمُمْكنة, مُتّخذاً من آلمرجعيّة ألدينية في آلشّرق و آلدّيمقراطية من آلغرب و آلعوامل ألأقتصاديّة و آلأئتلافات و آلأحزاب ألظالمة؛ وسيلةً لذلك, خصوصاً ألمُدّعين منهم للدّين و آلأخلاق و آلوطنيّة و حبّ أهل البيت(ع) و تمثيلهم له .. و هم أبعد ما يكونوا عن ذلك, و كما يُعبّر عنهم واقعهم حين أبَو تَحَمّل مسؤولية نجاة ألأمة و مُقارعة ألفاسدين عملياً و تركوا الأمة تتلوى من مصائبها, و كذلك طريقة حياتهم و لباسهم و سفراتهم و ما يمتلكون و ذويهم من إمكانات و حقوق و رواتب و مخصصات تضاهي حياة الملوك و آلرّؤساء ألظالمين !؟

و لا نعني بآلجاهل؛ ذلك الذي لا يعرف القراءة و الكتابة! فهناك الكثير من الأمّيين .. لكنهم عرفاء و مُنتجون لأنهم يعرفون سرّ الحياة بفطرتهم, كما أنّ هناك ألكثير ممن يحملون الشهادات الجامعية و الحوزوية في المقابل لكنهم جهلاء بإمتياز .. لجهلهم لحقيقة ألحياة و فلسفة الوجود و آلغاية من خلق الأنسان, و إن كنتُ أنسى لكنني لا أنسى آلأسئلة التي كانت تردني من أعضاء ألمنتدى الفكري .. من المهندسين و المتخصصين حول جدوى دراسة تلك الموضوعات بآلنسبة لذوي الأختصاص؟
و كان جوابي هو أنّ المُبصر لطريق ألحياة هو آلأقدر على آلأنتاج و الأبداع و آلبناء و خدمة المجتمع .. ألذي بدوره سيأمن شرّه فيما لو إرتقى ذلك المتخصص سلم المسؤوليات ألعليا في النظام السياسي أو الأجتماعي, حيث يكون وقتها متمكّناً على آلسرقة و التخريب و العبث بمقدرات الأمة و مصيرها!

إنّ معرفة لغز ألحياة و فلسفة خلق ألأنسان بدقة و شفافية من أصعب ألأسئلة ألتي حيّرتْ ألفلاسفة منذ بداية

ألتأريخ لكنّها كانتْ محببة في نفس الوقت لدى أهل القلوب ألتّواقين لمعرفة أسرار ألوجود لكونهم من أهل الحكمة, و لعلّ سبب عدم وصول الفلاسفة و آلفقهاء لجواب شامل و دقيق لذلك, يعود للقصور ألفكري في إدراك غاية ألرّسالات ألسّماوية ألّتي وحدها بيّنتْ آلحقيقية كاملةً و عدم ألأصالة في آلثّقافات و آلأفكار أو ما سُميت بآلحضارات (أللاإنسانية) كحضارة وادي الرافدين و آلحضارة ألفرعونيّة و آلفارسيّة و آليونانيّة, بلْ آلمصيبة أنّ ألمُدّعين للعلم إعتبروها حضارات إنسانيّة .. بينما كانت أقرب ما تكون للحيوانيّة منها إلى الأنسانية, لذلك كثر إستغلال الأنسان و تكاثر الظلم و الحروب و النزاعات و التخريب, و بقينا نعاني من آلأزمات و آلتقلبات و الأنقلابات و آلحروب و و آلنّزاتات و آلعنف و الأرهاب حتى يومنا هذا .. حيث إستّمرتْ ألمآسي و تشعّبتْ مع تطبيق ألدّيمقراطية كغطاء للجرائم ألكبرى ألتي صُبّتْ على آلشّعوب سواءاً في آلغرب أو آلشّرق!

و يُمكننا إعتبار إنحراف ألرّسالات ألسّماوية من أكبر ألجّرائم ألتي عانت بسببها آلبشريّة؛ بعد ما قامت مجموعات سلطويّة بتغيير بعض المتون و الوصايا و آلأحاديث لتُسبّب تشتيت ألأمّة إلى مذاهب و فرق و طوائف و أحزاب عديدة, كلّ هذا بسبب ضعف ألأيمان بآلله و تجذّر ألأصول ألمنحرفة و آلأرهابيّة ألظالمة في أعماق ألبشريّة جيلاً بعد جيل؛ لذلك تجرّأ آلبعض في تغيير حتّى متون و أصول ألكتب ألسّماوية ألتي نزلت من آلسّماء صافية لتتلوث بسبب هوى و متطلبات ألنّفس ألأنسانية, كآلمطر ألزلال حين ينزل على آلأرض صافياً ثم يختلط بتراب ألأرض ليتعكّر صفوه و يتغيّر لونه و طعمه و رائحته و مسيره!؟

بعد تلك ألمُقدمة سنُعرض توضيحاً أشمل و أعمق بإذن الله على ذلك آلسّؤآل ألأصعب؛ لماذا خلق الله الأنسان؟ سائلاً ألمولى عزّ و جلّ أن يُساعدني كما ساعدني دوماً في تقديم ألحلول و آلأجوبة على مثل تلك المعضلات ألمصيريّة ألحساسة, و الله وليّ المؤمنين!

فمعرفة آلجواب ألأكمل لسبب وجودنا في هذه آلحياة .. بآلأضافة لما أوردنا من آلأدلة ألقرآنيّة يتطلّب منّا معرفة جوهر ألحياة للوصول إلى قمّة ألسّعادة و آلأستقرار ألرّوحي و آلنّفسي!؟
فبدون تلك آلمعرفة يعيش ألأنسان صغيراً ضعيفاً تعيساً حسوداً و يموت صغيراً ذليلاً مقهوراً!

فمعرفة فلسفة آلخلق و آلهدف من آلحياة ألدّنيا بمثابة ألقوّة ألدافعة و ألمقدمات ألصّحيحة و آلمطلوبة لمعرفة جواب ألسّؤآل ألمطروح بدقّة لحلّ أكبر لغزٍ و أساس و محور في نظريّتنا ألمعرفيّة !؟

تلك آلمعرفة ألتي كلّما تعمّقنا فيها عبر مجالات ألحياة و مكوناتها .. لأكتشفنا بوضوح أكثر إرتباطها بآلله تعالى و آلذي تحدّثنا عنه في آلأساس ألسّابق(ألرّابع)!

يعتقد أكثر فلاسفة ألعالم ألمعروفين بأنّ معرفة آلهدف من آلحياة يحتاج إلى آلبحث و آلتنقيب عن آلحياة نفسها, فبدونها يصعب إدامة آلحياة, لأنّه سيكون تافهاً و سطحيّاً و لا تستحق آلتقدير و آلعيش!

يقول سقراط:
[ألحياة ألّتي لم يُكتشف حقيقتها لا تستحق أنْ نعيشها](2).

و يقول أفلاطون:
[إنّ آلذي لا يعلم من أين أتى؟ و إلى أين يرجع؟ و ما هو آلهدف ألأعلى ألذي يستحق آلسّعي لتحقيقهُ في آلحياة بكلّ طاقتنا؛ فأنّ مثل هذا الأنسان يُعتبر ناكراً لوجوده](3).

بل إن إعتراف آلفلاسفة ألآخرين أمثال (كولن ولسن) و (ول ديورانت) و (يونج) و (روجيه غارودي) و (هنري كاربون)(4) بكون آلأنسان عالمٌ مرموز و مجهول ليس من آلسّهل كشفه على حقيقته – ناهيك عن وضع قوانين تُحدد حياته و مسيرته؛ تعطينا هذه النّظرة بُعداً هامّاً بضرورة ألسّعي للتّعمق في جوهر هذا آلأنسان لكشف ما أمكن من آلمجهول فيه, فآلظاهر منه – أيّ جسم ألأنسان - قد يمكن معرفة معظم علله و أمراضه و خلاياهُ لكونه تقريباً يخضع للتجربة و آللمس. لكن حقيقة ألوجود ألأنسانيّ ألرّوحي الباطني؛ (أي ضميره و ما يحتويه) و نفسه .. غير قابلان للتشخيص بسهولة!

و يمكننا أن نصل من خلال مجمل ألبيانات ألفلسفيّة و آلآيات القرآنيّة إلى آلأهميّة ألمعرفيّة لحقيقة فلسفة الوجود و الهدف من خلق ألأنسان, و هذا هو المطلوب بيانه في هذا الأساس ألقويم في نظريّتنا ألمعرفيّة!

بداية و كمدخل للبحث نُذكركم بآلوصف ألعرفاني ألذي سبق الإشارة إليه عن حقيقة (ألرّوح) وآلذي أوردناه في كتاب أسفارٌ في "أسرار الوجود", كطاقة كونيّة:

[هي آلرّوح ألمُتلئلة ألتي كانتْ تطوف بخُيلاء حول هذا آلوجود لفرط ما فيها من آلعشق المُمتدّ عبر عوالم الآفاق العلويّة لدى الملكوت الأعلى .. لتَحطّ في أفق مجرّتنا ساعة آلصفر المقررة من الباري تعالى خارج الزّمان و آلمكان(ألزّمكاني) .. أيّ حين لم يكن هناك زمكاني حقيقيّ, و كانت طوافها بحركات محوريّة و دائرية كأنّها ظفائر عروس تتموج مع الرياح مشحونةٌ بآلعشق و الحبّ لتخترق الوجود بعد الإستقرار, و بينما هي كذلك؛ حتّى قرّتْ على آلأرض .. و هدأتْ فكان ولادة الأنسان](5).

إنّ آلذين حاولوا غضّ الطرف عن هذا الموضوع – أيّ معرفة سبب خلق الأنسان - معتقدين أن تركهم لذلك و تأرجحهم بين الأحزان و الأفراح سيبعدهم عن كلّ همّ و غمّ و سوء و يُحقق لهم ألسّعادة ؛ لكنهم سرعان ما واجهوا ذلك آلسؤآل المصيري؛ (ما آلعلة في خلق ألوجود و الأنسان؟) .. لأسباب عديدة ترافق الحياة الأنسانية بشكل طبيعي, خصوصاً أؤلئك الذين ينتقلون إلى مراحل أعلى في سلم ألمعرفة و قضايا الحياة!

إنّ من أهم مفاتيح معرفة جواب سؤآلنا في هذا الأساس كما أشرنا في آلأسس ألسابقة, هي معرفة آلحياة نفسها(آيات آلآفاق و آلأنفس), و آيات النفس تتقدّم على آيات آلآفاق لأهميتها و محوريتها, و تتطلّب تلك آلمعرفة .. أوّل ما تتطلب معرفة جوهر آلأشياء و آلمخلوقات و عدم الأكتفاء بعرضها و شكلها و خصائصها ألظّاهريّة!
أي معرفة الباطن و ليس الظاهر فقط, و بتلك المعرفة نكون قد أشرفنا على نهاية الجواب, ذلك الجواب الذي يُفعّل الوجود الأنساني و يجعله صالحاً طيّباً منتجاً عاشقاً للوجود ليتجسد ذلك عبر عمليات البناء و آلأنتاج و آلتنمية, و هذا هو الأصل الذي إتّفق عليه كل فلاسفة الوجود و أيّدها الباري تعالى في كتابه الحكيم بكونها هي آلعبادة ألحقيقيّة (6).

لكن أيّ أنسان!؟
ثمّ ما أدراك ما آلأنسان!؟
إنّه آلسّر ألعظيم لخالق عظيم!؟
أنّه وجه الله و خليفته في هذا آلوجود!؟

إنّ محنة ألأنسان ألكبيرة قد برزتْ حين تأسّر آلعشق ألمكنونَ في قلبه بمعيّة ألرّوح .. بسبب ألسّكون و

التّحجر داخل زنزانة الجسد ألماديّ؛ فسبّبتْ إنتعاش شهوة آلنّفس و ظهورها كوليد غير شرعي لذلك آلسّكون ألسّلبي ألمُملّ .. لتكون آفة ألعشق ألتي جعلت الأنسان وضيعاً طامعاً حسوداً مُخرباً لا يعرف آلشّكر و قدر النعمة الألهية .. و لذلك عجز عن آلتحليق في سماء آلمعرفة؛ و قد يستمرّ أسيراً لشهواته و مطالبه ألأرضيّة إن لم يُسويّها بآلصّلاح و الخير و آلمحبة, فمنّا – و كم منّا – منْ سوّاها بآلتّقوى تحدّياً لوليدها ذاك ألغير ألشّرعي ألشّرس و تباهياً أمام أصلها ألبشري ألمُرّ بعد درء خطيئتها, كيوسف و إبراهيم و موسى و خاتم النبيين عليهم أفضل ألصلاة و السلام!؟

و كمْ منّا - منْ ألهمها آلفجور و عاش حياته بآلقتل و آلفوضى و آلفساد و آلظّلم .. ثمّ آلخلود في آلعذاب كجزاء أبديّ !؟ كآلصّداميين و آلجنكيزخانيين و آلحجّاجيّون و آلهارونيّون!

إنّ جمال ألمعشوق لو بانَ لخضعنا له جميعاً بلا إختيار .. و لكن هيهات من حدوث ذلك و آلنفس عامرة بآلفجور و آلحسد و آلكبرياء!؟

لقد بيّن القرآن الكريم سبب خلق الأنسان بإستخدامه ألكثير من آلآيات ألمحكمات و ألمتشابهات, لعدم وجود دلالات و ألفاظ لغوية أقوى و أكثر وضوحاً من آلألفاظ ألّتي إستخدمها ألباري تعالى لمخاطبة الناس عبر آلرّسالات ألسّماوية و كذلك فسح المجال أمام الباحثين عن سرّ الوجود و آلخلق للبحث و آلتّفكر في ذلك, و يمكننا إعتبار آية (ألعبادة) من أقوى و أفصح ألآيات ظاهراً .. بحسب ما جاء في سورة ألذّاريات بقوله تعالى: [ما خلقت الجّن و آلأنس إلّا ليعبدوني](7).

لكن ألمقصود بحقيقة (ألعبادة) هي ليستْ تلك آلحركات و آلأشارات و آلأذكار ألّتي يأتي بها ألمصلّي أو العابد في مواقيت معلومة من اليوم و آلشّهر و آلسّنة؛ بل له تفسيرٌ و تعبيرٌ و حقيقةٌ أعمق يجهلها أهل الأسلام كما يجهلها غيرهم .. إنها تتعدى كلّ تلك آلتفاسير ألسّطحيّة ألتي يعتقد بها للأسف ألكثير من دعاة ألدين و علمائهم لأعتقادهم ألسّاذج بأن الله محتاج للعبادة!

لقد أعطى ذلك آلتفسير ألسّطحي ألحجّة لّليبراليين و آلمُلحدين ليتقوّلوا على الله و آلدّين و أهل ألدّين ألحقيقيين .. بقولهم؛
هذا هو سطحية ألدّين و آلمُتدينين, لكون فلسفتهم في الحياة – بحسب قولهم - تنحصرُ في مجموعة من آلطقوس و آلعبادات و آلمعاملات الشخصية كما هو مُدْرج في آلرّسالة العمليّة كغاية لخلق ألوجود و الأنسان, فربّهم (ألله) مُحتاج للعبادة .. و لكم أن تحمكوا على مدى تفاهة و سطحية أهل آلدين و محدودية فلسفتهم, آلتي تنحصر في مجموعة من آلحركات قياماً و قعوداً و سجوداً طبقاً لفتاوى ألمرجع ألدّيني ألأعلى!؟

نقول في تفسيرنا للعبادة؛ بأنّها لا تتوقف عند تلك الحركات ألتي يكرّرها الأنسان يوميّاً بإتجاه واحد و قالب واحد و وتيرة واحدة .. فآلمخلوقات بما فيها آلجبال و آلشّجر و آلحجر و آلحيوانات و النّباتات و آلأفلاك و كلّ آلأجزاء ألتافهة و آلرّاقية ألصّغيرة و آلكبيرة من آلمجرّة و حتى مخلب ألنّملة في جحرها آلصغير داخل ألكرة ألأرضيّة ألصّغيرة بآلقياس إلى آلمجرة؛ كلّها تُصلّي و تُسبّح لله تعالى .. و لا تنقطع عن ألعبادة و آلتّسبيح .. بل أنّ الوجود بما فيه من آلأحياء قائمٌ بإرادة الله و قوته و ملكوته!
و تلك آلحقيقة يُؤكّدها الله تعالى من خلال آيات عديدة منها:
[إنّ كلّ منْ في آلسّموات و آلأرض إلّا أتي آلرّحمن عبداً](8).
[قل من بيده ملكوت كل شيئ و هو يجير و لا يُجار عليه](9).
[فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيئ و إليه تُرجعون](10).

بل أراد آلله تعالى أن يُوضح لنا المعنى بدقة أكثر حيث قال:
[ثمّ إستوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين](11).
و قال أيضاً:

[و لله يسجد من في السموات و آلأرض طوعاً و كرهاً](12).
و هكذا إهتدى كل شيئ في هذا الوجود بأمر آلله تعالى, لكن يبقى الأنسان أكرم المخلوقات كما قررّه آلله تعالى, حيث أعطاه العقل و الأرادة و سخر له ما في السموات و الأرض طبق قوانين لو علمناها لفعلنا المُعجزات من خلالها!

أنّ تحجيم معنى آلعبادة ألحقيقيّة و آلعزوف عنه؛ يُسبّب جحيماً في حياة ألأنسان, بلْ أنّ الصّلاة و آلصّوم نفسها تكون بمثابة جهنم لصاحبه, لأنّه لا يفقه ما يفعله و لا يعرف ما عليه من واجبات, لهذا تكون صلاته و صومه و عبادته مجرّد حركات ثقيلة تُؤذي بدنه و روحه!

ألعبادة ألحقيقيّة هي تلك آلعبادة ألتي فصّلها الباري تعالى في القرآن الكريم و بين تفاصيلها و توضيحاتها ألرسول(ص) و آلأئمة الصالحون, و يمكننا إجمال آلعبادة الحقيقية العملية من خلال آلعمل الصالح و الأنتاج في المجتمع!

بمعنى أن جميع آلعبادات ألنّظرية هي مقدّمات للأتيان بآلعمل ألصّالح و آلأنتاج ألوفير على كلّ صعيد, و لا يتحقّق ذلك الهدف كاملاً ما لم يكن طبقاً للقوانين و آلأصول ألتي رسمها آلله تعالى في القرآن, و من هنا نرى أنّ ألغربيّين رغم تطورهم ألمدني و إنتاجهم للعلوم و التكنولوجيا؛ إلّا أنهم لم يُوفقوا و لم يُسْعدوا في حياتهم بسبب آلأخطاء و آلمشاكل الأجتماعية الكبيرة التي رافقتهم أثناء و بعد عملية البناء و الأنتاج حتّى تفسخت أركانها و أنْعدَمتْ السعادة فيها .. تلك آلأخطاء ألتي لم يعلموا منشأها و أسرارها لبعدهم عن تعاليم ألقرآن, أما الشرق فأنهم ما زالوا في سبات عميق .. لقد خسروا كلا آلجانبين(ألأجتماعي و الأقتصادي) أي (ألحضاري و المدني) حتى إستقرت بهم الأمور ليكون كل منهم ينتهز الفرصة من أجل قنص حقوق الآخرين بما فيهم ألمرجعيّة ألدينيّة نفسها للأسف(13) تلك المرجعية ألعتيدة ألّتي لم تخدم ألمجتمع ألأسلامي بشيئ حتى ثورة الأمام الخميني(قدس) عام 1979م .. بلْ كانتْ و آلآلاف ممن يُحيط بهما من الأنصار و الطلبة - عالة على أموال الخمس و آلزّكاة من آلفقراء و آلكادحين.

حتّى آلدّول ألنّفطيّة ألأسلاميّة كدول الخليج – رغم غناها و آلتطور آلظاهري فيها بسبب ألتكنولوجيا ألمستوردة و آلخبراء الأجانب والعاملين - فأنّها لم تُحقّق ما كان مطلوباً منها, و لو نضب آلنّفط فيها؛ فأنّ شعوبها سترتدّ إلى الوراء في فترة قصيرة لتعود إلى حالها و كما كانت في العصور البائدة, كما أنّ رؤوس الأموال الكبيرة للشيوخ و العلماء و المراجع في بنوك الغرب للأسف على ضخامتها لا تُجدي نفعاً لأنهم لا يمتلكون ناصيتها و لا يعرفون كيفيّة إستثمارها في بلدانهم من أجل بلادهم و شعوبهم لفقدانهم إلى آلمعرفة ألأقتصادية و الأدارية و الاستثمارية, و أنّ تلك الأموال ألمودعة هي تحت تصرف أصحاب البنوك و آلشّركات التي معظمها لليهود و تسيطر عليها المنظمة الأقتصادية الظالمة من فوق للتصرف فيها و توجيهها بحسب مخططاتهم و حاجتهم لدعم صندوق ألنقد ألدولي لأستعمار البلاد بواسطتها و كذلك لصناعة الأسلحة و آلمعدات لضرب المؤمنين و الدولة الاسلامية, كل هذا يحدث بشكل طبيعي لعدم تحقّق فلسفة العبادة في وجود المشايخ و المراجع للأسف, حيث بقتْ معناها محصورة ضمن تلك الحركات البدنية و الأذكار و آلدّعاء للأسف!

إنّ ألعبادة ألحقيقيّة .. إنّما تتحقّق في ألفرد أو المجتمع من آلأنسجام ألحاصل في وجود آلفرد و ألمجتمع من خلال ألأرتباط بآلله عموديّاً عن طريق ألقلب و ليس آللسان و الحركات ألظاهريّة و عن طريق ألأرتباط بآلنّاس أفقيّاً بإتّجاه تثوير آلطبيعة و إستعمار ألأرض و آلأنتاج ألعلمي و آلتّكنولوجي و آلتّنمية على كلّ صعيد, و تلك هي آلعبادة ألّتي أرادها الله لنا كأمّةً وسطاً في آية ألعبادة!

لقد بيّن آلباري تعالى عبر إسلوب فني بديع ألهدف من خلقه للوجود و آلأنسان و قد إستخدم آلكثير من آلآيات المتشابهات كما ورد في سورة هود بقوله: [و لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة و لا يزالون مختلفين إلّا ما رحم ربك و لذلك خلقهم ...](14), و يلاحظ في هذه الآية نقطة ظريفة و هي إن الأختلاف و آلمخاصمات تُحدث عادةً في المجتمعات لقلة الأنتاج و ضعف الأمكانات و آلموارد الطبيعية .. فيتفنّن الناس لأختلاق الحيل و آلمؤآمرات لتأمين الغذاء و السكن و مهمات العيش, و من هنا تنعدم الرحمة و يحل محلها التزوير و الظلم و السرقة و القتل, بعكس المجتمع المنتج ألذي يعمل فيه الجميع بمحبة و شوق و إخلاص و هم يتسابقون لنيل الدرجات العلى ضمن منهج التعبد لله من خلال ذلك.

في تلك الآيات كما في غيرها أسرارٌ عظيمة .. بل القرآن كلّه عبارة عن أسرار و حكم بليغة و عميقة, و قد إستخدم تلك الألفاظ و آلدلالات ألتي نتداولها لعدم وجود ما هو أحكم و أبلغ منها للتعبير ولوصف حقيقية ألوجود أو الأنسان ألذي نفسه يُعدّ كما أشرنا من آلمجاهيل الكبرى في هذا الوجود لتداخل تعقيداته و ملكوته و زمانه و مكانه و آلتحولات التي تجري عليه, حيث بَدَتْ أللغة العربية ألتي تُعتبر من أقوى و أوسع أللّغات في آلعالم .. عاجزةً عن بيان جوهر و حقيقية مكونات آلوجود و ذلك السؤآل ألأهم في نظرية المعرفة, بل حتّى حقيقية جزء صغير منها, و يتجلّى ذلك من خلال جواب الله تعالى للملائكة عند إعتراضهم على خلق الأنسان بآلقول:[إنّي جاعلٌ في آلأرض خليفة, قالوا أ تَجْعَلُ فيها منْ يُفسد فيها و يسفك ألدّماء و نحنُ نُسبّح بحمدك و نقدّس لك؟ - فأجابهم ألباري - [إنّي أعلم ما لا تعلمون](15)!؟

لعلّ الباري تعالى أشار إلى مسألة المحبة و الرّحمة و العشق الألهي ألذي بتحققّه في وجود الأنسان يُحقّق المعجزات, حيث لا أعتقد بعدم وجود أرتباط بين صفة الرحمة التي إختارها الباري لنفسه كعنوان و مسمى في بداية سور القرآن الكريم, بآلأضافة إلى تكراره و تأكيده لكلمة الرحمة في أمّ الكتاب كأهمّ موضوع يرتكز عليه ألأيمان و آلعمل ألصّالح(16).

من هنا إستفاد ألقرآن من مئات ألآيات ألمُتشابهات فاتحاً أمامنا ألأبواب على مصراعيها للتّأمل و آلتّدبر و آلتّعمق و آلبّحث و بما يتناسب مع حجم ألقضيّة ألمطروحة من جهة .. و مع فكر ألأنسان و وعيه و تطلعاته لسنّ آلقوانين الأجتماعيّة لإدارة ألمجتمع من جهة أخرى(17) لتحقيق ألمستقبل ألموعود إنْ شاء الله.

و للوقوف بشكلٍ كاملٍ على ذلك آلأمر لا بُدّ لنا من معرفة حقيقة ألجّوهر و آلعرض في آلوجود, و سنُبيّن ذلك في آلأساس ألسّادس لنظريّة ألمعرفة إن شاء الله.

---

(1) يعتبر أفلاطون أوّل من طرح تلك الأسئلة, حيث قال؛ [إنّ الذي لا يعرف جواب تلك آلأسئلة ينكر وجود نفسه, لأنّهُ فاقدٌ للهدف ألأعلى للحياة؛ ذلك آلهدف ألذي يجب أنْ يسعى في آلحياة نفسها من أجله](عن كتاب ألسّياسة, لأرسطو).

(2) R,H PopkinPp(1956); Astroll; Philosophy made simple. Newyork.

(3) أرسطو (1969م). سياسة أرسطو – مقدمة بارتمن ساندهيلر, ط1.

(4) هنري كاربون, من أعظم فلاسفة الغرب, فعند مطالعتي لسيرة هذا الفيلسوف إستوقفتي ملاحظة هامة أوردها في مذكراته أثناء سفره إلى إيران .. بعد ما إطلع على خفايا الأمور في مصر و في جامعة الأزهر بخصوص الأديان و المذاهب الأسلامية, فقد أجرى تحقيقات كثيرة حول ذلك و بنفس ألباحث ألمُحايد و توصّل إلى أنّ نظرية أهل البيت(ع) في الأمامة هي الأمتداد الطبيقي للرسالة الأسلامية عن

طريق الأمام الثاني عشر(عج) الذي يعتبر حبل التوصيل بين الأرض و السماء في زمن الغيبة هذه, و أضاف بآلقول بعد ما إطلع على أوضاع آلحوزة العلمية في إيران و ناضر كبار العلماء فيها أمثال آلسيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان, قائلاً: (أن آلمذهب الذي يدين به الأيرانييون هو المذهب الذي يناسب روح الأنسان لأحتائه على آلحسّ ألعرفاني و مكامن الحب و العشق الذي يربط الأنسان عن طريق آلأئمة – و الأمام الحجة المنتظر بآلله, بينما المذاهب الأسلامية الأخرى لا تمتلك تلك الخصوصية الأساسية الهامة, و لهذا وصف عقيدة العلماء الأيرانيين بآلعقيدة الصافية ألتي تتناسب مع روح الأنسان و تطلعاته لتحقيق فلسفة الحياة و الغاية من خلق الأنسان.

(5) مستنبط من ديوان ألشاعر الكبير حافظ الشيرازي, راجع ألجزء الثاني ح6 و7 من كتاب(أسفارٌ في أسرار الوجود).

(6) قال تعالى: [و آلذين آمنوا و عملوا آلصّالحات سندخلهم جنّاتٍ ...](آلعمران / 57), كما بين تعالى في عشرات الآيات أهمية العمل الصالح بكونه الوسيلة التي تقرّب الأنسان من الله ليحصل على الدرجات العلى, حيث جاء في سورة ألمائدة / 35 قوله: [يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله و إبتغوا إليه الوسيلة]. حيث جعل الأخلاق و الأداب و حسن المعاشرة شرطاً مقدماً على أي عمل آخر, و من هنا نختلف مع الغرب في أسس نظريتنا المعرفية, حيث لا يعير آلغربيّون أهمية لذلك!

(7) ألذّاريات / 52.

(8) مريم / 93.

(9) ألمؤمنون / 88.

(10) يس / 83.

(11) فصّلت / 11.

(12) ألرّعد / 15.

(13) أنني أؤكد لجميع الباحثين و آلقّراء بأنني لا أعادي أحداً من آلمراجع حتى التقليديين القابعين في النجف, و أنّما نحنُ بصدد تصحيح ألمنهج, و إلا فأنهم و المسلمون خصوصاً في العراق و الدّول العربية سيستمرون بآلعيش مع الأموات و كأنهم في الماضي يُسيطر عليهم أمثال صدام و عبد الله و حسني و مرسي, و إنّ إجترار الأفكار و الأحكام العبادية الشخصية من خلال رسالة عملية عقيمة لا يتوافق مع الفقه الأمامي الجعفري ألمعطاء ألذي يمثل خط الرسالة الأسلامية بكل أبعادها و قيمها, و يخالف نصاً و عملاً وصية الأمام الحجة الواضحة و البيّنة حين قال(ع): [و أما الحوادث الواقعة فإرجعوا فيها إلى روّاة حديثنا ...], فآلحوادث الواقعة لا تعني الصوم و الصلاة و العبادات الشخصية لأن أحكامها قد تبيّنت منذ زمن الأئمة أو بعدهم بقليل .. أي قبل أكثر من ألف عام, و آلحوادث الواقعة تعني الأمور الأجتماعية و المالية و التجارية و الأقتصادية و السياسية و العسكرية و ما إلى ذلك من آلقضايا الراهنة, لذلك عليهم قبول الحق عبر تفعيل معنى الحوادث الواقعة, و تأريخ المرجعية النجفية لم تُخلد لنا إلا إستثناآت من آلذين حاولوا تطبيق و تثوير الحوادث الواقعة بما يتناسب مع الفكر الأسلامي و وصية الأمام الحجة(عج)؛ كآلأمام الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس)!

(14) هود / 118 و 119.

(15) ألبقرة / 30.

(16) كرّر الباري تعالى مشتقات كلمة (رحمة) مرّتين في بسم الله الرحمن الرحيم, بينما المعروف عن القرآن بأنه كتاب بليغ يجتنب ألتكرار و ينحو في آياته نحو آلحكمة و آلموعظة و آلبلاغة, لكنه تجاوز تلك ألقاعدة كإستثناء ليُبيّن لنا أهميّة ألرحمة و الأنسانية و المحبة بين العباد من جهة .. و بين ألعباد و بقيّة مكونات ألوجود من جهة أخرى, بلْ كرّرَ ألباري تعالى كلمة ألرّحمة مرّات أخرى في نفس ألسّورة, هذا بآلأضافة إلى مسألة بيان أهميّة ألرحمة و آلمحبة و آلعشق في سُورٍ عديدةٍ من القرآن, حتّى إعتبر بعثة الرسول ألخاتم بمجملها من أجل آلرّحمة بقوله: (و ما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين) (ألأنبياء / 107).

(17) قال آلأمام الباقر والصادق(ع): [ليت آلسّياط على رؤوس أصحابي حتّى يتفقهوا في الدّين].

أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – ألأساسُ ألسادس

أساسات نظريّة ألمعرفة – ألأساس ألسّادس

ألجّوهر و آلعرض:

إنّ أهميّة معرفة حقيقة جوهر و عرض ألوجود و آلمخلوقات؛ تأتي بعد عرضنا للأسئلة ألسّتة ألتي جاءتْ في آلأساس ألسّابق(1) .. لأنّها في آلوقت ألذي تُقرّبنا منْ معرفة سببَ خلق الله للوجود و آلأنسان؛ فأنّها أيضاً تفتح أمامنا آفاقاً رحبة و شفّافة للوقوف على ما يُناسب كلّ حالة من آلحالات ألّتي نريد تصويب قوانين مدنيَة أو إجتماعيَة أو سياسيَة خاصَة بها لأستعمارها و إستغلالها لخدمة الأنسانيَة على أفضل وجه لتحقيق سعادتها!

حقيقة ألجَوهر و آلعرض!؟

إنّ آلبحث في حقيقة "ألجّوهر و آلعرض" له أهمّية خاصة كخطوة عمليّة و أساسيّة أخرى متقدّمة في آلبناء ألمعرفي للأنسان لكشف حقيقة ألوجود و مكوناتها لسنّ ألقوانين ألعصريّة لتحقيق ما أشرنا إليه!

أننا نبغي من خلال نظريتنا كشف أثر تلك المعرفة على صياغة و تثوير ألقوانين ألمتعلقة بآلفن و آلثقافة و آلأخلاق و آلأدارة و آلتربية و آلتكنولوجيا و بآلتالي في تشكيل ألحضارة ألأنسانيّة, بعيداً عن تجبر الطواغيب ألذين سبّبوا للبشريّة ألرّعب و الحروب و آلبغضاء بين الشعوب عبر الأستغلال المُقنون من قبل ألمنظمة ألأقتصاديّة ألعالمية التي تُسيطر على آلشركات و البنوك الكبرى و وسائل الأعلام العالمية مع جميع الحكومات الوضعية بإستثناء إيران.

كما لا يمكن للمُشرّع ألسّالك سنّ ألقوانين العصريّة ألأنسانيّة في غاياتها .. ما لم يعي أحكام الزّمان و المكان طبقاً لأساسات نظريّة ألمعرفة لتحقيق الأستقلال الفكري ألمجرّد عن أيّة مصالح إستكبارية كشرط للبحث لمعرفة ألمظاهر الأولية و الأصول الصحيحة لفلسفة ألأحكام و آلتّشريعات!

و من ألمظاهر ألأوليّة هي؛ حقيقة ألجّوهر ألذي يُمثل بعينه و ماهيّته ألأشياء والمكونات و بشكل خاص ألأنسان نفسه, فآلظاهر منه (أي الجسم) وهو ما أطلق عليه الفلاسفة بـ(آلعرض) لا يمثل حقيقته, بل ما يمثله هو القلب أو ألجوهر(2)!

إن آلخطأ الفادح ألقاتل لعلماء ألمسلمين هو إعتمادهم في متبنّياتهم الفكرية و فتاواهم و أحكامهم على شكل المسائل و ظواهر الأحكام دون النظر إلى جوهرها و تأثيرها في المجتمع ألأنساني ألمستمر بتطوره ألمدني و آلحضاري على كل صعيد, كما تجدر الأشارة إلى أنّ علماء الفقه لم يتطرّقوا يوماً للمجال الطبيعي أو الصناعي أو الزّراعي ألبته لعدم إدراكهم لأهميّتها(3) ممّا فسح المجال أمام غير المؤمنين بقيم السماء من حكرها و إستغلالها طبق مناهجهم الأستكبارية, حتّى تجرّؤا بفصل الدين عن السياسة كي يفعلوا ما يشاؤوا بعيداً عن كلّ حاسبٍ أو رقيبٍ.

أن ماهيّة كل موجود يرتبط بجوهره, فأصل الصّوت مثلاً هو من الترددات ألصّوتية ألتي ينقلها الأثير, و آلأثير نفسه من آلأجزاء البسيطة, و آلأجسام البسيطة هي آلجّوهر ألأساس, لذلك فآلأصوات ألتي تنبعث لها جذور في مركبات ألأجسام البسيطة ألتي تعدّ من الجّوهر أيضاً.

كما أن معرفة أية ظاهرة على حقيقتها – أيّ معرفة جوهرها - لا بُدّ من معرفة ما يُحيط بماهية جوهرها و ملكوتها .. حتّى الكلمات اللغوية التي عندما نريد تداولها بشكلٍ صحيح لا بُد من معرفة أصلها و جذرها, هذا أولاً, و ثانياً أنّ آلعنصر ألمُكوّن لحقيقة موجود مُعيّن هو آلجّوهر, و آلجّوهر هو آلضرورة ألذاتية للشيئ, و لا يُعدّ من المركّبات أو آلسّبائك أو آلمُمكنات ألتي تقف في النقطة المقابلة للجّوهر, لذلك يمكننا بعد آلتحليل ألوقوف على جميع خصوصيّات ألسّبائك و علاقتها بما يحيط بها و بمكنونها ألأصلي في هذا آلوجود.

حقيقة "ألعرض و آلجّوهر" في آلفلسفة الكونيّة:

قبل آراء الفلاسفة؛ ألقرآن الكريم أشار لحقيقة الجّوهر تلميحاً و تفصيلاً, حيث بيّن أن حقيقة الأنسان مثلاً ليس هو ذلك الجسم ألمكوّن من اللحم و الدّم و العروق و الشعر بلْ حقيقة وجوده و جوهره يتمثل بالقلب أو ألّلب أو الفؤآد بحسب المصطلحات القرآنية!
و كذا آلأشياء و المخلوقات جميعاً, حيث أشار آلباري تعالى إلى أنّ لكل شيئ ملكوت و أسرار .. حتى السّموات و آلأرض ألتي ملكوتها بيد الله تعالى(4).

لقد أخطأ آلشيخ الغزالي في تقريراته, عندما أنكر وجود الأستقلال في آلظواهر ألطبيعيّة(5), رابطاً ألموضوع كلّه بآلفلسفة ألأوليّة ألمجرّدة, نافياً دور الصورة و المادة و النفس و العقل و الأدراك في عالم المحسوس – أي الطبيعة – و لعلّه كان يميل إلى فلسفة ألجّبر في بيانه و تعامله مع آلوجود و آلخلق, و الحقّ هناك خلاف بين الفلاسفة في هذا الأمر(6)
أما "أرسطو" فأنّه يُقسّم آلجّوهر إلى قسمين بحسب ما جاء في كتابه"ما بعد الطبيعة"(7) و هي:
ألجّواهر ألأوليّة و ألجّواهر ألثّانويّة,

و آلجّوهر لا يتعلّق بشيئ إلّا بنفسه أو بخالق ألوجود .. لأنه جوهره و يستمدّ من خلاله حيويّته و ظهوره كأصل للظهور و آلبقاء.

من ذلك نُوعز علل ألأشياء و أصولها إلى جوهرها – كسؤآلنا:
لماذا آلبشر يُعدّ شكليّاً من جنس ألحيوان؟

لقد تمّ صياغة السؤآل على أساس الكثير من المشتركات ألظاهريّة و الماهيّة لكلا آلصّنفين, لكن عند آلنّظر للأمر من خلال قضيّة ألوجود ألأنساني و فرقه مع بقية ألمخلوقات كآلحصان و آلخروف و آلأفعى و غيرها؛ فأنّ آلأمر يختلف, ذلك أنّ كلّ حيوان يحتفظ بجوهره في وجوده بآلكيفية ألتي جُبِلَ عليها من قبل الخالق تعالى كأصل لأستمرار وجوده و حياته!

خصوصيات "ألجّوهر":

من أهمّ العوامل الشاخصة للجوهر هي الحركة ألسّنخية حيث يتداخل مع الجوهر بشكل طبيعي و ذاتي و لا يحتاج إلى أيّ عاملٍ أو قوّةٍ خارجية لدعمه, فكل موجود له حركة خاصة تتحدد كينونتها بوجودها و ليس بآلضرورة أن تتحسسها العين البشرية المحدودة جدّاً, و لذلك فآلنّبتة لا تُولد منها سوى النّبتة و الثمار و الورد لتداخل خصوصية و سنخية النّبات في وجودها.

و آلجوهر ينقسم إلى قسمين(8), هما:

ألأول: ألمحسوس, و هو قابل على آلتّغيير و آلأندماج و آلتّوالد و ما إلى ذلك, و قولنا هذا يتعارض مع آراء أرسطو من حيث أنّ إمكانية ألأندماج ممكنة في حالاتٍ .. و مُمْتنعة في حالات أخرى, خصوصاً في البحوث العلمية المعقدة.

ألثاني: ألغير محسوس, و هو "آلجّوهر" الخالد ألأزلي ألذي يؤثر و لا يتأثر؛ يُغيّر و لا يتغيّر؛ يخلق ولا يخلق؛ يتداخل في وجود المخلوقات بشكل لا نفهمه و قد لا يفهمه أحدٌ إلى آلآخر .. كنفخة الرّوح في الأنسان و آلملكوت في الأشياء, هذا ناهيك عن معرفة ألرّوح نفسها.

و قد أظهر"لئوكيبوس" و تلميذه "دوموكريتوس" نظريّة أخرى للعناصر الأربعة(9) بإرجاعها إلى أصل العناصر ألتي تتكون من ذرات متناهية في الصّغر تُشكّل أساس الموجودات في الحياة, و أعتقد بأنّ الجّواهر الأساسيّة ألأوليّة تتشكّل من تلك الذّرات, و هذه نظريّة أكّدها أيضاً العلم الحديث بجهود آلعلماء أمثال آينشتاين و آلبروفسور "محمود حسابي" ألأيراني ألأصل ألذي أثبت نظريّة تعدّد الذرات, و إعتمدها العالم الغربي لتكون سبباً في إختراعات عملاقة في المجال التكنولوجي خلال القرن الماضي و إلى يومنا هذا.

إنّ سَنّ ألقوانين ألظالمة من قبل الأنظمة الحاكمة بإتجاه مصالحها و سعيها للسيطرة على الأرض قد إستغلّتْ تلك الأكتشافات في غير محلها فأدّتْ إلى أحداث أضرارٍ بليغةٍ راح ضحيّتها الملايين بسبب آلحروب و آلفتن الأستكبارية للتحكم في إقتصاد العالم و مصيره من قبل مجموعة ألثلثمائة و خمسين شخصاً من الأثرياء مقابل مليارات من البشر ألجّائعين ألمتلهفين للّجوء كعبيد أمام الغربيين للأسف معتقدين خطأً بأنّ الحياة الغربية جنة ما بعدها جنة!؟

خصوصيّات "ألعرض":

أمّا العرض فأنّه يقع في مقابل الجّوهر و يُمثّل باقي مكونات المخلوق أو الشيئ, و لبيان حقيقة العرض و معرفة خفايا الوجود لا بدّ من تحليل حقيقة الموجودات – أي موجود – بشكل طبيعيّ عرضيّاً من جانب؛ و من آلجانب ألآخر ذاتيّاً.
فلو فرضنا إنساناً فنّاناً فأنّ ذلك المفهوم يُمثل الجانب العرضي, ذلك أنّ الصّفة الفنيّة في الأنسان ليستْ ذاتيّة! و ليس كلّ البشر فنانون, و آلغرض لا ينحصر ضمن دائرة الذات أو ألضّرورة .. بل يحيط بها أو يُدللُ عليها, و في حالة الأمكان يمكنه أن يتعلق بموجود ما, و إن ظاهرة العلاقة بين العرض و الموضوع يثبت له وجود الحالة ألتي تختبئ ورائها ألحقيقة و الجوهر, و بعبارة أخرى فأنها تحمل على الموضوع.

و لو خرجنا من دائرة ألفلسفة و المنطق لندخل عالم اللغة, فأنّ ألمحمول هنا يظهر نفسه على شكل صفة للموصوف, كقولنا:
(هذا أنسان طيّب), فصفة الفاعل عرض, أو عرضٌ يتجلّى ضمن مربّع ألأمكان, ذلك أن جميع من نطلق عليهم كلمة إنسان؛ ليسوا بآلضرورة طيّبين, فآلطيبة ليستْ أمراً ذاتياً .. بل إكتسابيّاً.

لقد مثّل إبن سينا ألموضوع من خلال مثال أورده في (ألألاهيات ألنّاجية) كآلآهي:

[أحياناً يتداخل شيئان مع بعضهما فيتّحدان معاً, لكنهما لا يتّحدان و لا يتداخلان بحيثياتهما و كلّ وجودهما,

كآلمسمار ألمُثبت في الحائط مع أنّهما تداخلا معاً لكن المسمار لم يتداخل بكل وجوده و محتواه مع الحائط, بل حدث تماس سطحي مع المسمار لا أكثر](10).

فأختلاف السّنخية هنا هي التي تمنع ذلك الأتحاد, لكن هناك حالات يستثنى منها تلك القاعدة, منها تزاوج الحيمن مع البويضة ألتي تكون النطفة ثم العلقة و هكذا حتّى يتحول إلى مخلوق جديد, و هذا يدخل ضمن الجواهر المحسوسة ألتي تتداخل مع بعضها كما أسلفنا!

و يعتقد "أبن سينا" أيضاً بأنّ كلّ موجود له تعريف إسميّ, و أنّ كل ذات لا يوجد في الموضوع, و تجلي أي ذات في موضوعه هو العرض, و أنّ الحقيقة ألأولية تتجلى في الصورة الجسمية؛ أي موضوع العلم الطبيعي, أو يتداخل مع الموضوع الطبيعي.

أمّا ألحقيقة ألثانويّة؛ فأنّها تُمثل ألجّسم أو ما يُعبّر عنه بـ (آلكم), و إنّ جوهر ألعلوم ألرّياضيّة مكنون في موضوعه – أيّ ألجسم ألتّعليمي هو عارض للجّوهر ألجّسمي أو آلشّكلي – و آلحقيقتان(الأولى و آلثّانية) ليستا قائمتين بآلذّات, ذلك أن الحقيقة ألأولى؛ تمثل الصورة الجسمية, و الثانية تمثل العرضية, و يضم الجسم التعليمي ألذي هو عارض للجوهر ألجسمي أو آلشكلي ألأبعاد ألثلاثة؛ (الطول, ألعرض, ألأرتفاع), أمّا البعد ألرّابع حسب رأي "آينشتاين" و آخرين فأنّه نسبيّ, لذلك لم ندرجه هنا(11), بل لم نأخذ كذلك سبعة أبعاد أخرى للمادة تمّ كشفها حديثاً تتداخل مع فيزياء الكوانتوم, لذلك فأننا عندما نتعامل مع آلمعايير آلهندسية و آلرياضية في آلتطبيقات فأنها لا تتجسّد طبيعياً , إنّما نحن آلذين نُعيّن و نُشخّص آلهدف من خلال تعريف جسمٍ معينٍ , كي نتمكن من تجسيدهِ على أرضِ آلواقع . لتتحول مع آلزمن و آلفعل آلانساني إلى دلالات حضاريّة و مدنية و تأريخية , لذلك عند تقيّمنا للحضارات .. فأننا ندرس أسس و منطلقات تلك آلحضارة من خلال آلمنهج آلذي أوصلهم لذلك ليتبيّن لنا حقيقتها, فعندما نريد أن نقيّم مثلاً بواعث آلحضارة آلغربية آلحديثة في جانبها ألأيجابي؛ فإنّ آلفضل كلّهُ يعود إلى منهج آلفيلسوف ديكارت. أما آلحضارة آلشرقية - و أن تشوهت كثيراً في آلحاضر بسبب عوامل آلتحريف و آلظلم و آلحروب - فأن آلفضل كلّه يعود إلى آلله أولاً ثم منهج آلأسلام آلمحمدي آلأصيل آلذي أنطلق من جديد من خلال فكر آلفيلسوف محمد باقر آلصدر و تجسيده من خلال نهضة الأمام آلخميني آلذي أستطاع صياغة آلمنهج آلأسلامي و تخليصه من حالة آلركود و آلتقليد آلمتعارف عليه ليبدأ في آلشرق و آلعالم بوادر نهضةً جديدة.

أن آلذي نريد آلوصول إليه هو؛ أنّ آلصورة ألجّسمية مُتناهية ذاتاً في آلمادّة , و آلمادّة لا قوام لها خارج ذلك , و لا يمكن فصل آلصّورة عن آلمادّة , ذلك أنّ وجُودهما يرتبطان معاً, و قوامهما يرتبطان بالجّوهر , مع إنّ آلجّوهر كما أشرنا يتعلّق بالعرض , أيّ أنّ آلجّوهر موضوع قائم بذاته ألخارج عن مداره و لا يحتاج لمقومٍ, كما يتعلق كلّ جوهر بعاملٍ داخليّ, و في آلنهاية نصل إلى أنّ آلصّورة و آلمادّة يُشَخِصانِ معاً ألموضوع, و يستحيل على آلمادّة ألظّهور في آلوجود بدون آلصّورة آلجسميّة , كما لا يُمكن أن يكون لها وجود بدون آلصّورة آلجسميّة , و كلتاهما يلزم آلآخر في وجودهِ و ظهورهِ , و بالنتيجة فأنّ كلّ مادة قائمة بذاتها, و لا يُمكنُ لجوهرٍ مُضاد (مختلف) مع جوهرٍ من سنخ آخر أن يتقوّما ببعضهما, و إنْ حدث ذلك فأنّها ستتحوّل إلى "عرض" آخر و جوهرٍ جديد له خصوصياته.

من مؤشرات ألبحث أعلاه .. يتبيّن أنّ ألكثير من آراء إبن سينا و رؤيته في هذا المجال مشتقّة من آراء أرسطو آلذي يُعتبر أول من أشار إلى إختلاف جنس كلّ أنسان عن آلآخر, و قد أشار آلقرآن آلكريم لهذه آلحقيقة أيضاً بوضوح منها قوله تعالى؛ [بلى قادرين على أن نسوي بنانه](12), كما أثبت آلعلم الحديث ذلك), و في آلحقيقة يَخفي كلّ مخلوق حيّ بداخلهِ بالأضافة لذلك تكويناً خاصاً DNAمن خلال آلحمض آلنووي (

به يُمثل وجوده آلداخليّ و جوهرهُ بعد أن سوّاها الله تعالى فألهمها ما ألهمها . من عوامل آلحركة و آلفعالية و آلسكون و آلتأمل و آلتصور و آلكشف.

و آلنّتيجة ألّتي نصل إليها هي: أنّ آلأبعاد فعليّة, و آلصّورة جسميّة, و آلأثنان يخضعان للأصل"ألجّوهر" .. أو إلى ما أطلق عليه القدماء بـ (ألهيولا) ليتحقّق قوامهما فيه(13).

خلاصة القول هو أنّه حينما يكون ألكلام عن ألعرض فأنّه لا يضمّ ألمدى ألمنظور كلّه في آلموضوع أو ألشّيئ؛ بل كلّ ما في الأمر إنّه يُمثل الشّكل و آلهيئة الظاهرة, من هنا يستحيل أن يكون أيّ قانون أو حكمٍ صحيحاً و مناسباً تمّ صياغته على أساس العرض فقط؛ بل ق يكون كارثة كبرى في نتائجها على آلبشرية كما هي حالها اليوم بسبب إعتماد المُشرّعين لبعدٍ واحد أثناء تصويب القوانين, لهذا لا بُد من الوقوف على"آلجوهر" كأساس في آلحكم و القانون, و ينطبق هذا حتّى على ألأحكام التعبدية في الفقه.

إنّ"إبن سينا" كأرسطو حين يشرح ألجوهر, فأنّه يبدأ بآلموجود, و إعتقد بأن الموجود غير قابل للتعريف و الوصف, بل ظاهره ممّهد للتعريف, من حيث عدم قدرتنا على توضيحه كلّياً ما لم نعرف ماهيته و تصنيفه, لنختار المقولات التي تنطبق عليه, و كذلك ما إذا كان موجوداً بآلقوة و آلفعل, و هل هو واحد أو كثير؛ قديم أو حادث؛ علّة أو معلول؛ تامّ أم ناقص, و خلاصة الكلام إنّ معرفتنا الدقيقة لـ "ألعرض و آلجّوهر" تساعدنا في فهم فلسفة ألمبادئ و آلأحكام الأسلاميّة و الكونيّة و الأنسانيّة و إرتباطها المصيري بآلله جوهرياً من جانب, و من جانب آخر تُعطينا القدرة لتشريع و صياغة ألقوانين ألأجتماعية و المدنية بشكل كامل و صحيح بإتجاه خدمة الأنسان و سعادته, عبر تثوير ألأرض و إستعمارها و تصنيع ألموارد الطبيعية و تقنينها, و تنظيم الحياة الأجتماعية لأسعادها, و عندها سيتجلى الهدف ألحقيقي من العبادة عملياً كما بيّنا ذلك تفصيلاً في الحلقة ألسّابقة(14), و نتجاوز حالة ألحسد و التطفل على قوت الآخرين و رزقهم كما هو حال أكثر ألمتلبسين بآلدّين و آلسّياسة للأسف!

إنّ ألمشرّع إذا لم يعرف ماهية الموجودات(جوهرها) بعد عرضها, فأنّه غير قادر على تحديد قانونٍ إنساني عادل و شريف و شامل .. صغيراً كان أو كبيراً, بحيث يتناغم مع ماهية ألوجود و حركة الأفلاك و موسيقى الكون(15) لسعادة الأنسان, و من هنا و لكون جميع الذين شرّعوا القوانين في العالم إلى يومنا هذا لم يأخذوا بنظر الأعتبار هذا الأساس القويم من النظرية المعرفية؛ لهذا رأينا و نرى نتائج تشريعاتهم ألفاسدة تلك .. ما فعلتْ بآلبشرية من آلمآسي.

و آلأمر لا يتوقف عند هذا الحدّ .. بل إنّ تلك المعرفة تضفي لوجود الأنسان بعداً إلاهياً فيما لو تمّ إعماله, حيث يُمكننا من إحساس الجمال و آلكشف عن مكنونه في كل شيئ في هذا الوجود, فما هي فلسفة الجمال و قوانينه و أبعاده و أصوله, و لماذا علينا أن نحبّه .. بل و نقدّسه!؟
هذا ما سنبيّنه في آلأساس ألقادم إن شاء الله.

---

(1) ألأسئلة الستة ألتي وردت في الأساس الخامس لنظرية المعرفة هي: من أين أتى ألأنسان؟ و كيف أتى؟ و مع من أتى؟ و لماذا أتى؟ و كيف يرجع؟ و إلى أين يرجع؟

(2) يشكل آلقلب ألوجود الحقيقي للأنسان, و تؤثر في وجوده مجموعة من آلقوى و آلعوامل ترتبط بعضها ببعض و تؤثر بعضها على بعض بعلاقات إيجابية أحياناً فيما لو تم آلاختيار آلحسن و آلتزكية آلواعية .. أو بعلاقات سلبية فيما لو تمّ أنتخاب آلطريق آلسيئ, أما مُكونات آلقلب و آلعوامل المؤثرة فيه , فهي : مجموعة الغرائز , الروح , فطرة الانسان, ذات الانسان, عقل الأنسان, نور الله, آلعلم, طينة الانسان - تقديراً و تكويناً, نوع غذاء الأنسان, مصدر الغذاء(هل هو حلال أم حرام).

(3) بآلطبع نستثني من المراجع ألأمام الفقيه محمد باقر الصدر, و الأمام الخميني و ألكثير مِمّن تخرّج من مدارسهم! و السبب الأساسي في

ذلك يعود إلى عدم إهتمام الفقهاء المراجع بآلقرآن الكريم ألذي هو آلثّقل الأكبر في الأسلام سوى بآيات آلأحكام ألتي تُمثل جزءاً محدوداً من القرآن و تنحصر معظمها في العبادات الشخصية, و هكذا بدل أن يجعلوا جواهر الوجود و الأشياء هي الأساس نراهم جعلوا الظواهر الشرعية ألشخصية دلالات و معايير تفوق جوهر الأحكام و حقيقة الخلق و الوجود, و كأن الله تعالى أخطأ(حاشاه) في إنزال أكثر من ستة آلاف آية أخرى بجانب آيات آلأحكام لكونها لا وجود لها في حياة المسلمين!

(4) [أ وَ لم ينظروا في ملكوت ألسّموات و آلأرض](ألأعراف / 185).

(5) مشكلة "ألغزالي" أنّه لم يُبيّن بشفافية كيفية الأستقلال ألمزعوم في الظواهر .. و لعله كان مُحقّاً لو كان يعني إرتباط الظاهر بآلجوهر كإنعكاس له, كآلأنسان الذي أصلح سريرته فكانت علانيته الظاهرة صالحة بسبب ذلك!

(6)هناك مدرستان؛ ألأولى: تعتقد بأن أفعال العباد جبرية لا دخل للأنسان فيها, بل كلّها من آلله, أي الله هو الفاعل, و مدرسة أخرى تعتقد بأن كل فعل هو من الأنسان ولا دخل لله تعالى فيه, أي أنّه مُفوّض تماماً, و هناك فرقة ثالثة تؤمن بأن الأمر ينحصر بين الأمرين و لكل فريق أدلته و براهينه على ذلك .. للتفاصيل راجع كتابنا؛ (أسفارٌ في أسرار الوجود).

(7) أرسطو(1975م), ألميتافيزيقيا أو "ما بعد آلطبيعة", ترجمة الدكتور شرف الدين ألخراساني, مطبعة دار العلم, ص257.

(8) راجع كتابنا(أسفارٌ في أسرار الوجود) ج2 ح4.

(9) ألعناصر الأربعة هي: ألماء و الهواء و التراب و آلنّار .

(10) إبن سينا, علي(1970م). ألألاهيات الناجية, ترجمة الدكتور يحي اليثربي, ص30.

(11) للتفاصيل؛ راجع كتابنا(أسفارٌ في أسرار الوجود).

(12) ألقيامة / 4.

(13) ألألاهيات الناجية – مصدر سابق / ص35.

(14) راجع ألأساس الخامس"فلسفة خلق الأنسان".

(15) لكل شيئ في الوجود نغمة موسيقية خاصّة و حركة جوهرية لا يتحسّسها إل من عرف جواهرها.

أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – ألأساسُ ألسابع

أساسات نظريّة ألمعرفة – ألأساسُ آلسّابع

عِلم ألجّمال

ألجّمالُ كآلفنّ .. كآلعشق .. كآلوجودِ كُلّه .. يسرّ ألنّاظرين؛ ليسَ لهُ تعريفٌ علميٌّ ذاتيٌّ محض, بلْ لهُ تعريفٌ عرفيٌّ لفظيٌّ عامّ, و لعلّ فقدانه لتعريفٍ مُحدّدٍ يعود لبداهتهِ و إندماجهِ و صيرورتهُ في آلأشياء و آلمخلوقات ذاتها .. بلْ في آلوجود ككُلّ .. حتّى صارت مَلَكَة فيها, و لذلك قيلَ: " إنّ الله لمْ يخلق شيئاً عبثاً" حيث قال سبحانه و تعالى: [إنّا كلّ شيئ خلقناهُ بقدرٍ](1)و كلّ ما في هذا آلوجود جميلٌ, من هنا وجبَ علينا إعتبار هذا آلأساس كمعادلةٍ لتحديدِ و رسم ألقوانين ألمدنيّة لإحياء و صياغة مجتمع إنسانيّ سعيد!

ألفلاسفةُ و آلحكماء منذُ آلقديم .. قالوا آلكثير عن آلجّمال(2) و تفكّروا فيه .. حتّى قالوا؛ [لا يُمكن أن يكون شيئاً خارج ألذّهن ألأنسانيّ و ضميره], لكنّ آلنّاس لا يعرفون إلى آلآن إلّا حقيقتهُ الظاهريّة ألتي وضعوا لها مقايس عرفية, فتحدّد عبر الأقتران مع ما أسموه بـ(ألقبيح), و كذلك من خلال مدى الأنسجام بين آلألوان و تناسق ألمكونات ألشكليّة في آلوجوه و آلأشكال ألطبيعية و آلأكوان عند آلفنانين, أمّا على مستوى ألجّوهر(جمال ألباطن) فقد عُرف من خلال مدى علاقة جوهر ألمكونات مع مُراد ألخالق تعالى ألذي إندمجت كينونته في الخلق كشرط لوجودها و إستمرارها لأداء وظائفها التي جُبلتْ عليها من قبل الخالق البديع, حيث يصعب تجلّيها للعيون أو كشفها من قبل آلحواس ألظاهرية الأخرى, لكن إدراكه – أي إدراك جمال الجّوهر - يتمّ بعين ألقلب, فحقيقة الجّمال كلّها لا تُدرك من خلال ألحواسّ ألخمسة ألمعروفة لدى آلأنسان لكونه يرتبط بملكوته, و بحسب تعبير الفلاسفة؛ [ألجّمال ليس له حيّز معيّن في آلفضاء بلْ له وصفٌ خارجيّ لا يتحقّق لنا كماله إلّا من خلال ضمير ألأنسان – أيّ قلبه – و ظاهره صفة مجازيّة للأشياء و آلمخلوقات(3).

و لو أردنا وصف جمال موجود مُعيّن, فأنّنا نستخدم في أحسن آلحالات لغة ألكناية مثل: وجهه كآلقمر, أو محمدٌ كثير آلذّكر, أو ألقمر منيرٌ, أو صوتهُ كآلبلبل, و آلكناية أبلغ من آلتصريح!

لكن مع كلّ ذلك .. فأنّه من آلصّعب معرفة و تفسير حقيقة ألجّمال نفسه أكثر من ذلك, حيث يتعقّد آلأمر حين تتداخل عدّة مُكونات وجودية مع بعضها ثمّ تتقاطع في مصالحها و غاياتها, من هنا تبرز أهميّة مراعاة كنه ألجّمال و دوره في هذا آلوسط أثناء سنّ قانون مُعيّن يرتبط بقضايا ألمجتمع و مصير الأنسان فيما لو أردنا آلحفاظ على طبيعة ألجّمال كعنصر أساسي في تشكيل و تقويم ألقوانين لتطبيق العدالة لنيل ألسّعادة الأنسانيّة(4).

و لكن كيف يُمكن أن يتحقّق هذا آلمبدأ مع وجود ألنّفس ألأنسانيّة ألّتي تأمرُ بآلقُبح عادةً كطبيعة متجذّرة في آلأنسان!؟

و هذا آلسّؤآل أساسيّ بذاته .. و يجرّنا إلى القول:
هل آلجمال أمرٌ عيني أم ذهني؟
أم يشتمل ألحالتين!؟
و هل يشترك جميع ألحواس مع آلعقل لمعرفته!؟
و هل العقل الظاهر .. أم العقل الباطن يكشف ذلك!؟

أم ألأثنان معاً!؟
أم آلجّمال موضوعٌ يمتدُّ حقيقتهُ خلال جميع ألأمور ألواردة أعلاه!؟
أو بسؤآل جامع و احد؛ هل الجّمال يشمل ألتّرابط الخفيّ بين مكونات الوجود .. بدءاً بآلذرة و حتّى بآلمجرّة!؟
و إذا كان آلأمر يتعلّق بكلّ ذلك؛ فما آلسّبيل لكشف تلك آلعلاقات ألخفيّة, و نحن آلعاجزون إلى الآن حتّى على وضع تعريف لفظي شامل للجّمال!؟
يبدو و من أجل ألوصول إلى المعرفة الكاملة - أو إلى حدود تلك آلمعرفة ألجّمالية على آلأقلّ - أنّه علينا ألأحاطة بجميع ألموارد و آلبيانات ألآنفة عبر ألأعتماد على آلعقل الباطن ككاشف للأمر!؟

لكنّ آلسؤآل ألّذي يفرض نفسهُ في هذا آلوسط أيضاً هو:
كيف يمكن ذلك .. و نحن عاجزون عن معرفة جمال أو قُبح أنفسنا ألتي بين جنْبيّنا .. معرفة كاملة .. لأنّ الأنسان لا يُبصر عيوب نفسه!؟
هذا على آلرّغم من وضوحه و بداهته في أعين الناس!

و ما آلشّر و آلقُبح؛ إلّا كعوارض لمعرفة ما يقابلها من آلخير و آلجّمال, هذا فيما لو فرضنا بأنّ هناك قبحٌ أو شرّ!؟

و آلجّمال لا يتحدّدُ بآلظّاهر(ألعَرض) كما يتصوّر آلنّاس, بلْ آلجّمال ألحقيقيّ يتداخل في آلجّوهر كما في آلعَرض ليمتزج حقيقة آلخلق و آلوجود كلّه بآلجّمال و آلأبداع و آلأتقان بحسب ألقرآن(5)؛ فدقّة ألصّورة و تناسب ألوان ألّلوحة و تناسقها هو آلذي يُحدّد درجة آلجّمال وقوّته في آلظّاهر, لكن مع هذا يبقى السّر مختبئاً في ثنايا الشكل و تداخل الألوان و ظلالها و أبعاد ألحركات و آلعلامات الفنيّة بحسب ما تصوّرات ألفنّان و مراده!

و آلجّمال أمرٌ حقيقي طبيعي و ليس صناعي, بل ألصّناعة و آلتكنولوجيا(6) على آلعكس قد أثّرتْ سلبياً في آلجّمال إلى أبعد ألحدود, خصوصاً عندما إستخدمت في مجالات غير إنسانيّة كصناعة ألأسلحة و آلمُتفجرات و آلقنابل ألنّوويّة و فضلاتها, لما لذلك من تأثيرات خطيرة على حياة الأنسان و آلأحياء و آلطبيعيّة, فما زال آلعالم يشهد جرائم أمريكا حين ضربتْ ناكازاكي و هيروشيما ألياباننيّتين بآلقنابل ألذّريّة(7), بل إن لفضلاتها تأثيرات خطيرة على آلأنسان و آلبيئة بشكل عام, كما أنّ إستخدام الأسمدة الكيمياوية في آلزّراعة و آلدّواجن أدّتْ إلى فقدان المنتوجات الزراعية لنكهتها و قوتها و شكلها و رائحتها, كل ذلك بسبب تسخير العلم لصالح منفعة ألطبقة الرأسمالية ألّتي تُسيطر على آلمال و آلأقتصاد ألعالمي(8) و ألتي تحدّد نوع الأنتاج و مجالاته و أسواقه و كمّيته بينما هم يأكلون و يشربون غير ما يأكله و يشربه عموم الناس, حيث لهم مزارعهم و مواشيهم و دواجنهم ألطّبيعيّة ألخاصّة!

كما أنّ تناسق ألألوان و إعتدالها في أزهار حديقة أو لون صالة أو ثوب أو مكياج؛ هو بُعدٌ ظاهريّ (عرضيّ) لجّمال ألجّوهر ألمخبوء في تلك آلمخلوقات!
كما أنّ جمال ألقاضي؛ بإخلاصة للحقّ.
و جمال ألحاكم؛ بعدله.
و جمال ألغنيّ بإنفاقه.
و جمال ألفقير بعفّته.
و جمال ألمكثور(9) بآلصّبر.
و جمال ألمهني و آلمتخصّص بخدماته و إنتاجه و إبداعه و أخلاصه للنّاس.

و جمال ألمُفكر (ألفقيه) بآلفتاوى في "آلأحداث ألواقعة"(10) لخلاص ألمجتمع من آلأفكار و آلسّياسات ألضّالة و ألظالمين و تحقيق ألأمن و آلرّفاه و آلتآلف و ألمحبّة لسعادة ألمجتمع, حيث لا تعني "ألحوادث ألواقعة" ألأحكام ألعباديّة(ألرّسالة ألعمليّة) كما تدعيّه (ألمرجعيّة ألدّينية ألعرفيّة ألتقليديّة) للأسف .. للتّنصل عن مسؤوليتها ألحقيقيّة ألّتي تحتاج للتّضحية و آلجّهاد.

و آلتّعبير ألجّميل هو من أوسع أنواع ألفنون ألجّماليّة و أكثرها أثراً و فاعليّةً في حياة النّاس و تعاملاتهم؛ خطاباً؛ إسلوباً؛ أمراً؛ نهياً؛ توجيهاً؛ تعليماً؛ تربيةً, و قد أشار آلباري تعالى في آية لطيفة إلى ذلك بقوله: [... وقولوا للناس حُسنا ...](11) [فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فضّاً غليظ القلب لأنفظوا من حولك](12), فحياة ألناس جُبِلتْ على ألأستئناس بآلكلام ألجميل و على حبّ ألرّفق و طلاقة الوجه و جماله, و فُطِرَتْ على الخُلق ألعالي و جمال ألّلفظ.

و آلزّوج و آلزّوجة و آلمعلم و آلمرشد و آلنّاصح و آلكاتب و آلمثقف و آلوزير و آلرئيس؛ كلّ هؤلاء ينبغي أن يكونوا أهلاً للقول ألجّميل, و آلصّبر ألجميل, و آلصّفح ألجّميل, و آلهجر ألجّميل و آلبساطة و آلتّواضع في آلحياة!

و ذاك آلجّمال ألجّميل؛ لا يكون على حساب آلحقّ, أو في آلكذب, كما لا يُمكن أنْ يكون آلفنّ في آلفسوق, و لا يُستساغ بجمال ألتّعبير إختلاق ألأباطيل من آلقول و آلتّزوير كما يفعل ألكثير من آلخطباء و علماء ألدّين ألتّقليديون حين آلتّحدث مثلاً عن عاشوراء أو عن بعض مآثر صحابة ألنّبي(ص) أو ألأئمة(ع), لأنّ بيان آلجّمال هنا يكون وسيلة لهدم ألحقّ و تشويهه .. فآلذّريعة إلى آلممنوع ممنوعة و كذلك إظهار التواضع تصنّعاً هو إستغفالٌ للناس و هو من أسوء و أرذل أنواع ألسّلوك ألأنساني!

و من آلسّذاجة أن يهتمّ ألنّاس بحسن ألمظاهر و جمال ألصّورة, بينما في أحاديثهم و سُلوكهم قبحاء ألعبارة؛ مُكْفهري ألوجوه؛ خَشِني ألتّعامل؛ سُلطاء ألألسنة؛ غليظي ألقلوب؛ كئيبي ألملامح!
و لكي يكون آلشّيئ – أيّ شيئ – جميلاً؛ لا بُدّ أن يكون سالماً من آلنّقائص, مُتناسقاً, منتظاً, يتحرّك مع أنغام موسيقى الوجود و حركة ألأفلاك!

إنّ آلنّص ألقرآني و حتّى آلأحاديث ألنّبوية و كلام ألأئمة و آلعلماء المفكريين كنهج ألبلاغة و نظرية المعرفة تضعنا أمام وعيّ جماليّ فريد و جديد, نجد تجلياته في آلفكر و اللغة و السّلوك و آلفن, ألذي ينطلق كلّه من خالق آلجمال و مبدعه في هذا الوجود, فله تعالى وحده جمال الذات و الصّفات و الأفعال, و قد يشاركه آلأنسان في آلصّفات لكنه لا يرتقى أبداً لصفات الذات لكونها مختصة بآلباري تعالى كما بيّناه سابقاً, هذا من جانب.

و من جانب آخر فقد نبّهنا ألخالق إلى ضرورة تجنّب ألقبح كما جاء في قوله تعالى:
[و أتبعْناهم في هذه الدّنيا لعنةً و يوم القيامة هم من المقبوحين](13).
أهميّة معرفة ألجّمال في نظريّة ألمعرفة تأتي مباشرةً بعد ما عرفنا دور و حقيقة "ألجّوهر و آلعرض" في آلأساس ألسّابق(14), فمعرفة آلجّمال من قبل ألمُشرّع تُزيّن عقله و تُعبئ روحه بشكل طبيعيّ لدفعه بآلأتجاه ألصّحيح لتحديد و تقرير ألأحكام و آلقوانين لنا بشفافيّة, ليكون ألقانون ألمُراد تصويبه لأمرٍ مُعيّن من أمور ألمجتمع قد روعي فيه كلّ أبعاد ألجّمال و آلمصلحة ألأنسانيّة مع عدم ألأفراط أو آلتفريط في حيثيّاته و نتائجه, ألمهم ألذي علينا مُراعاته هو غائيّة ألقانون ألمنظور بملاحظة ألبُعد ألجّمالي بجانب ألأبعاد ألأخرى لتثوير ألحقّ و آلعدل و بآلتّالي تحقيق ألسّعادة كغاية!؟

أنواع ألجّمال:

ألجّمال ينقسم إلى جمالٍ روحيّ و آخر ماديّ, أو جوهريّ و عرضيّ, فآلرّوحي يبعث على آلرّاحة و آلسّكينة؛ حيث تكون آلنّفس ألواقفة عليه كآلسّماء ألزّرقاء صافيةً, و قد إنقشعتْ عنها سحائب ألقلق و آلحيرة, و هذا آلأحساس ألجّميل؛ يُعبّر عن خلاص ألأنسان من مؤثّرات ألحياة ألسّلبيّة, و تحقق حالة العرفان في صاحبه, فلا يفعل إلّا ما يُمليه عليه ضميرهُ آلفعّال أليقظ و هو صاحب خلق جميل!

ألجّمال إذن؛ مقدرة على مقاومة النّفس ألّتي تأمر بآلقُبح عادةً و قبل كلّ شيئ, و يقترن جمال ألجّوهر بآلفضيلة و صدق ألمشاعر و آلأيثار.

أمّا آلجّمال ألماديّ؛ فهو آلمنحوت على آلأجسام ألرّشيقة و آلوجوه ألنّاظرة خصوصاً عند آلمرأة لكونها مظهر ألجّمال و آلصّفاء و آلأمن و على صفحات ألطبيعة و سطورها, يُعلن عن نفسه دون مشقّة أو أقنعة زائفة .. يُعبّر عن ذاته بذاته.و إذا كان آلأنسان خليفةً لله في آلأرض في صورة تقويميّة, فإنّه من منطلق ألواقعيّة عليه أنْ يحرص على جمال ألرّوح و آلعقل و آلوجدان و تجنّب تقويضها بآلذّنوب, لأنّ تلك ألسّريرة ستعكس حقيقة ألأنسان علانيةً من خلال ظاهره و ملامح وجهه وسكناته و سلوكه و تصرّفاته(15).
و يتطلّب تحقيق ذلك مواجهة قوى آلظّلام و آلقبح بقيادة ألأستكبار ألعالمي ألّتي تدفع ألبّشرية نحو جاهليّة جديدة إلى آلحدّ ألذي عادت مع تلك آلقيود لا ترى و لا تعرف حتّى ظواهر و مقايس ألجّمال ألسّطحيّة ناهيك عن كنهه و أسراره وحكمته في كلّ شيئ, هذا بجانب ألجّهل ألمطلق بآلنّسبة للعلاقة بين أسرار ألجّمال في ممكنات ألوجود من جهة .. و بين مكونات ألوجود و واجب ألوجود من آلجّهة ألأخرى!؟

بعد هذا هل بآلأمكان أن نصل إلى أسرار الجمال و حقيقته في آلكون!؟

إنّه بلا شكّ شيئ مُمكن .. لكن بشرط أنْ يتحقّق ألتّناغم و آلأتصال ألأيجابي بيننا و بين حركة ألخلق و أنغام ألوجود و آلأفلاك, و تلك آلحالة ألعرفانيّة تتطلّب ألمعرفة ألواعية للعلوم ذات ألعلاقة قبل كل شيئ و في مقدمتها علم النّفس و آلأجتماع!

و آلأحكام ألأسلاميّة في مُجملها تستهدف تحقيق ذلك عبر تغيير مفاسد ألأخلاق إلى محاسنها في أجواء الأمن و آلرّفاه و الأستقلال, و هذا هو محور فلسفة ألتّشريع و ربّنا عزّ و جلّ – "ألذي أحسن كلّ شيئ خلقه"(16) سخّر لنا ما سخّر في أنفسنا و في أرضنا و في سمائنا, و أذن لنا في آلجّمع و آلتّوفيق بين آلأنتفاع و الأستمتاع بما في آلطبيعة؛ يقول الله – عزّ و جلّ؛ [و آلأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون, و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون, و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ ألأنفس إنّ ربكم لرؤوف رحيم, و الخيل و آلبغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق ما لا تعلمون](17), و يقول تعالى؛ [و أنزل لكم من السماء ماءاً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة](18), و قوله تعالى؛ [يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد](19), بل فرض علينا الباري تعالى ألنّظر و التأمل في آلجمال بقوله: [أ فلا ينظرون إلى آلأبل كيف خُلقتْ, و إلى السّماء كيفَ رُفعتْ, و إلى آلجبال كيف نُصِبَتْ, و إلى آلأرض كيف سُطحتْ](20) ثمّ أشار الباري تعالى إلى وجوب آلعمل و آلأنتاج بقوله: [هو أنشأكم من آلأرض و إستعمركم فيها](21), و كذلك آلعشرات من الآيات التي دلّت على أهمية ألجّمال و دوره, و ما قصّة يوسف كما جاءت تفاصيلها في سورة يوسف .. و ما جرى له مع زليخا حيث وصفها الله تعالى بأحسن ألقصص في آلوجود؛ إلّا دليلٌ على مكانة و خطورة ألجّمال و دور آلعشق في آلحياة في تغيير مجرى آلأحداث و آلمصائر, لذلك لا بدّ من حسن آلتعامل

معه طبقاً لطبيعة القوانين الألهية.

أبعاد ألجّمال:

ألتناسب و آلتّنوع و آلكينونة و آلأهتزاز و آلموقع.

ألتناسب؛ يجلب ألهدوء و آلأطمئنان و آلأستقرار, خصوصاً مع تناسق ألألوان ألغير ألصريحة .. كآللون ألسّماوي و آلفستقي(22).

ألتنوع؛ يجلب ألنشاط و آلحركة و التجدد.

ألكينونة؛ تعطي مستوى ألشّفافية و قوّة ألجذب طابعاً و تُحدّد آللون, حيث إن لكل لون آثار و خصوصيات.
ألأهتزار؛ يُؤثر في آلضّمير عبر موجات ألأثير ألمتبادلة بين آلمُرسِل و آلمُستلِم, سواءاً كان إنساناً أو أيّ مخلوق آخر, و تُقاس بآلذبذبة(ألتردد).

ألموقع؛ تعطي آفاقاً و قوّة و كشفاً إضافياً لدرجة ألجّمال في آلفكر(ألذهن) من خلال ألمواقع ألأرتباطيّة و نوع و شدّة آلعلاقة بين مكوّنات مُمكن ألوجود على جهة و بين مُمكن ألوجود و واجب ألوجود من جهة أخرى, بإتّجاه تحقيق مستوى و حالة آلجّمال و آلكمال في موجود مُعيّن أو في وجود ألأنسان بآلذات!

ألجّمال و آلألوان:

تعتبر ألألوان ألمُعرّف ألأساسيّ للجّمال آلظاهري بجانب تناسق مكونات ألصّورة أو ألشكل, كتعبير للمكنون(ألجّوهر) و مصدر ألألوان في الطبيعة هو آلشّمس ألذي أقسم به ألباري تعالى و ذكره في آيات عديدة, بل جعلها عنواناً لسورةٍ كاملةٍ(23), و آلجّميل أنّ كلمة لون و مشتقّاتها وردتْ سبع مرّات في آلقرآن ألكريم(24) كدلالة على ألوان الطيف الشّمسي ألسّبعة, و آلأجمل أنّ ألباري تعالى و لأنّه (جميلٌ و يُحبّ ألجّمال)؛ فقد أضاف أسماءاً و صفاتاً و خصائص للبعض فقط من تلك الألوان و إستخدمها بكثرة في آلطبيعة(25).
كما أقسم الله تعالى بآلشّمس و ضحاها .. كصفة عظيمة تختزن ألوان ألجّمال و آلأسرار, فآلضّحى هي الفترة التي تتوسط شروق الشّمس و غروبها, حيث تظهر قمّة تألقها و صفائهاو بياض أشّعتها و إنتشارها وسط السّماء, ثمّ كرّر تعالى قسمه بآلقمر لتأكيد أهميته و جمال لون ضيائه الفضيّ ألذي هو إنعكاس لضوء الشمس ألتي تغيب عن نصف الأرض في الليل لتشرق على النصف آلآخر.

و آلله تعالى هو منّور ألأنوار كما ورد في سورة النور(26) و آلألوان ألتي إختارها الله تعالى للطبيعة و الطيف الشّمسي .. هي أجمل ألألوان ألتي تنسجم مع طبيعة روح المخلوقات و في مقدمتها الانسان, و كذا مع روح الطبيعة, حيث تأنس بها ملكوت الأشياء و آلأرواح أكثر من غيرها, و تستلهم منها ألرّاحة و آلرّوائح و آلأمان و آلشّفاء و العطور عبر منظرها و أشّعتها و ذبذباتها.

ألألوان تحدّد صبغة ألوجود و تعكس جمالها آلظّاهري, تصوّر لو كان آلوجود بلونين (ألأسود و آلأبيض) كيف كان عليه الوضع!؟

بآلتأكيد كان سيبعث على آلحزن و آلكآبة و آلخمول و آلضّجر, من جانب آخر فأنّ ألألوان تُجسد ظواهر ألمخلوقات و تبعث فيها آلحيويّة و آلقوة و آلجّاذبيّة و هو تعبير عن ذواتها حيث تُؤثر و تتأثر بها عميقاً, فكلّ إنسان لديه لون مُفضّل يتناسب مع إهتزار خلاياه و طبعه آلذاتي ألخاص به تسمّى بـ "آلرّنين ألطّبيعي" فقد خلق آلله ألكون من ذرّات تحتوي على مكوّناتٍ صغيرة تعمل بإنسجام و بدقة عالية عبر نظام مُحكم و مُعقّد, و قد دَرَسَ آلعلماء ظاهرة إختلاف ألألوان و دُهشوا عندما لاحظوا هذا آلتنوع ألغير محدود في عالم النبات و آلحيوان و آلأنسان, بل و أكثر من ذلك شاهدوا إختلاف خلايا كل جسم من آلكائنات عن آلآخر, و كان لهذا الكشف الكبير فائدة عظمى لمعرفة أصول ألنّاس و أنسابهم عن طريق الجينات ألتي تحتوي على ألحمض ألنووي [دي إن أي], إلّا أنّنا بآلرّغم من تقدّم ألعلوم .. لكنّ آلعلماء لا يعرفون إلى آلآن بدقّة مدى تأثير قوى و موجات ألألوان و كيفيّتها في إبراز و تحديد ألجّمال و آلتأثير في آلصّحة و شفاء ألأمراض و رونق ألوجود و إنسجام آلمخلوقات في فعلها و تأثيراتها و غاياتها!؟

كما إنّ ألباحثين يعلمون بأنّ آلكون عبارة عن حقلٍ مغناطيسي(27), يَضمّ ألشحنات ألموجبة و آلسالبة و آلمُتعادلة, و كلٌ لها ذبذبةٌ خاصّة دائمة ألفعاليّة و آلتأثير .. حيث تُولّد موجاتٍ أليكترومغناطيسيةٍ أو كهرومغناطيسية(28) تنفذ في آلأشياء و آلمخلوقات و تترك أثرها بآلنفوذ فيها و التقاطع معها سلباً أو إيجاباً بحسب نوع العمل أو الفعالية , و إستطاع العلماء أن يقيسوا و يُحدّدوا تقريباً مقاديرها و وحدات قياسها و دورها في شفاء آلمرضى.

ألموجات ألضوئية ألتي تضمّ ألوان ألطيف لها طول معيّن و ذبذبة و خصوصيّات عديدة, و قد توصّل آلعلماء أيضاً إلى أنّ ضوء ألشمس ألذي يصلنا للأرض كمصدر أساسي للطاقة بعد ما يتمّ تصفيته عبر آلغلاف ألجويّ يضمّ أكثر من 40% من آلألوان ألمعروفة, و رغم إعتقاد ألكثير من آلناس بأنّ آلضوء ألأبيض عديم ألّلون و بلا أثر و غير ملموس عادةً .. إلّا أنّ آلعُلماء أثبتوا أنّهُ يضمّ مجموعة ألوانٍ مُختلفة, لكلّ لون ذبذبة خاصّة به كما أشرنا!

و إنّ آلطاقة ألمشعّة من ضوء ألشمس ألأبيض يُعتبر عنصراً حيوياً لأدامة آلحياة لتَطْبيب و تغذية ألأحساس و آلعقول و آلأرواح و حيويّة ألأجسام و آلأشجار و حتّى آلمخلوقاتِ ألأخرى ألّتي تعيش ضمن منظومتنا ألشّمسية !

لقد قاس ألعلماء ألوان ألطيف ألشمسي بعد كشفها(29), و توصّلوا بعد تجارب عديدة إلى أنّ ضوء ألشّمس ألأبيض يحتوي على سبعة أنواع من آلذبذبات لسبعة ألوانٍ هي: "ألأحمر, ألبرتقالي, ألأصفر, ألأخضر, ألأزرق, ألنيلي, ألبنفسجي", و قاسوا ذبذبة كلّ لون من ألوان الطيف ألشّمسي ألسّبعة, بحيث يستحيل ألعيش بدون ألطاقة ألمُشعّة من مجموعة ألألوان ألخفية في ضوء ألشمس ألأبيض, علماً أنّ آلله تعالى قد خصّص لكلّ مجرّة شمساً خاصاً بها.

ألوان ألطيف ألشمسي عبارة عن تحليل أطياف ألّلون ألأبيض عن طريق منشورٍ زجاجي, و لو تمّ عكس ألعملية فأنّ آلنتيجة ستكون ألّلون ألأبيض ألأصلي نفسه, هذه بآلنسبة للأمواج ألطيفية لأشعة الشمس, لكنّ مزج صبغات ألوان ألطيف(كالباستيل و الألوان الزيتية أو ألكرافيت) ألمصنع تعطي ألّلون ألأسود للأسف, ممّا يؤكد على ضرورة و أهمية معرفة علم ألألوان و خواصّها ليتمّ ألأستفادة منها على أحسن وجه!

و تمّ معرفة تلك آلألوان ألسّبعة و آلتي تضمّ ألألوان ألأساسية ألثلاثة؛ (ألأصفر و آلأزرق و آلأحمر) بآلأضافة إلى اللون ألأخضر

و آلبنفسجي و النيلي و آلبرتقالي – من خلال ظاهرة ألقوس قزح(30), و يمكن لأيّ منّا أن يستخرج تلك آلألوان و يشاهدها بتجربة بسيطة و ذلك بوضع موشور زجاجي أمام أشّعة ألشمس ليراها بوضوح!

و آلحقيقة لا يتعدى تفسير ظاهرة ألوان الطيف ألشمسي قولنا: "بأنّ أشعة الشمس عند إختراقها لقطرات و ذرات الماء أو تلك آلتي تتجمّع أحياناً بسبب ألغيوم أو تطاير ذرّات ألماء من آلشّلالات(31) في آلفضاء ألقريب أو عبر المنشور ألزجاجي .. يتمّ إنحرافها عن مسارها بزوايا تختلف من لون إلى آخر, لتُكوّن لنا مجموعة مُتناسقة مُرتّبة بجانب بعضها آلبعض بإنسجام تجذب ألناظرين و تُسرّهم, و لم نتمكن من آلوصول إلى تفسير هذه الظاهرة و ما يتمّ عند تلاقي آلضوء لذرّات الماء سوى ظهور اللون بسبب إنحراف ألأشعّة!؟

خصائص آلألوان و أثرها في آلجّمال:

كل شيئ في آلوجود لهُ لونٌ يتناسب مع لونٍ أو ألوانٍ أخر يقترن بها .. و كلّ لونٍ لهُ تردّدٌ و كلّ تردّد لهُ طول و خصوصيات تُحدّدها طول و سرعة ذبذبة ألأمواج و كلّ تردّد له أثرٌ على آلوجود إمّا سلباً أو إيجاباً .. و لولا ذلك آلتّباين و آلخصوصيات و آلأختلاف في تّردّدات ألألوان(32) لما كانَ بآلأمكان إحساسُ قوّة ألجّمال و رؤية و تميّز مدى تناسقها و جمالَ آلمخلوقات و شفافيتها بجانب تأثيراتها و فوائدها آلأيجابيّة للأنسان و آلأشياء و آلطبيعة, و لإستحال أيضاً معرفة قوّة ألجّمال ألظّاهري ألحقيقيّة - على آلأقلّ و فاعليتها آلأعجازيّة في شفاء آلكثير من آلأمراض ألنفسية و الجسميّة ألتي تعترضنا و آلمخلوقات - عند إساءة ألتّصرف بها من قبل آلبعض من آلمتسلطين بسبب آلشهوات و آلحرص ألزائد فوق ما قدّرهُ الله تعالى لهم و لكلّ شيئ في آلوجود(33).

لقد ثبتَ عندي جانباً من عظمة ألأسلام من خلال فلسفة ألحجاب ألذي ترتديه ألمرأة ألمسلمة و أثرها في سعادة ألعائلة و من ثم ألمجتمع, حيث إنّ آلأشعة آلضوئية "ألموجبة" و آلّتي سنوضحها .. إذا تعَدّتْ حدودها ستُؤثر سلبياً على خلايا آلأنسان خصوصاً جسد آلمرأة و طبيعتها آلناعمة, فمن آلمعروف أنّ آلرّجل و بسبب تعرّضه الدائم لتلك آلأشعة لوجوده خارج ألبيت و تماسّه آلمباشر مع آلآخرين و مع تلك آلأشعة ألّتي تصدر حتّى من آلمواد ألبلاستيكية و المعدنية ألمشعة بجانب ألشمس نراه يتّصف بآلخشونة و متانة ألجلد و آلمظهر و بشرة سمراء, و آلمرأة لو تعرّضت كما آلرّجل لتلك آلأشعة و ملامسة آلموادّ و آلرّجال فأنّها هي آلأخرى ستتّصف بنفس خصوصيات ألرّجل و تفقد أنوثتها و صفاء لونها و نظرتها و عفّتها .. ممّا يُؤثّر سلباً على قوّة جاذبيّة ألعلاقة بينها و بين زوجها أو آلمحيطين بها داخل آلأطار ألعائلي(34).

لقد تمكّن آلعلماء ألمُختصّون من تحديد ألعلاقة بين آللون ألمُفضل لدى آلشّخص ألّذي يعكس شخصيتهُ, و يفصح عن ميولهِ و صفاتهِ و مزاجهِ و آلرّوح ألمُسيطرة عليه - و بين حالتهِ ألصّحيةِ و أفكارهِ و تصوّراتهِ, كما وضّحوا أنّ آلألوان ألمُحيطة بآلأنسان تُؤثّر مُباشرةً على نفسيتهِ بلْ و يتحوّل إلى تأثير عضوي يجعل ألجسم قابلاً للشفاء من بعض آلأمراض أو للأصابة ببعض آلأمراض, و ينطبق هذا آلشيئ على بعض ألحيوانات أيضاً, و إنّني أعتقد بأنّ أكثر من 90% من آلأمراض ألجّسدية هي بسبب تأثيرات و أمراض آلنفس.

ألبعض من آلألوان تصل تأثيراتها لعقولنا من خلال العينيّن فتهدئه, و بعضها تُحفّز ألنشاط ألعقلي, كما إنها تدخل عن طريق خلايا الجسم بعد أن توسعها بسبب تأثيرات ألأشعة ألمنبعثة منها فتُغير لون آلبشرة بعد ما يتم تدمير آلخلايا السطحية للجلد, فيصبح لونه داكناً.

كما تؤثر آلألوان على مزاجنا و سلوكنا و تفكيرنا, لكون أللون لها طاقة مُشعة تؤثر حتى على آلمكفوفين نتيجة لتردّدات ألطاقة ألتي تتولّد داخل أجسامهم, حيث تسبب ألألوان فتح قنوات آلطاقة في داخل جسم الأنسان لكي تدور مع الدم بشكل طبيعي ممّا يُساعد على آلشفاء, و لذلك إستخدم الصينيون ألقدماء ألألوان لعلاج آلأمراض, و إستخدم آلفراعنة أللون آلأخضر ألداكن داخل آلأهرامات لمقاومة الجراثيم و قتل البكتريا للمحافظة على الموميات.

و تنقسم الألوان إلى موجبة و سالبة؛ ألموجبة تمتاز بتفاعلها ألحُمّضي و إشعاعاتها ألمنشطة كآلأحمر في علاج فقر الدم و آلأكزيما, لكون موجاتها تمتاز بتذبذب أقل و بطول أكبر, و لذلك كان أهلنا يلبسوننا آلثياب آلحمراء عند إصابتنا بمرض ألحصبة, و آلألوان تحت ألحمراء تستخدم في علاج فقر الدم و آلسل, أما آلأسود فيعطي آلأحساس بآلأكتئآب و مضعفٌ للشّهية, و البرتقالي في علاج الأكتئاب و فتح ألشهية, و آلأصفر في علاج أمراض ألجهاز ألتنفسيّ و آلكبد, حيث يسرّ الناظر, و لهذا يُدهن صفوف المدارس و الجامعات بآللون آلأصفر أو البنيّ.

أما آلألوان ألسالبة؛ تمتاز بتفاعلها آلقلوي و تأثيرها ألمُهدئ, لكونها تمتاز بتذبذب موجيّ أسرع و بطول موجيّ أقصر .. كآللون ألسماوي ألذي يُخفّض ضغط ألدّم و تصلّب ألشرايين, و آلنيلي يُنشّط ألذاكرة, و آلبنفسجي يمنع العدوى, و آلبيجي مُهدّئ .. لذا يستخدم في غرف ألنوم و في مراكز علاج ألقدمان, و آلأبيض يستخدم في علاج مرض ألصفراء لحديثي ألولادة, و آللون الأخضر و آلبيجي يضفي ألبهجة و آلمتعة و آلأمان ألنفسي, و لهذا فآلطواقم الطبيّة في آلمستشفيات يستخدمون آللون ألأخضر, و قد بشّر تعالى عباده آلمؤمنين بآلقول:[متّكئين على رفرف خضرٍ و عبقريّ حسان](35).

إنّ ملامح وجه ألأنسان و تقاسيمه و نظرتهُ و لونهُ و ذبذبة صوته و حركاته كلّها تُعبّر عن شخصيته و حالته ألرّوحية, فتجاعيد ألوجه خصوصاً بين آلحاجبين تُدلّل على كثرة ألضّغوط و آلألم ألمتراكم في داخل ألأنسان و آلأشعة آلصادرة من لون ألبشرة لها تأثيرها, و حالة الوجه و أشّعة ألعين ألنّاظرة تترك أثرها بقوّة في المحيطين خصوصاً عند إستقبالها من طرف آخر, و كلّ تلك العوامل تتأثّر بآلألوان و تؤثّر بدورها كثيراً على حالة ألنّفس و آلجّهاز ألعصبيّ ألمسؤول على توازن ألشّخصية و حيويتها و جمالها و تفاعلها مع آلآخرين, كما أنّها تؤثر بآلنتيجة على آلحياة ألأجتماعية و آلعلاقات ألسّياسيّة و آلأقتصاديّة و جودة آلأنتاج لتوفّر ألأجواء ألطبيعيّة للعمل و آلأبداع ألأيجابيّ.

خلاصة ألبحث أنّ للجّمال ألذي أوجده الباري في وجود كل شيئ له دورٌ هامّ يتعدّى ألتّصور ألسّاذج للناس و آلذي لا يتعدى عندهم ألبُعد ألظاهري ألذي هو آلآخر لم نُعطي حقّه كاملاً أثناء تصميم بناء مُعيّن أو صناعة سيّارة أو تصميم جهازٍ أو تلوين تمثال أو نصب في ميدان أو رصيف في شارع أو أيّ شكل من آلمصنوعات و آلمأكولات و آلملابس, فكلّ شيئ في آلوجود له صبغة خاصّة و لون خاصّ يتناسب مع لون أو مع ألوانٍ أُخر يقترن بها و يُميّزها, و كلّ لون له تردّد, و كلّ تردّد لهُ أثر في آلوجود, و من آلأجحاف و آلظلم أنْ لا نأخذ بنظر ألأعتبار أهميّة هذا آلبعد ألحيويّ عند صياغة ألقوانين ألّتي تتعلق بمصير ألأنسان لتفعيل ألأمكانات و آلموارد ألطّبيعية و آلأنتاجية و آلقوى ألبشريّة لبناء ألمجتمع الأنساني لتحقيق سعادته.

---

(1) ألقمر / 49.

(2) **ألجّماليات** أو **علم ألجمال** أو **ألأستاطيقا** (بالإنجليزية), و بحسب ما ورد في موسوعة ألوكبيديا هو:
أحد ألفروع ألمُتعدّدة للفلسفة, لم يُعرف كعلمٍ خاصّ قائم بحدّ ذاته حتىّ قام آلفيلسوف "يومغارتن" (1714–1762) في أخر كتابه؛ تأمّلات فلسفيّة في بعض ألمعلومات ألمتعلقة بماهيّة ألشّعر, إذ قام بالتّفريق بين علم ألجّمال و بقيّة ألمعارف ألإنسانيّة و أطلق عليه لفظ ألأستاطيقا و عيّن له موضوعاً داخل مجموعة ألعلوم ألفلسفيّة, وهناك منْ قال بأنّ: **ألجّماليات** هي فرع من فلسفة ألتعامل مع الطبيعة و الجّمال و الفن و

الذوق؛ علمياً ..عُرّف على أنّه دراسة حسّيّة أو قيمٌ عاطفيّة، و التي تسمى أحيانا الأحكام الصادرة عن الشعور و آلباحثون في مجال تحديد الجّماليات إتفقوا بأنّها "ألتفكير ألنقدي في آلثقافة و آلفن و آلطبيعة,"أليونانيّون ألقدماء؛ كانوا يرون أنّ الإله يجمع بين آلجّماليات ألبشريّة الكاملة و انّه المثال ألمتكامل ألسّامي للإنسان.
"هربرت ريد": عرّف الجّمال بأنه وحدة العلاقات الشكليّة بين الاشياء التي تدركها حواسنا، أمّا "هيجل" فكان يرى الجّمال بأنّه ذلك ألجّنيّ ألأنيس ألذي نصادفه في كلّ مكان، لكن "جون ديوي" عرّف الجّمال بكونه فعل ألادراك و التذوق للعلم الفنيّ.
(3) نسبة ألجمال و قيمته بين المخلوقات الأخرى غير الأنسان, و بغض ألنّظر عن ألتباين بين أصناف المخلوقات و بين الصنف ألواحد أيضاً في مستوى الجمال و مراتبه ألتي رتّبها الله تعالى .. لكونه الخبير ألحكيم؛ فأنه هو آلآخر عالمٌ مليئ بآلأسرار و المعجزات, فمن الصعب إدراك فلسفتها بسهوله أو كيفية إرتباطها بمكونات ألوجود ألأخرى من جهة و بآلله تعالى من جهة أخرى! بإستثناء ما وصلنا من العرفاء و الفلاسفة, و معظمها مستنبطة من الكتب المقدسة و على رأسها القرآن الكريم أو ما بيّنه الأنبياء و الأئمة الطاهرين و الشّعراء أمثال سعدي و المولوي و حافظ الشيرازي و إيليا أبو ماضي و جبران خليل جبران, و لولاهم لكنا قابعين إلى اليوم في وحل الجاهلية, و أنْ كنتُ أرى طغيان جاهلية جديدة عصرية و إنتشارها و سط الأمم بمظاهر مختلفة متسترة بآلديمقراطية.
(4) كمثال لتوضيح القاعدة التي بيّناها؛ أنّ وزير ألزّراعة والغابات في آلحكومة ألأيرانية زمن الشاه رضا بهلوي عام 1930م رفض طلباً للشاه كان مفاده تزويد وزارة الكهرباء من قبل وزارة الزّراعة و آلغابات بأعمدة خشبية لتأسيس ألشبكة الكهربائية و مدّ خطوط الطاقة بين المدن بعد إنتشار الكهرباء أنذاك في العالم, و بينما كان ذلك الوزير المخلص يدرس ألبدائل الممكنة لتلافي التخريب البيئي الذي سيسببه قطع مئات آلآلاف من الأشار العملاقة؛ أصدر الشاه أمراً بتنحيته عن منصبه و تعين شخص آخر إعلن إستعداده بآلكامل لتصفية كلّ غابات إيران لأرضاء الشاه و آلتقرب من السلطان على حساب جمالية الطبيعة و فوائد آلأشجار لكل المجتمع, و بعد فترة قدم وزير ازراعة المخلوع أطروحة عملية حول إستخدام الأعمدة الكونكريتية أ الحديدية كبديل عن أعمدة الخشب, حيث بيّن ألوزير ألمعزول أن ألمشروع ألبديل بآلأضافة إلى تكلفته الأقتصادية الأقل فأنّه يُسبّب ألحفاظ على جمال و هواء و طبيعة الوطن وصحة المواطن بسبب نظرة ألأشجار و دورها في عملية الحفاظ على نقاوة الهواء و كمصدر لتغذية الطيور و الحيوانات, لكن مشروعه لم يُطبق إلاّ بعد أن أكملوا تدمير معظم غابات إيران في وقتها للأسف!
(5) [ربّنا الذي أعطى كلّ شيئ خلقه ثمّ هدى](طه / 50).
(6) يعود الفن ألتشكيلي و العمران المدني إلى جهد و إبداع آلأنسان ألّذي خلقهُ الله تعالى, حيث يعود الفضل كلّه له حين أعطى للأنسان كلّ تلك القدرات و المواهب ألباطنية ألتي لا تُحقق الكمال إلّا عبر الأرتباط مع أصل الجّمال و الأبداع, كما إنّ ألعمليات ألتجميلية من أسوء و أخطر ألإجراآت بكونها تتلاعب في ما صممّه الخالق تعالى, خصوصاً حين خروجها عن ألمألوف حيث تؤثر بعمق في حياة و شكل و طبيعة ألأنسان كما دلّت الأحصاآت العلمية على ذلك, و قد إشتهر إجرائها بين آلناس مؤخراً بكثرة, و سببتْ ألكثير من آلحوادث و آلأمراض ألجانبيّة و آلعاهات ألمستديمة, أما بآلنسبة للمكياج فأنّها لا تضفي جمالاً حقيقياً على آلوجه, خصوصاً إذا كان بألوان صريحة و مُكثّفة, فآلرّجل عندما ينجذب حقيقيةً نحو آلمرأة .. ليس للأصباغ ألتي تراكمتْ على صورتها أو شعرها, و إنّما لجمال نظرتها و تناسق هندامها و عذوبة منطقها و حيائها و نزاكتها و عفّتها, و هكذا المرأة لا تحبذ ألرجل ألذي يتزين كآلمرأة و يقلد حركاتها و سكناتها و لا تنجذب له, لأن المرأة لا ترى آلجّمال في كلّ ذلك, بل تراها في الرّجل من خلال منطقه و أخلاقه و أدبه و تقواه و نظرته البريئة ألخجولة حين ترسل من عينيّ ألرّجل كأمواج متلاطمة رغم هدوئها الظاهر عبر آلأثير مع آلنسيم بآلتناغم مع حركة ألطبيعة و آلوجود لتنساب كقطر ألنّدى على الورق إلى آلقلوب العاشقة ألمُحبة للأنسانية.
(7) أصبحتْ أليوم ألكثير من آلدّول تمتلك ألأسلحة ألذرية الفتاكة, حيث تصرف المليارات على صناعتها, و آلعجيب أن كلّ دولة تُراقب الأخرى و لا تستطيع إستخدامها, و آلحال لا أدري لماذا هذا التسابق الذري في هذا المجال عندما لا تستطيع أية دولة من إستخدامها!؟
(8) لمعرفة المزيد عن حقيقة ألمنظمة الأقتصادية العالمية؛ راجع بحثنا: [ألأسوء ألذي سيواجه ألعراق بعد الأرهاب].
(9) ألمكثور؛ هو آلشخص الذي أحاط به ألكثير من المصائب و آلمحن.
(10) كما ورد في التوقيع المشهور عن صاحب الأمر(عج): [... و أمّا آلحوادث الواقعة فإرجعوا فيها إلى رواة حديثنا, فأنهم حجتي عليكم و أنا حجة الله].
(11) آل عمران / 159.
(12) ألبقرة / 83.
(13) ألقصص / 42.
(14) للتفاصيل؛ راجع ألأساس ألسّادس.
(15) ورد في آلحديث ألشريف: [من أصلح سريرتهُ أصلح الله علانيته].
(16) ألسّجدة / 7.
(17) ألنّحل / 5 – 8.
(18) ألنّمل / 60.
(19) ألأعراف / 31.
(20) ألغاشية / 17 – 20.
(21) هود / 61.
(22) لعدم وجود أسماء صريحة لهذين ألّلونيين(ألسّماوي و آلفستقي) فقد إختار أهل الفن تلك آلصّفتين للدّلالة عليهما كأحلى لونين بنظري في آلوجود .. لكونهما تتلائمان أكثر مع آلجّمال و حالة الرّوح بآلقياس ألنّسبي مع بقيّة ألألوان خصوصاً ألصّريحة, و لهذا قال الشّاعر في وصفه للون ألسّماء:

لوْ لمْ يكن أزرق اللّون أحسنهم .. لما فضّلهُ الله في السّمواتِ.
علماً أنّ آلسّماء ليست زرقاء صريحة هي آلأخرى, لأنّ آلأزرق لون أساسيّ مع آلأحمر و آلأصفر, و آللون ألأزرق يطلق على ما هو أغمق بكثير من آللون ألسّماوي, و آلألوان غير مُحَدّدة بعددٍ مُعيّن كما تصوّرها آلفنان ليونارد دافنشي حين تصوّر أنّ عدد الألوان في الوجود لا تتعدى أربعة آلاف لون, للمزيد من التفاصيل راجع كتابنا؛(أسفارٌ في أسرار الوجود ج4 ح2 و ح3 و ح4.
(23) سورة الشّمس.
(24) ورد ذكر آلألوان في القرآن سبع مرّات و ذلك في آلآيات ألتالية:
[و ما ذرأ لكم في الأرض مُختلفاً ألوانه, إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يذّكرون](ألنحل / 13).
[يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس, إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون](ألنحل / 69).
[و من آياته خلق آلسموات و آلأرض و إختلاف ألسنتكم و ألوانكم, إنّ في ذلك لآيات للعالمين](ألروم / 29).
[ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءاً فأخرجنا به ثمراتٍ مُختلفاً ألوانها](فاطر / 27).
[و من الجبال جدد بيض و حمرٌ مُختلفٌ ألوانها و غرائب سود](فاطر / 27).
[و من الناس و الدواب و الأنعام مُختلفٌ ألوانهُ كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده آلعلماء ...](فاطر / 28).
[ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءاً فسلكه ينابيع في آلارض ثم يخرج به زرعاً مختلف ألوانه ...](ألزمر / 21).
(25) كرّر الباري تعالى ذكر بعض آلألوان صراحةً في القرآن الكريم كآللون آلأخضر ثماني مرّات بعدد أبواب ألجَّنة لتكون في نفس آلوقت دلالة على خصوصيّتها و صفائها, حيث وصف آلجّنة في سورة ألرّحمن / 64 بـ (مُدهامتان) .. أيّ (جنّتان أخضران ضاربتان إلى آلسّواد) و هو آللون ألفستقي حسب إصْطلاحنا, و كذلك وصفه تعالى لجمال آلحُور و أهل ألجّنة بآلقول: [عليهم ثياب سندس خضر و إستبرق و حلو أساور من فضّة](ألأنسان / 21).
كما ذكر الباري أللّون آلأصفر موحياً من خلاله إلى الذكاء و آلرّقة و آلسعادة و آلمرح و آلبهجة, و للدلالة على الأتحاد و العيش آلجماعي و الصّفاء الفكري و رؤية الأشياء بوضوح و واقعية, و يختلف حالة أللون آلأصفر في الواقع حسب مناسباتها؛ ففي لون الأوراق الساقطة في الخريف تدلل على الحزن و الموت و الفناء , و في لون آلرمال ألصحراوية يثير ألأحساس بآلجذب(القحط), و في لون الفاكهة يُثير إحساسنا بنضجها و طراوتها, و في صفرة الشمس بآلدفء و الحيوية و الأحساس بآلراحة, و في بريق الذهب آلأصفر يُشعرنا بآلفخامة و آلثراء و آلابهة.
و قد أشار القرآن آلكريم إلى أن آلأصفر ألشديد آلصفرة يَسرّ ناظره؛ [إنها بقرة صفراء فاقع لونها تُسرّ الناظرين](البقرة / 69).
(26) [ألله نُور ألسّموات و آلأرض مثلَ نوره كمشكاة فيها مصباح, ألمصباح في زجاجة, ألزّجاجة كأنّها كوكبٌ درّي يُوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ و لا غربيةٍ, يَكادُ زيتها يُضيئ و لَو لَم تمسسهُ نارٌ, نورٌ على نور, يهدي الله لنورهِ من يشاء, و يضربُ الله آلأمثال للنّاس, و آلله بكلّ شيئ عليم](ألنّور / 35).
(27) ألمغناطيس؛ عبارة عن قوّة جذب غير منظورة و لا محسوسة لا يعرف آلعلم عن ماهيتها و أسباب قوّة جذبها, سوى ما نُعبّر عنهُ في علم ألفيزياء؛ بآلمجال ألمغناطيسي (ألإميو) و (ألإميونوت), و لعل الله تعالى جسد تلك القوّة في حديدةٍ صمّاء بإعتقادي من أجل تذكيرنا بأن وراء هذا الوجود و هذه القوى قوّة أعظم تُفعل تلك القوى و هذا الوجود, و لعل شبيه تلك القوّة متداخلة في طاقات ألروح ألخمسة(تحدثنا عنها في حلقات سابقة) – بشكلٍ ما زلنا نجهل حتى كيفيّتها, لأنّنا ما أوتينا من آلعلم إلّا قليلاً.
(28) ألموجات "ألأليكترومغناطيسية" أو "ألكهرومغناطيسية" مصطلحات موضوعة؛ و هي مُركّبة من كلمتي: [أليكترون + مغناطيس], أو من: [كهرباء+مغناطيس], و هي مترجمة عن آلنصوص ألعلمية ألأنكليزية:
Electromagnetizem.
(29) أوّل من أشار لجمال آلألوان هو آلأمام عليّ(ع) حين وصف ألوان آلطاووس كما ورد في نهج البلاغة, و يُعتبر ألفيلسوف إبن سينا أول من كشف أهميّة و تأثير ألألوان في شفاء المرضى, حيث حدّد لها بعض آلخصوصيات و آلآثار في كتاب ألشفاء, و بعده سلط الضوء على الموضوع ألعالم نيوتن بخمسة قرون من بعده ثمّ تبعهم بقية العلماء.
(30) ألقوس و آلقزح هي بسبب إنعكاس نور الشمس بسبب مواجهة الأشعة لقطرات الماء ألصغيرة.
(31) تكاد ظاهرة (القوس قزح) لا تغيب عن سماء شلّالات "نياكرا" في كندا على مدار أليوم, بسبب إنتشار ذرّات ألماء ألمتصاعدة في آلفضاء من ذلك الشّلال ألعظيم ألذي يُعتبر من عجائب ألدّنيا!
(32) ثبتَ علميّاً أنّ العين ألبشريّة تستطيع أنْ ترى ألأشياء التي تتذبذب بين آللون ألأحمر و آلبنفسجي فقط, أين المشكلة؟ و هل هناك ألوانٌ أكثر شفافيةً و جمالاً من آلألوان التي نعرفها؟ أم آلألوان هي نفسها كانت و ما زالت و لا تتغيّر حتى في آلجنّة؟ و هل آلعلم ليس بإمكانه كشف المزيد من أسرار الألوان و علاقتها بجمال الأنسان و آلوجود؟
في آلحقيقة أن الإنسان له عقلٌ محدود و حواسٌ محدودة ألقدرات، فكلّ حاسّة من حواسه ألخمس لها مدىً محدداً في تحديد ألتفاصيل، فآلعين لا تقدر على رؤية ألجسم ألصّغير في الحجم لصغره، و لا احتواء الكبير لكبره، لذلك تُستخدم ألآلات .. للمساعدة، فمثلا يُستخدم ألميكروسكوب لتكبير ألشيء ألذي لا يُمكن رؤيته بآلعين ألمجردة حتىّ يمكن رؤيته، ليُرى ما كان غائبا عن العين من جراثيم وجزئيات صغيرة وخلايا وبكتيريا وعوالم من الكائنات الحية والجمادات، والعكس بالنسبة للأشياء الكبيرة. ولكن تظل هناك مشكلة أخرى في العين وهي مشكلة أنواع الأضواء التي بالإمكان رؤيتها، فالعين لا تستطيع أن ترى كل الألوان، أو بعبارة أدق، العين لا تستطيع أن ترى جميع الترددات أو أطوال الموجة للضوء، نحن نستطيع أن نرى عددا محدودا من الألوان، وهذه الحزمة من الألوان المرئية تسمى بالطيف المرئي، فنحن نقدر على رؤية الأضواء التي يكون ترددها بين 390 إلى 750 نانو متر، أو بعبارة أخرى نستطيع رؤية الألوان ما بين البنفسجي والأحمر، ولكن إن تعدت هذه الألون إلى اللون الفوق بنفسجي أو التحت الحمراء فستغيب هذه الأضواء عن الإبصار، إذا لم نقدر على رؤيتها فهل هي موجودة؟ بالطبع هي موجودة, و لهذا أعتقد بإعتمادي على القرآن آلكريم بوجود مراتب أخرى للوجود و آلمخلوقات

خارج مدار كوننا هذا, قد تفوق مرتبتنا الوجودية أو تقل عنها في القدرات و آلعلوم و العقل و الحواس و غيرها, و قد أشرنا لها في حلقات سابقة حيث كشفنا فيها ضعفنا و تخلفنا.
خذ على سبيل المثال الريموت كنترول للتلفزيون، إذا ما وجهته ناحية التلفزيون يمكنك تغيير القنوات، ولو نظرت إلى مقدمة ألرّيموت ستجد قطعة إلكترونية(مصباح صغير) يخرج منها ضوء، لكنك لا ترى هذا الضوء، لأنها من الأشعة الفوق حمراء، و لا يُمكنك رؤيتها بالعين المجردة، ولو أن لديك جهاز تصوير يعمل بأشعة الليزر, و لديها القدرة على التصوير في الظلام، سترى أنّ الرّيموت ألذي في يدك يضيئ الغرفة.
أمّا آلأذن، فهي كذلك لا تستطيع تمييز جميع ألأصوات، فآلإنسان بشكل عام يستطيع سماع الأصواء ذات ألتّرددات ألتي تتراوح بين 20 هيرتز و20 كيلو هيرتز، فأنتَ لا تستطيع أن تسمع أصوات ألفيلة المنخفظة التردد أو غيره، ولا تستطيع أن تسمع صوت ألخفّاش ألعالي ألتّردد، بينما كلاهما – أي آلفيل و آلخفاش - يستطيع سماع تلك آلأصوات ليستفيد منها، ألعديد من آلحيوانات يستطيع سماع أصوات خارج ألترددات التي يسمعها آلإنسان، فآلكلب يستطيع سماع ترددات من 40 هيرتز إلى 60 كيلو هيرتز, لذلك هناك صفارات تُزعج الكلاب و تطردها و لا يُمكن و لا يمكن لأي شخص سماعها بأذنية، و آلخفافيش تسمع أصواتاً ترددها من 20 هيرتز إلى 120 كيلو هيرتز، و الفئران تسمع من 1 كيلو هيرتز إلى 90 كيلو هيرتز، و كذلك الدولفين لها القدرة على سماع الأصوات بترددات عالية، لتفوق الخفاش في قدرتها على السماع، و بالترددات لا أقصد علو أو إنخفاض الصوت، بل قوّة إهتزار وحدة الصوت ، تلك الأصوات ألمُغيّبة عن آذاننا.
حتى الإحساس بال ّلمس محدود، و يتفاوت مكان لآخر على جسدك، و يعتمد ذلك على كمية الأعصاب المتوفرة في مناطق الجسم المختلفة، تستطيع أن تجرب بنفسك حتى تعرف الفرق بين راحة يدك و ظهرك، دع أحدا يلامس ظهرك إما بإصبع واحد أو بإصبيعين عدة مرات (طبعا بشرط أن يلامس أصبعيه ظهرك في نفس الوقت)، وحاول أن تخمّن ما إذا كان يلامس ظهرك إصبع أو إصبعين (دع الشخص الذي يلامس ظهرك يغير بين إصبع وإصبعين بشكل لعشوائي)، ستجد أن العملية صعبة جدا، وستخطئ كثيرا في تمييز الإصبع من الإصبعين (حتى لو كانت هناك مسافة بين إصبعين بقدر إصبع)، ولكن قارن ذلك مع راحة يدك، أغلق عينيك، ودع أحدا يلمس راحة يدك بنفس الطريقة السابقة، ستجد أنك لن تخطئ ولا مرة واحدة، وحتى أطراف أصابعك أيضا حساسة جدا، فأنت تستطيع أن تفرق بين الناعم والخشن وبين الصلب واللين، وغير ذلك, و كذا قوّة ألأحساس, فآلشفاه لا تتحسس بشفافيّة أكثر مما يتحسسه مثلاً باطن الكف, أو أجزاء أخرى من الجلد, و كذلك باقي أحاسيسك، كلّها محدودة، لا تستطيع أنْ تلتقط كلّ شيء يمرّ على عينيك و لا على أذنيك و لا على جلدك و لا على لسانك أو حتى أنفك، و لكن ذلك لا يعني أنّ ما لا نستشعره غير موجود، حينما تصور ناسا صورا مختلفة فإنها تصور أشياء لا تراها العين المجردة، فهناك الإشعاعات الفوق حمراء وبعضها أشعة سينية وغيرها من الإشاعات أو الأضواء المختلفة سواء المرئية أو الغير مرئية، لو عرضت ناسا هذه الصور على الكمبيوتر لما كان بإمكاننا رؤيتها (هذا على افتراض أن الكمبيوتر بإمكانه بث نفس الإشاعات المسجلة بالكاميرات الخاصة التي صورت بها ناسا الصور)، لذلك، حتى تريك ناسا ما لا تراه تقوم بتلوين كل من الإشاعات المختلفة بلون مختلف يمكن للعين أن تراه، عندها سترى ما كان مخفيا عنك، عندها سيكشف لك ما وراء الستار، وبهذا ترى الأمور ربما على حقيقتها أكثر مما لو أن كل هذه المعلومات مختفية عن عينيك.
قد تتصور أن ناسا تقوم بالتلوين لمجرد التأثير الفني على حواس المشاهدين، ربما يكون هذا جانبا من أهدافها، ولكن هناك جانب آخر و مهم وهو أن حتى العلماء في ناسا تستفيد من معرفة محتويات هذه الإنفجارات النجمية أو السدم أو ما شابه من خلال النظر إلى هذه الألوان، ومن الممكن أيضا معرفة طريقة توزيع هذه الإشعاعات والغازات المختلفة حوالي الصورة الملتقطة. إذن، لهذا العمل فوائد علمية وفنية، وبها نستطيع أن نفهم حقيقة الأشياء بشكل أفضل.
حتى في قضية السمع، ربما أذنك لا تلتقط أصوات الفيلة ولا حدة أصوات الخفافيش، ولكن بالإمكان أن نلتقط تلك باستخدام ميكروفونات عالية الحساسية، وبعدها نقوم بتحويل الترددات الغير مسموعة خارج نطاق السمع إلى داخل نطاق السمع، كما لو أنك تنظر من قفل الباب، أنت تستطيع أن ترى في نطاق ضيق، لا تستطيع أن ترى على يمين أو يسار الباب، لترى ما هو موجود على الجوانب لابد من أن يحرك شخصا ما هذه الأمور ضمن مدى رؤيتك.
ربّما تتصوّر أننا أنهينا المشكلة بإدخال كل شيء ضمن مدار ألحواس الجسدية، ربما تعتقد بهذه الطريقة يمكن الكشف عن حقائق الأمور، ربما ما سأقوله الآن سيبين أن ما تعرفه تحتاج أن تعيد النظر في اعتقادك فيه، هناك مشكلة فلسفية وتعادلها أخرى علمية تتناول الحقائق وفهمنا لتلك الحقائق، سواء أرأيناها أم لم نراها، سواء أ أدخلناها في حيز الحواس أم لم ندخلها، كلّ ذلك لا يهم، فآلحقيقة أكبر مما نعتقد به .. و أبعد ما تكون عما نتحسسه، بل أعقد بكثير ممّا نعرفه.
(33) أدّت آلتجارب ألنوويّة و آلحروب العديدة ألتي إفتعلها و ما يزال أصحاب ألشركات ألكبرى في آلعالم و التي تحتاج إلى مصانع كبرى لتوليد آلأسلحة لتصريفها إلى ترك آثار سيئة على البيئة و الأنسان, حيث إن طبقة الأوزون قد تحكم قسماً كبيراً منها, خصوصاً في أمريكا و إستراليا لهذا نرى إن أشعة ضوء الشمس تحرق جلد الأنسان بمجرد ملامسته لبضع دقائق, بآلأضافة إلى تلوث ألجو بثاني أوكسيد الكاربون و بآلأشعة ألضوئية ما دون الحمراء و فوق البنفسجي, و غيرها من الأمراض المعدية و الخطيرة و التي إنتشرت شيئاً فشيئاً في العالم خلال العقود آلأخيرة للأسف.
كما إنّ بعض الأنظمة الديكتاتورية كآلنظام البعثي إستخدمت ألون الأحمر ألصّارخ في تلوين غرف السّجون لتعذيب السّجناء السياسيين نفسياً!
(34) للأسف منعت بعض حكومات ألدول آلغربية إرتداء الحجاب آلأسلامي كفرنسا و آلنرويج, و فرضتْ غرامات على من يرتديها, و منعت دخول المحجبات للمدارس و آلجامعات و المباني الحكومية, و آلغريب أنهم يدّعون المدنية و العلم, و ها نحن أثبتنا بأن الحجاب يُحافظ على أنوثة المرأة و جمالها و يعتبر واقياً لها من آلتشعشعات ألخطيرة ألمتنوعة, و لا ندري متى سيتفهمون نظريتنا هذه, إن كانوا للعلم يحترمون فلا سبيل إلا آلدعاية للحجاب و تشويق آلمرأة لأرتدائها.
(35) ألرحمن / 76.

أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة ـ ألأساس آلثامن

أساسات نظريّة ألمعرفة ـألأساسُ ألثّامنُ

ألكرامة ألأنسانيّة:

لا تُحفظ الكرامة الأنسانية في نظريتنا المعرفية ؛ إلاّ بتأمين الحقوق الطبيعية التي هي حقّ كل مخلوق وعلى راسها الأنسان.

ألمظالم ألّتي حدثت في آلأرض حتّى يومنا هذا سببها طغيان و جهل ألمشرّعين و ألحاكمين بالأنسان و حقوقه ألطبيعية سواءاً في آلشّرق أو آلغرب, فقد شُرّع آلظلم قانونياً مع شرائع حمورابي لحماية ملذاته و قصوره و خدمه و حشمه .. و إستمر حتّى عصرنا ألحاليّ خصوصاً بعد ما عرّف ألغربيّون ألأنسان بعد آلنهضة الأوربية جهلاً أو تجاهلاً, بأنّه؛ حيوانٌ أجتماعيّ؛ حيوانٌ ذو رمزيّة؛ حيوانٌ يصنع آلآلات؛ حيوانٌ ناطق؛ حيوانٌ مفكّر؛ بلْ أخيراً موجود لهُ قيمة ماديّة معيّنة في النّظام يُحَدّدُ بمقدار ما يملكه من آلأرصدة و آلأعتبار ألماديّ(1), لقد ركّزوا في تعاريفهم على جانب واحد منه, و على أساس تلك آلتّعاريف شرّعوا آلقوانيّن ألأحاديّة ألأتّجاه من خلال ذلك الجانب ألأوحد .. لإدارة ألحياة الأجتماعيّة عبر دور رئيسيّ و مباشر للأقتصاد في عملية الأدارة فسبّب هذا المنهج؛ ألكثير من آلمشاكل العائلية و الأجتماعية و آلنّفسية و آلجّنائية و آلدوليّة و آلعالميّة و هدرٍ لحقوق ألأنسان سواءاً للرّجل أو آلمرأة!

و سنبحث ألعوامل و ألجّذور ألّتي سبّبتْ هدر تلك آلحقوق رغم ظهور نظريّات أنسانيّة عادلة نسبيّاً خلال ألقرن الماضي من قبل بعض الفلاسفة أمثال ماسلو و يونج و نيجي.

يُعتبر ألعالم ألكبير "آبرهام ماسلو" ألمُشرّع ألأبرز للحقوق ألأنسانيّة ألعصريّة في آلغرب عموماً و في أمريكا خصوصاً, فقد بيّن في "مثلّثه" ألمعروف تفاصيل ألحقوق ألأنسانيّة ألطّبيعيّة آخذاً بنظر ألأعتبار ألحاجات و آلنّزعات ألأنسانيّة ألتّي حدّدها الفلاسفة الكبار عبر التأريخ(2)!
و يُمكن أجمال نظريّته بآلتّالي:
أولاً: ألحاجة إلى معرفة النفس و سرّ الوجود, ثانياً: بناء النفس حتّى تتفتّق مواهبها, ثالثاً: ضمان ألحاجة الأنسانية إلى معرفة الفن و الجمال, رابعاً: ألحاجة إلى آلمعرفة, خامساً: ألنّجاح في الحياة بآلأعتماد على النفس, سادساً: ألحاجة إلى العلاقات و العشق, سابعاً: ألحاجة إلى الأمن و آلحريّة, ثامناً: ضمان ألحاجات ألماديّة ألطبيعيّة كآلغذاء و آلدّواء و آلسّكن.

نظريّة ماسلو بين آلشّرق و آلغرب:

رغم توافق رؤى "ماسلو" إلى حدٍّ بعيد مع حاجات ألأنسان و نوازعه ألغريزيّة, حيث هناك تطابقاً و توافقاً لنظرياته مع مبادئ الأسلام و آلآيات ألقرآنية(3), ربما بسبب تأثّره بأصول آلكتب ألسّماوية؛ إلّا أنّ آلأنظمة آلغربيّة لم تُطبّق جميع تلك النظرية إلّا لبعض الحدود!؟

كما أنّ آلكثير من آلمحققين في آلعالم برهنوا على موائمة أركان تلك ألنظرية مع تطلعات الأنسان و سعادته كأفضل نظريّة في مجال الحقوق ألطبيعية, رغم هذا إلّا أنها ما زالت غير مطبقة في آلغرب بشكل كامل و كذا في الشرق, بل ما زال آلشّرق لا يعرف شيئاً عنها, كما أنّ آلغرب تعامل مع تلك آلنّظريّة

تجزيئياً ممّا أجحفوا بحقّها,فقد طبّقوا جوانب و تركوا جوانب منها لعدم تطابقها مع مصالح ألمنظمة ألأقتصاديّة ألمُسيّرة للنّظام ألغربيّ!

على آلرّغم من آلدّقة ألبالغة ألتي أبداها في بيان نظريّـته؛ لكنّه لم يُبيّن بوضوح كيفيّة تطبيق و إجراء و ضمان تلك آلحقوق و إجرائها و علاقتها بآلنّظام ألقضائيّ و ألسّياسيّ – و هنا بيت آلقصيد -خصوصاً في قضايا آلأقتصاد و آلموارد ألطبيعيّة و آلأستثمار و آلبنوك و حقوق ألعامل(ألأنسان)كمرتكزات أساسيّة في آلحياة, بآلأضافة إلى فقدانها - أيّ ألحقوق وآلقوانيّن ألماسلويّة - إلى ألأرتباط بأصل ألوجود و آلغاية من خلق الأنسان و دور ألعامل ألغيبيّ في معظم جوانبها و تفاصيلها, ممّا ترك فراغاً كبيراً أفسحَ آلمجال جهلاً أو تجاهلاً أمام آلمستغليين لتقنين و تنفيذ و تفسير ألقوانين ألمتعاقبة لصالح ألطبقة ألرّأسماليّة ألحاكمة و أذيالهم ألّليبراليين ألجّمهوريين و حتّى آلدّيمقراطيين عبر لوبيّات عديدة ومعقدة(4)! هذا بجانب ماهيّة مجمل ألقوانيّن ألمدنيّة و دورها في توسيع ألهوّة بين آلغنيّ و آلفقير!

إنّ تلك آلمنطقة ألفارغة أحدثتْ خللاً كبيراً في معطيات ألحقوق ألأنسانيّة و كيفيّة ألتّعامل معها و آلتلاعب بها من قبل ألّلوبيات ألمُسلّطة و آلّتي تعمل ضمن ألمخططات ألكبيرة لخدمة مصالح ألمنظمة ألأقتصاديّة ألعالميّة عبر تدوين و تدوير ألقوانين و أدلجتها بما يُحقّق منافعهم و يضمن تسلّطهم عبر آلنّظام ألدّيمقراطي ألذي أصبح درعاً واقياً لأسكات ألشعوب و ألمعارضة ألحقيقيّة في آلأمة و بآلتالي عجزها عن تغيير أيّ قانون من تلك آلقوانين"ألمُقدسة" و التي تمسّ كرامة الأنسان بآلصّميم و رزقه و حقوقه ألأساسيّة ألطّبيعية و كأنّ آلأمّة هي آلّتي شرّعتْ تلك آلقوانين بشكلٍ غير مباشر حين إنتخبتْ أعضاء ألبرلمان ألّذين يتمّ إستمالتهم بعد إنتخابهم و عادةً ما يسكتون على حقوق و مطالب ألأمّة مقابل تلك آلأمتيازات ألهائلة ألّتي يحصلون عليها حتّى آخرألعمر!

يُركزّ ألغرب من خلال كلّ نشاط و عمل و حركة على المردود الأقتصادي كأساس في آلحياة لكن بشكل تكون الأولوية فيه لصالح الطبقة الغنية و بعدها تأتي مصلحة ألنّاس ألعوام ألّذين لا يحصلون سوى على ألمقدار ألأدنى من آلأجور و آلأرباح ألتي تؤمّن إستمرار حياتهم ضمن ألمعايير ألّتي يضعونها لتقييم مستوى آلحياة بين آلشعوب حيث تحدّدت بآلتالي:
ألأقتصاد؛ ألتعليم؛ فرص ألعمل و آلأنتاج؛ ألنّظام ألحكومي؛ ألصّحة؛ ألأمان؛ ألحرّيات الشّخصية؛ ألخدمات ألأجتماعيّة.

أنّ ألأختلال ألنّاجم من ماهية أو من بعض جوانب تلك آلنّظريّة من جانب .. و أساليب تطبيقها من جانب آخر .. مع تشريع الكثير من القوانيين ألغير عادلة أيضاً في مردوداتها و منافعها الأحادية لصالح الطبقة ألرأس مالية المسيطرة قد ولّدتْ ألكثير من آلمظالم و من أهمّها:
ألتفرقة العنصرية؛ إزدياد الحروب؛ إزدياد الهوّة بين آلغنيّ و الفقير؛ سلب حقوق الأكثرية قانونياً من خلال ضبط الأجور و خفضها لزيادة أرباح أصحاب الشركات و آلبنوك؛ إستخدام آلمال ألفائض و آلتكنولوجيا للهيمنة و إستعمار الدول ألغير الغربية؛ إزدياد التلوث البيئي؛ تفكك العلاقات الأجتماعية؛ كثرة المشاكل الروحية و النفسية!

إنّ آلتّعامل ألتّجزيئي مع نظريّة "ماسلو"سبّبتْ خرقاً كبيراً لحقوق الأنسان في الغرب قبل الشرق ألذي لم يطبقه و لم يعرفه بعد للأسف من حيث إختلال ألأسس ألضّامنة لتحقيق الرّفاه و السعادة من خلال تطبيق المعايير ألثّمانية(5) ألآنفة ألذكر بما يضمن ألحقوق و لو ألدّنيا(قوت لا يموت)للمواطنين عبر توفير الحاجات الأولية مقابل جبالٍ من آلضّرائب و آلحقوق ألتي يحصلون عليها من كدّ و تعب عموم المواطنين

الآخرين داخل بلدانهم و كذلك من خلال بيع ألأسلحة و آلتكنولوجيا و منتوجات ألنّفظ للدّول ألمصدّرة بعد إختلاق ألحروب و النزاعات و المشاكل السياسية و الأقتصادية و آلأمنية و آلطائفية فيها و مع جيرانها و لذلك نرى أنّ جميع المُنتخبين للوزارات و الرئاسات لا بُدّ و أنْ يكونوا مختصّين في علوم ألأدارة و آلأقتصاد و آلتجارة بآلدّرجة ألأولى كمؤشر لتوجهات ألنظام.

و كما هو معروف فأنّ ألمحاور الأساسيّة في الدّراسات ألأقتصاديّة تعتمد على نظريّات "فرانسو كيناي" و "جون لوك" و "ديفيد هيوم" و "آدم سميث"(6) بشكل خاص.

رغم إنّ "آدم سميث" لم يُقدّم نظريّة متكاملة في آلنّمو ألأقتصاديّ إلّا أنّ آلأقتصاديّون ألّلاحقون إعتمدوا على منهجه لتشكيل ألنّظريّة ألأقتصاديّة ألرّأسماليّة, و يضيف ألفيلسوف "جون ستيوارت ميل؛ نظرات أخرى للأقتصاد ألغربي,فحين نظّر للتنمية ألأقتصاديّة كوظيفة للأرض و آلعمل و رأس المال؛ إعتبر ألعمل و آلأرض عنصرين أساسيين للأنتاج .. في حين يُعَدّ رأس المال تراكمات سابقة لناتج عمل سابق و يتوقف معدّل ألتراكم الرأس مالي على مدى توظيف قوّة العمل بشكلِ منتج فآلأرباح ألّتي تكتسب من خلال توظيف العمالة غير المنتجة مجرّد تحويل للدخل و من سمات هذه ألنّظريّة:

أولاً: ألتّحكم في النّمو ألسّكاني, حيث إعتقد "ميل" بصحّة نظريّة"مالتوس" في آلسّكان ألذين يؤدون أعمالاً إنتاجية فحسب, و إعتقد أنّ آلتّحكم في آلسّكان يعدّ أمراً ضروريّاً للتنمية الأقتصاديّة.

تجدر ألأشارة هنا إلى أنّ ألنّظام ألغربيّ يُشجّع ليس فقط على تحديد ألنّسل و آلأجهاض بل حتّى على تفكيك ألعائلة الواحدة عبر إشاعة الحريّة و روح ألتّمرّد لكلّ شخص و حقّه في آلأختيار و آلرّفض لأوامر والديه أو كفيله و بآلتالي محو ألأسس الأخلاقية و آلمنطقية بين الطرفين ليكون سبباً للأنفصال, كي يتعدّد مصادر ألأستهلاك بآلنّسبة للشركات و مصادر ألأنتاج, فبدل أن يكون عدّة مستخدمين لخط هاتف واحد في أسرّة متماسكة – أي فاتورة واحدة في الشهر- فأنّه في حال تفكّك ألأسرة فأنّها تتحوّل بشكل طبيعيّ إلى عدّة مستهلكين – عدّة فواتير في الشهر - و هكذا بآلنسبة للسّكن و المأوى و آلمركبة و التأمين و وسائل العيش و غيرها ممّا يُسبّب تكثير أرباح المستثمرين و أصحاب الشركات في مقابل إستنزاف العملاء و المستخدمين من عامة الناس!

تجدر الأشارة هنا إلى أنّ فساد أو صلاح ألنظام ألغربيّ يمكن معرفته بوضوح من هذه النقطة؛ ففي الوقت الذي يشجع النظام على تفكيك العائلة بشكل قانوني مُمنهج عبر ترسيخ روح التمرد و الرفض بين أوساط العائلة .. نراهم يُذيقون الذي يخالف ألنّظام ألأمرّين بسبب سرقة صغيرة من متجر من متاجرهم أو خطأ فني أو إداري متقصد, حيث يواجه المُذنب بنظرهم ألسّجن و الغرامات المالية الثقيلة و آلأقامات الجبرية! أتعجب كثيراً .. كيف يُمكن الأنسان أن يُسعَدَ مع هكذا وضع في حياته خصوصاً حين يفقد الوالدين أبنائهم أو الأبناء والديهم أو الزوج لزوجته أو الزوجة لزوجها!؟

ثانياً:معدّل ألتراكم ألرّأسمالي؛ يرى "ميل" أنّ الأرباح تعتمد على تكلفة عنصر ألعمل و من ثم فأن معدّل ألأرباح يمثل ألنسبة ما بين ألأرباح و آلأجور, فعندما ترتفع ألأرباح تنخفض ألأجور و يزيد معدّل ألأرباح و ألّتي تؤدي بدورها إلى زيادة ألتكوين ألرّأسمالي و بآلمثل فأن الرّغبة في آلأدخار هي آلتي تؤدي إلى زيادة معدّل التكوين الرأسمالي.

ألجدير بآلذكر أنّ هذه ألمعادلة تؤدّي إلى هضم حقوق ألعمال لكون ألجّهات ألمالكة و آلمستثمرة تريد

زيادة ألأرباح على حساب ألعمال خصوصاً و إن أصحاب ألشّركات و آلمعامل لهم الحقّ في وضع قوانين خاصّة بهم تحميهم و تحمي أرباحهم و سياساتهم؛ بمعنى أنهم يحقّ لهم تكوين ما يشبه دولة داخل النظام القائم, هذا من جانب و من جانب آخر نرى أتباع سياسة إيراد رؤوس الأموال من الدول الأخرى غير الغربية و تكون عادة من الدول التي يسمّونها بـ (الفقيرة) و ما هي فقيرة و لكن رؤوس أموال شعوبها و حتى الأدمغة العلمية ألتي تبرز فيها تذهب إلى الدول الغربية للأستفادة منهم في تنفيذ المشاريع المختلفة, حيث تتعاظم المصيبة حين يعرف المرء كم من المال يتمّ صرفه في سبيل إعداد طبيب أو مهندس أو مختص في مجال معين هذا ناهيك عن آلمبدعين ألمبتكرين!؟

ثالثاً: معدل الربح؛ يرى "ميل" أن ألمَيْل غير ألمحدود في آلأقتصاد يتمثّل في أنّ معدّل ألأرباح يتراجع نتيجة لقانون تناقص قلّة ألحجم في آلزّراعة و زياة عدد ألسّكان وفق معدل "مالتوس" و في حالة غياب ألتّحسّن ألتكنولوجي في الزّراعة و إرتفاع معدّل ألسّكان بشكل يفوق التراكم الرأسمالي؛ فأنّ معدل الربح يصبح عند حدّه ألأدنى و تحدث حالة من ركود, و في هذا إشارة إلى دعم و تقوية ألأنتاج ألزّراعي من قبل الأقطاعيين للتحكم بمصادر الأنتاج و نوعه و بآلتالي تحديد الأجور و الأسعار و آلسّيطرة على السوق, هذا كلّه كي تكون العملية بمجملها تحت رقابة سيطرة أصحاب المال و آلقرار على طول الخط لتوجيه الناس كيفما يريدون, تجدر الأشارة أيضاً إلى أن الحّريّة ألتي يُشاع عنها في آلغرب تختصّ بآلدّعارة و المظهر بينما المال و الثروة و الأقتصاد والبنوك و الأجور و لقمة الخبر و آلضرائب و آلتأمين بيد الطبقة الغنيّة المسيطرة ألتي لها كامل الحرية في رسم سياساتها و تحديد قوانينها بنفسها,فهل في الغرب حريّة حقيقية كما يُشاع عنها!؟

رابعاً: حالة ألسّكون؛ إعتقد "ميل" أن حالة السكون متوقعة ألحدوث في آلأجل ألقريب و يتوقع أنّها ستقود إلى تحسين نمط توزيع الدّخل و تحسين أحوال ألعمال و لكنّ ذلك يمكن أن يكون ممكناً من خلال ألتّحكم في معدّل ألزيادة في عدد طبقة ألعمال بآلتعليم و تغيير ألعادات, و مهما يكن من أمر فأنّ آلزّيادات التي تحصل أحياناً في حقوق العمال بعد آلأحتجاجات و المظاهرات ألمُمتدة فأنها تُستقطع من آلجانب ألخدمي أو يتمّ تسديده عبر رفع أجور الباص ألذي يستخدمه عادة عوام و فقراء الناس أو آلضرائب ألعامة .. هذا مع العلم أن تلك الزيادة أساساً لا تتناسب حتّى مع نسبة آلتضخم الطبيعي ألحاصل سنوياً في أسعار المواد الغذائية و الأستهلاكية, لهذا يبقى العامل أسيراً و سائراً قهرياً مع الوضع القائم كيفما كان, و بآلتالي بقائه مديناً للنظام على طول الخط و على أكثر من صعيد!

خامساً: دور ألدّولة؛ كان "ميل" من أنصار سياسة ألحريّة ألأقتصاديّة ألتي يجب أن تكون القاعدة العامة, لذلك فقد حدّد دور ألدولة – ألأحزاب أللليبرالية(7)- في ألنشاط ألأقتصادي عند حدّه ألأدنى و في حالات الضرورة فقط, مثل؛ إعادة توزيع ملكية الأنتاج, و هذا لا يؤثر على أصل الخلل الناتج من إنعكاسات النظام الرأسمالي و تأثيره على هضم حقوق الأكثرية.

بآلطبع نحن هنا لا نتطرق إلى واقع التكنولوجيا الحديثة و مسارها آلرّهيب في آلغرب بإتّجاه تعميم تسلّط ألمُستكبرين من أصحاب المال و الشركات و البنوك على آلأرض, لأنها باتتْ قضيّة معروفه للواعين من الناس خصوصاً ألمؤمنين بخط ألولاية ألعلويّة في دولنا, إنّ آلمورد ألأساسي للأقتصاد الأمريكي و معها بعض الدول الغربية تأتي بآلدرجة الأولى من خلال بيع الأسلحة التي تحتاج عادةً إلى حروب ليتمّ تصريفها و إستهلاكها, لذلك لا أحد يتوافق مع البرامج الكبرى للسّياسات الغربيّة و تصنيع القنابل النووية و الأسلحة الخطيرة من قبل الدول المتحالفة مع الغرب إلّا آلمجرمين ألدّوليين و بآلمقابل منع ألدّول المستقلة – كإيران – حتّى من الأستفادة من الذّرة في المجالات ألسّلمية! و آلجّميع يعرف مدى آلتخريب

ألبيئي و آلأنسانيّ و آلحيواني ألذي تتركه ألفضلات ألذّريّة و مخاطرها المستقبليّة!

هكذا رأينا كيف أنّ حقوق الأنسان ألعامل مهضوم و مستضعف في هذا الوسط مقابل الأرباح و الأستثمارات الكبيرة لثلة قليلة من الماكرين الشياطين ألذين لا يتجاوز عددهم بضع مئات من الذين إستخدموا تلك القوانين الوضعية لتعبيد الأنسان و تسخيره و كأنه جزء من وسائل الأنتاج الميكانيكية!

فآلعدالة في النظام الرأسمالي ليستْ لها ضمانات ليستقل في كيانها و حيثياتها, و السبب لا يعود فقط إلى سوء الأستفادة حتّى من تلك القوانين ألللإنسانية عند التطبيق .. بل يعود إلى أصل و ماهية القوانين المشرعة نفسها كنظام "مقدس" على الجميع أطاعته و آلويل للذي يحاول الخروج عنه, حيث يعتبر شاذاً و يلاحق من قبل أجهزة الشرطة و الأمن و الرقابة وما أكثرهم حيث لا يفقهون شيئاً من الحياة سوى بعض التمارين و الأداء ضمن أداء عملهم لحفظ و أجراء و ضمان مصالح الطبقة الرأس مالية ألحاكمة.

حدود إستقلال ألعدالة في آلنّظام:

يرتبط مفهوم ألعدالة مع آلقانون و آلقضاء بأكثر من رابطة, فآلعلاقة بينهما متلازمة, و كل جهة يعضد الآخر و يتكامل معه في المعاني و آلدّلالات و الوظائف و آلأبعاد, و تعتبر ألمقياس ألأول و آلأقوى في معرفة صلاح دولة أو فسادها, فآلعدالة تعود إلى ألمنظومة ألفلسفيّة و آلقيميّة للمجتمعات, و آلقانون و آلقضاء يرمزان إلى التنظيم و آلضبط و آلحكم على التصرفات و آلأفعال ألفردية و الجماعية ألتي من شأنها إحترام العدالة و ضمان تحققها في الواقع و آلمجتمع و مؤسسات ألدّولة لذلك, لهذا فآلصّلة تلازميّة و مصيرية و طرديّة بين المفاهيم الثلاثة(ألعدالة, القانون, القضاء)!
ألقانون؛ وسيلة لضبط النظام في آلدّولة؛ يُساهم في توفير شروط و أجواء تحقق ألعدالة,
ألعدالة؛ أساس لصياغة القانون ؛ يُساهم في تحقيق رضا الله و الناس جميعاً بعد محو التمايز الطبقي و العرقي و الديني و الطائفي و الأثني,
ألقضاء؛ أساس و محور فرض ألنظام لتعميم العدالة بتطبيق القانون لتحقيق الأمن و السلام و الرّفاة و آلحريّة و الخير و الصّلاح في آلمجتمع.
أيّ يتولّد لدى آلشّعب و آلأمّة شعوراً بآلأطمئنان على حقوقهم و حريّاتهم, عبر وجود الثقة في حياتهم السياسية و آلمدنية1
بيد أنّ ألتّلازم بين القانون و آلقضاء و آلعدالة, لا يمنع من آلأقرار منهجيّاً بوجود فصلٍ إجرائي بين المفاهيم الثلاثة يُخوّل ألقضاء منزلة ألتّوسط بين القانون و آلعدالة و يُكسِبهُ بآلضّرورة دوراً مفصليّاً في إدراك العدالة من عدمها!
يمكننا إعتبار القضاة ألوسط بين آلقضاء و العدالة من خلال تنفيذ ألوظائف و آلأهداف ألتي تروم تحقيقها في النّظم السياسية المعاصرة, حيث تبين من خلال البحث أعلاه بأن القضاء في النظام الرأسمالي يسعى لتحقيق مصالح الطبقة الغنية قبل كل شيئ, إن فرض سلطات القانون و سريان أحكامه على الجميع؛ ماهي إلّا وسائل و آليات لتنفيذ سياسات أكبر,و كذلك مسألة نزاهة القاضي هي قصة أخرى مضحكة, حيث نادر ما يتم تقديم ثري من أصحاب الهويات الخاصة(ألآي في بي) أي الشخصية المهمة جداً في إشارة إلى إمتلاكه للمليارات!؟ نعم قد يُقدم للمحكمة لكن البراءة من نصيبه على الدوام بسبب أمواله التي يشتري من خلالها ذمة القضاة و المحاميين و المدافعين العاميين!
هذا على الرّغم من أن حركة التشريع الدولي قد عممتْ إجبارية الأخذ بمبدأ فصل السلطات الثلاثة و نزاهة القاضي, حيث صدر عن المؤتمر العالمي لأستقلال العدالة ألذي عقد في مونتريال/كندا سنة 1983م ألأعلان العالمي لأستقلال العدالة(8) تضمن عناصر إستقلال القضاة و البت بحرية و حيادية في

المسائل المعروضة عليه حسب تقييمه للوقائع و فهمه للقانون دون أية قيود أو ضغوط أو تهديد أو تدخلات مباشرة, فآلأمر لا يتوقف و لا يبدأ من قضية فصل السلطات الثلاثة(ألقضائية و التنفيذية و التشريعية)بل آلمحنة و المشكلة الاساسية تتركز في إدراك مقصد العدالة و كذلك جعلها قيمة مجتمعية مشتركة هذا بجانب مسألة إستقلال القضاء و نزاهة القاضي و عدم وجود ضغوط من آلكيانات المجتمعية أو السياسية!

ضمانات إستقلال ألسّلطات ألقضائيّة:

يستمد أستقلال القضاء أهميته من أهمية وجود القضاء نفسه, فأذا كان القضاء سلطة دستوريّة لازمة لكيان الدّولة و إستقرارها و إستمرارها, لكن هذا لا يكفي, و إنّ إستقلاله واجب لتطبيق القانون و فرض إحترامه و حماية ألحقوق و الحّريات, و آلتمكين من تحقيق ألعدالة و سريان مفعولها, بيد أن إدراك مقصد الأستقلال و تعزيزه على صعيد الممارسة؛ يحتاجان إلى جملة من الضمانات ألدستورية و السياسية و الثقافية.

فآلضمانة الدستورية؛ تعني وجود ألدستور, بإعتباره الوثيقة الأسمى, و هنا مشكلة كبرى واجهت القوانين الوضعية(9) و هي مشاركة أهواء الحاكمين و اللوبيات الأقتصادية و السياسية في مسير تطبيق الأحكام و القوانين مما أفقدتها لماهية العدالة المنشودة التي تحقق السّعادة للمجتمع الأنساني, و السّبب كما أشرنا هو أن آلأنسان في بعديه المادي و الرّوحي بحاجة إلى مشرّع عليم بكلتيهما, و الحال أنّ كلا الجانبين مرتبطان ببعض, و يؤثران ببعضهما سلباً و إيجاباً, لهذا لا يُمكن أن تجد مخلوقاً من البشر يمكنه وضع قانون يحقق التوازن و السّعادة للأنسان و هو لا يعلم كاملاً حقائق البعدين في الأنسان!؟

إذن لا آلضمّانات ألدّستورية و لا آلضمّانات ألسّياسية و لا آلضمّانات ألثقافية(10)ألوضعيّة بإمكانها تحقيق و صياغة و تطبيق قوانين شاملة تحقّق ألعدالة و من ثم سعادة ألمجتمع بإستثناء قوانين ألسّماء ألّتي شرّعها آلخالق تعالى ألذي خلق آلأنسان و جميع ألمخلوقات و هو أدرى بما خلق و بما يصلح أمرها و يحقّق سعادتها و حقوقها الكاملة, و يكفيك أن تعرف بأن دولة صغيرة نسبياً كإيران إستطاعت الصمود و المقاومة و التقدم تكنولوجياً أيضاً رغم تكالب كل قوى الغرب عليها, و لم يكن كل ذلك إلّا بسبب ألدستور الأسلامي العادل ألذي أوصل المجتمع إلى ما وصل إليه,فآلضرائب مقسمة بين الخمس و الضريبة الحكومية, و هي ليستْ واجبه بل آلأنسان مخيّر فيها تقريباً, و تلك الثقة المتبادلة بين الأمة و الحكومة هي التي أعطت للدّولة زخماً و قوّة ومكانة في قلوب الشعب الذي ضمن مسيرة الدّولة و قدسيتها حتّى بارك الله فيها و جعلها تناهض أكبر قوى الأرض عدّة و عدداً, أمّا في الغرب فتكاد تنعدم تلك الثقة بين المواطنين و النظام, و لهذا فأنّ آلأحصائيات تُدلل على وجود ربع مليون مستثمر يحاول التلاعب على البنوك, كما أنّ الناس – معظم الناس – لا يتوانون من سرقة المتاجر و البنوك في حال إنعدام الرقابة ألقانوية و وجود الشرطة.

---

(1)رغم أن فلاسفة ألغرب و منهم ألكسيس كارل إعترف رغم بحوثه ألعميقة و آلكثيرة بأنّ الأنسان ما هو إلّا ذلك آلمجهول و سيبقى مجهولاً؟ إلّا أنّ ألغربيّين وضعوا له قوانين و أحكام بدون ملاحظة طبيعتهُ وخصائصه الروحية والنفسية وآلحقائق الكثيرة ألمجهولة؛ بحسب إجتهاداتهم و بآلشكل ألذي يصبّ في خدمة طبقة ألأغنياء و من يحيط بهم بآلدّرجة الأولى!

و لك أن تتصوّر مدى آلأجحاف و آلظلم ألذي لحق بآلبشرية بسبب ذلك!؟

كيف يمكن لأنسانٍ من نفس النّوع أن يضع قوانين تحدّد حياته و مصيره و مستقبله و حريته و حقوقه بعدالة و أنصاف!؟

لا يمكن أن يكون ألمتّهم و آلقاضي واحداً!

و مع هذا كلّه نرى أولئك المغرضون ألأنتهازيون قد شرّعوا القوانين المختلفة بلا خوف من عقاب آخروي لعدم إيمانهم بوجود آلآخرة, تلك القوانين آلتي تصبّ بقصد واضح لمنافع الطبقة الرأسمالية الجشعة المسيطرة على العالم أليوم بغير حقّ, مع أن الله تعالى قد أشار لعظمة و كرامة آلأنسان و صعوبة معرفته أو كشف آفاق نفسه و مكامنها المعقدة جدّاً, و جاءت الأشارات الألهية في جميع الكتب ألسّماوية و على رأسها ألكتاب الكامل الخاتم ألقرآن الكريم و لعلّ أدقّ تعريفٍ لهُ هو ما جاء في قوله تعالى: [أ تحسبُ أنّك جرمٌ صغير و فيك إنطوى آلعالم آلأكبر], و آللّطيف أنّه تعالى ذكر له عشرات الصفات التي تناقض بعضها بعضاً إجتمعتْ في وجود هذا المخلوق(الأنسان) العجيب –للتفاصيل راجع ألأساس الثاني في نظرية المعرفة للتعرف على تلك الصّفات أكثر!؟

بل إنّ النّظام ألغربي حدّد لكل إنسان قيمته معادل الدولار !
(2) آبرهام ماسلو فيلسوف أمريكي روسي الأصل, إبدع في مجال حقوق الأنسان عبر مثلّثه المشهور في بيان حقوق الأنسان, وإليكم تفاصيل نظريّته:

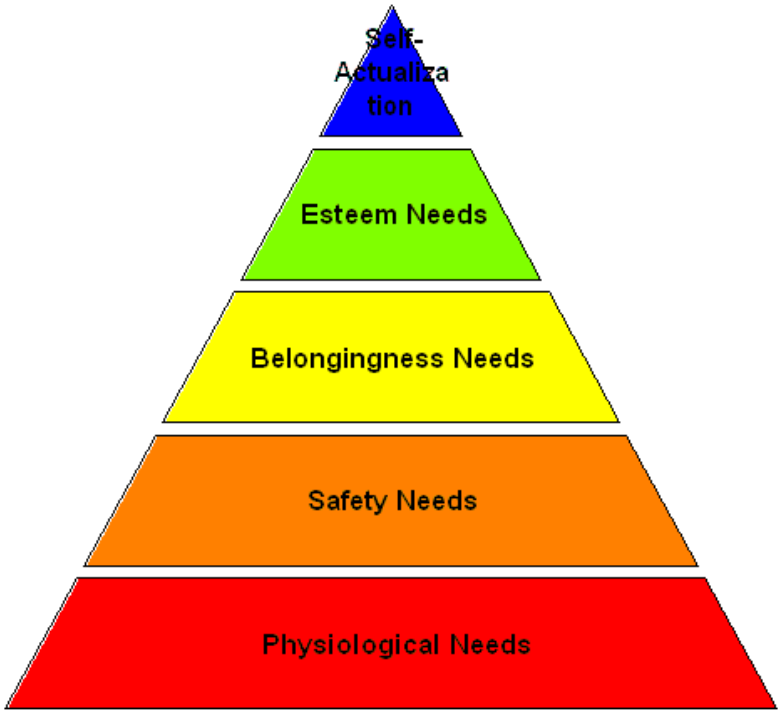

Maslow: A Classification of Motive Needs

“Classic economic theory, based as it is on an inadequate theory of human motivation, could be revolutionized by accepting the reality of higher human needs, including the impulse to self-actualization and the love for the highest values”
Abraham Maslow
The classification of fundamental human needs most often cited today is probably the one developed by psychologist Abraham H. Maslow.
Maslow presents the following categories of needs and wants which impel human beings to think, act, and respond as they do:
Physiological Needs: for food, drink, air, sleep, sex-the basic bodily “tissue” requirements.
Safety Needs: for security, stability, protection from harm or injury; need for structure, orderliness, law, predictability; freedom from fear and chaos.
Belongingness and Love Needs: for abiding devotion and warm affection with spouse, children, parents, and close friends; need to feel a part of social groups; need for acceptance and approval.

Esteem Needs: for self-esteem based on achievement, mastery, competence, confidence, freedom, independence; desire for esteem of others (reputation, prestige, recognition, status).
Self-Actualization Needs: for self-fulfillment, actually to become what you potentially can be; desire to actualize your capabilities; being true to your essential nature; what you can be you must be.
You can read Maslow's seminal paper here:
http://psychclassics.yorku.ca/Maslow/motivation.htm
According to Maslow, the hierarchy is prepotent: lower-level needs must be largely fulfilled before higher-level needs become operative.
Finally, it should be noted that motives do not always automatically produce certain courses of action. Physiologically, an individual may sense a sharp feeling of pain from not having eaten for two days; yet, because of social-cultural needs or pressures, this person will not gobble down a chocolate cake when presented with one, but will sit politely with fork and napkin. The need for social approval may control the way a person satisfies physiological needs. Nevertheless, the hierarchy of prepotency is useful in conceptualizing human motivation, even if individuals vary in ways they manifest those needs.
Many scholars point out that Maslow's hierarchy lacks empirical verification. These needs may not always operate in a hierarchy, as Maslow says. For example, esteem needs may still motivate even when lower order needs remain unmet. However, it continues to be a popular model for understanding human motivation.
Maslow adapted his ideas to Management in "Eupsychian Management"

"Eupsychian" literally means "good souled"
Assumptions, Eupsychian Management (p. 17, et. seq.)
Assume everyone is to be trusted.
Assume everyone is to be informed as completely as possible of as many facts and truths as possible, i.e., everything relevant to the situation.
Assume in all your people the impulse to achieve...
Assume that there is no dominance-subordination hierarchy in the jungle sense or authoritarian sense (or "baboon" sense).
Assume that everyone will have the same ultimate managerial objectives and will identify with them no matter where they are in the organization or in the hierarchy.
Eupsychian economics must assume good will among all the members of the organization rather than rivalry or jealousy.
Synergy is also assumed.
Assume that the individuals involved are healthy enough.
Assume that the organization is healthy enough, whatever this means.
Assume the "ability to admire"...

We must assume that the people in eupsychian plants are not fixated at the safety-need level.
Assume an active trend to self-actualization—freedom to effectuate one's own ideas, to select one's own friends and one's own kind of people, to "grow," to try things out, to make experiments and mistakes, etc.
Assume that everyone can enjoy good teamwork, friendship, good group spirit, good group homonomy, good belongingness, and group love.
Assume hostility to be primarily reactive rather than character-based.
Assume that people can take it, that they are tough, stronger than most people give them credit for.
Eupsychian management assumes that people are improvable.
Assume that everyone prefers to feel important, needed, useful, successful, proud, respected, rather than unimportant, interchangeable anonymous, wasted, unused, expendable, disrespected.
That everyone prefers or perhaps even needs to love his boss (rather than to hate him), and that everyone prefers to respect his boss (rather than to disrespect him)...
Assume that everyone dislikes fearing anyone (more than he likes fearing anyone), but that he prefers fearing the boss to despising the boss.
Eupsychian management assumes everyone prefers to be a prime mover rather than a passive helper, a tool, a cork tossed about on the waves.
Assume a tendency to improve things, to straighten the crooked picture on the wall, to clean up the dirty mess, to put things right, make things better, to do things better.
Assume that growth occurs through delight and through boredom.
Assume preference for being a whole person and not a part, not a thing or an implement, or tool, or "hand."
Assume the preference for working rather than being idle.
All human beings, not only eupsychian ones, prefer meaningful work to meaningless work.
Assume the preference for personhood, uniqueness as a person, identity (in contrast to being anonymous or interchangeable).
We must make the assumption that the person is courageous enough for eupsychian processes.
We must make the specific assumptions of nonpsychopathy (a person must have a conscience, must be able to feel shame, embarrassment, sadness, etc.)
We must assume the wisdom and the efficacy of self-choice.
We must assume that everyone likes to be justly and fairly appreciated, preferably in public.
We must assume the defense and growth dialectic for all these positive trends that we have already listed above.

Assume that everyone but especially the more developed persons prefer responsibility to dependency and passivity most of the time.
The general assumption is that people will get more pleasure out of loving than they will out of hating (although the pleasures of hating are real and should not be overlooked).
Assume that fairly well-developed people would rather create than destroy.
Assume that fairly well-developed people would rather be interested than be bored.
We must ultimately assume at the highest theoretical levels of eupsychian theory, a preference or a tendency to identify with more and more of the world, moving toward the ultimate of mysticism, a fusion with the world, or peak experience, cosmic consciousness, etc.
Finally we shall have to work out the assumption of the metamotives and the metapathologies, of the yearning for the "B-values,"i.e., truth, beauty, justice, perfection, and so on.

Resources Maslow on Management:
http://www.amazon.com/exec/obidos/ASIN/0471247804/qid=1011898580/sr=8-1/ref=sr_8_3_1/103-8110509-6707052
http://www.maslow.org/
http://web.utk.edu/~gwynne/maslow.HTM
http://www.connect.net/georgen/maslow.htm
http://web.archive.org/web/20040208153551/www.ping.be/jvwit/Maslovmotivation.html.أ
http://www.shkaminski.com/Classes/Handouts/Maslow.htm

:ألمصدر
(3) من المعلوم أنّ الفتاوى و آلأحكام ألتي صدرت من قبل المشرعين في مدرسة الخلفاء بآلأضافة إلى الرسائل ألعملية في مدرسة الأمامة؛ لم تُبيّن ألحقوق بتلك الشفافية التي بينها "ماسلو",فما جاء من المدرستين بشأن الحقوق الطبيعية .. لا تتعدى الطرح العام فيما يخصّ الجانب ألأخلاقي و التربوي و العلاقات الأجتماعية, و يمكننا إعتبار رسالة الأمام زين العابدين(ع) ألموسومة بـ (رسالة الحقوق) ألوثيقة ألأهم في النصوص التي وصلتنا من المدرستين, و بملاحظة الفاصل الزمني فأنها تعتبر هامّة في ترشيد التربية و العلاقات الأنسانية و السلوك في العائلة و المجتمع!؟ لكن آلمفارقة التي نراها هي عدم وجود ربط بين الحقوق المدنية الطبيعية و آلحقوق الأجتماعية التي تمّ بيانها من قبل الأمام ألسّجاد, بيد أن القرآن أشار إجمالاً لذلك .. لكن لم يُحاول أي من العلماء و المدعين للمرجعية إستنباطها كقوانين و فتاوى على غرار ما فعل فلاسفة الغرب!
إن النصوص العامة التي وصلتنا من آلقرآن و العترة بحاجة إلى توضيح و تفسير من قبل آلمجتهدين خصوصاً فيما يتعلق بآلآليات ألعملية ألتي تحدد ألحياة الأقتصادية و السياسية و حتى الأجتماعية من خلال النظام الأجتماعي, لهذا يعتبر (رسالة الحقوق) دستوراً كلياً و في مجال محدّد و ليس كل المجالات و نظرية "ماسلو" ألمكمل ألمطلوب لرسالة الحقوق.
يعتبر (رسالة الأمام السجاد عليه السلام) بجانب رسالة الأمام عليّ(ع) لمالك الأشتر بمثابة وصايا كلية جامعة حرّي بكل مسؤول ألوقوف عندها, و تمثل رسالة الأمام علي(ع)وزناً هاماً في ما يتعلق بآلنظام الأسلامي و صفات الحاكم و المسؤول في الأمة, أمّا آلنّظريات ألأنسانية الأخرى خارج هذا النطاق إنما إعتمدناها لكونها تحقيقات علميّة من قبل الفلاسفة و الأكاديميين ألذين جهدوا من أجل ذلك حبّاً للحقيقة و الأنسان, و آلغريب أن علماء المسلمين لم يبدعوا في ذلك بل ما زال ألكثير منهم يرفض حتّى آلأطلاع على مثل ذلك, بل و يرفض آلنظام .. و لك أن تتصوّر مدى تخلف و جهالة بعض المدّعين للعلم و للمرجعية ألعليا ألذين كثيراً ما مهدوا السبيل للظالمين للسيطرة على مقدرات البلدان الأسلامية و غيرها بسبب تنصّلهم عن أصل الواجب الذي تصدّوا له عند تمثيلهم للنيابة العامة التي أوجبت عليهم تفعيل و ترشيد الحوادث الواقعة بإعتبارهم نواباً للأمام صاحب الزّمان(عج).
(4) لمعرفة المزيد من التفاصيل,راجع: بحثنا ألموسوم بـ (ألأسوء ألذي سيواجه العراق بعد الأرهاب) منشور في شبكة الأنترنيت(كوكل), و كذلك مؤلفنا ألموسوم بـ : [مستقبلنا بين الدين و الديمقراطية].
(5) لقد حدّدت ألمنظمات المختصة في هيئة الأمم المتحدة ثمانية معايير للتفاضل في الحياة بين شعوب دول العالم, و آلمعايير هي: ألأقتصاد؛ فرص ألعمل و التوظيف؛ ألتّعليم؛ ألنّظام ألحكومي؛ ألصّحة؛ ألأمن؛ ألحرية الشخصية؛ ألخدمات ألأجتماعيّة, و آلجدير

بآلذكر أنّ إحصائية عام2012م بيّنتْ آلدّول ألمُتقدمة في تلك المعايير على الشكل التالي:
سويسرا – نيوزلندا – ألدّانمارك – ألسّويد – فنلندا – كندا – بريطانيا – إستراليا –لوكسمبورغ – أمريكا.
(6) آدم سميث(1723- 1790م), فيلسوف و باحث إقتصادي إسكتلندي, إشتهر بكونه من منظري العلم الأقتصادي المعاصر و يبقى كتابه الشهير ثروة الأمم واحداً من أسس الليبرالية الاقتصادية ألمعاصرة, كن سميث أستاذاً للفلسفة الأخلاقية بجامعة كلاسكو بإستكتلندا و كرّس 10 سنوات للتحضير لكتابه "ثروة الأمم" ليكون بعده مصدراً لكبار الأقتصاديين ألذين عرفوا فيما بعد بآلكلاسيكيّن, حيث وضعوا أهم مبادئ الليبرالية الأقتصادية و يعتبر كتابه ذاك من أهمّ ألمؤلفات في الأقتصاد الحديث لأنّه عارض بشدّة تدخل الدّولة في النشاط الأقتصادي و كأنّ أعضاء الحكومة موظفين ضمن آلدائرة الأقتصادية الأنتاجية التي يديرها أصحاب المال و الأقتصاد ألذين يحددون جميع السياسيات العامة في البلاد, و الجدير بآلذكر أن سميث لم يعتني بآلدين و مبادئ السماء و لهذا كانت نظريته إجحافاً بحق الأكثرية المستضعفة, و السبب في عدم إعتماده على آلله هو أنّه كان يرى بأنّ عجائب ألطبيعة تزيد من فضول و أسئلة الأنسان ألّذي يجد في آلمعتقدات ألخرافيّة أجوبةً سريعة و آنية لأسئلته, لكن و على المدى الطويل فأنّ آلأنسان ما يفتأ يبحث عن أجوبة ملموسة و مقنعة لعجائب الوجود و بآلتالي لا يُمكن أن يصل لمراده و اجوبته بسبب قصر فترة العمر بجانب آلبحث و اليقين في قضية الخلق و الوجود و الله.
(7) تكاد تكون برامج و متبنيّات الأحزاب الغربية واحدة و إن إختلفت مسمّياتها و عناوينها, و هناك قاسم مشترك و وتر حساس تلعب تلك الأحزاب عليه حين تشتد المنافسه بين حزبين أو أكثر, و خلاصته إن المرشحيين الليبراليين يسعون إلى إظهار ميل أوضح و أكبر لأصحاب المنظمة الأقتصادية في الدولة المعنية, و يمكن تحديد آلأمر من خلال معادات كل ما يرتبط بآلدّين ألحقيقي ألمُتمثل بآلنظام الأسلامي في إيران .. و بآلمقابل أيضاً إظهار التودّد مع دولة إسرائيل.
بآلطبع أن السياسيون الكبار و مموّليهم يعرفون قبل المتديّنين بأنّ الدين – خصوصاً الأسلام – لو طُبّق فأنّه سيسحب البساط من تحت أقدامهم بعد ما ينشر الوعي بين الناس بكون الأسالم نظام عادل و شامل للحياة, لهذا يشيعون بفصل الدين عن السياسة من أجل هضم حقوق الناس و أستحمارهم دون رقيب أو حسيب!
(8) تعريف العدالة أساساً هو نقطة الخلاف و ليس مواصفات و واجبات القاضي فقط, فآلغربيون في الوقت الذي يرون بأن القانون و القضاء يُجيزان ألملكية الفردية بلا حدود خصوصاً فيما يتعلق بآلاستثمار ؛ نراهم في الحقيقة يُجيزون نهب حقوق عموم الناس بشكل قانوني, أن مليارات من البشر اليوم يعيشون حياة إقتصادية صعبة مع أكثر من خمسين مليون إنسان يعيشون تحت خط الفقر,بسبب تلك القوانين المجحفة بحق الأنسانية, إن الكثير من مستضعفي شعوب العالم لا يتسنّ لهم ألحصول على كامل حقوقهم بسبب القضاء و ا لمؤسسات الحاكمة لأمتلاكهم للمال و الحال و القوة العسكرية و الأمنية, من هنا يتعرض أصل العدالة إلى التشويه و التخريب, و ما نراه في الغرب من مظاهر الأعمار و التكنولوجيا فأنها أولاً لم تُبنى إلّا على أكتاف الناس ألمستضعفين و الفقراء الذي يأتون بهم من الهند و الباكستان و الصين و دول أمريكا الجنوبية, كما أن ريعها و أجورها و إستثمارها تصبّ في جيوب أصحاب المال و الشركات و البنوك, حيث دللت الأحصاآت على وجود نسبة 95% من الشعب مدينين إلى البنوك و الشركات المالية ففي كندا تصل النسبة إلى 93% و هي من أفضل الدول الغربية.
(9) بإستثناء قانون الجمهورية الأسلامية الأيرانية التي تستمد أكثر من 90% من بنودها من الأحكام و القوانين الأسلامية.
(10) ألثقافة بحسب تعريف الغربيين يقصد منها خزّان قيم الناس و تقاليدهم , و حتى هذا فأننا نرى تجاوز الغربيين عليه, و كما تبين ذلك من خلال منع الحجاب الأسلامي في بعض الدول الغربية و على رأسها فرنسا, بينما آلكثير من المسيحيات و المسلمات كن يرتدين الحجاب كسنة و شريعة منذ زمن مريم و فاطمة عليهما السلام, والحال أن البديل هو ما إجتهده الغربيون رغماً على الثقافة و ما يعتقد به الناس.

أساسات نظريّة ألمعرفة ألكونيّة – ألأساسُ آلتاسع

أساسات نظريّة ألمعرفة – ألأساسُ ألتّاسع

ألمواردُ ألطّبيعيّة

تعتبر ألموارد ألطبيعيّة ألمادّة ألأساسيّة لإدامة الحياة وتقويم مسيرة ألأنسان و آلمُجتمع؛ لو فُعّلتْ طبقاً لمبادئ و أساسات نظريّة ألمعرفة لتحقيق ألرّفاه و ألسّعادة ألأنسانيّة, و قد عرّف آلبعض ألسّياسة؛ بكونها فنّ إدارة الأقتصاد و الموارد الطبيعية, ممّا يُبيّن مدى آلأرتباط ألمُتداخل و الأهميّة الكبيرة للعامل ألأقتصادي في تحديد و توجيه ألسياسة و بآلتالي مصير و سعادة ألبشريّة و رفاهيّتها, و آلموارد ألطّبيعية هي عماد ألأقتصاد,بشرط آلأدارة آلستراتيجيّة و تحديد الأهداف ألرئيسيّة ألتي يتمّ من خلالها تدبير ألموارد ألطبيعيّة بما يتناسب مع حقوق الأنسان الطبيعية التي وضّحناها في الأساس السّابق!
أنّ نجاحنا في إستخراج و إنتاج و تصنيع ألموارد ألطبيعيّة على أفضل وجه يعتمدُ على مدى إخلاصنا و هضمنا لنظريّة ألمعرفة هذه و آلتي ضمّنتْ فلسفة إنسانية قرآنية واضحة, و لعلّ هذا آلأمر كان هو آلأصعب ألذي واجه آلأسلاميون ألّذين تسنّموا مراكز ألقيادة في بعض ألدّول العربية مؤخّراً بفعل ألعوامل و التأثيرات ألعالميّة, لعدم تبنّيهم لنظريّة معرفيّة واضحة كأساس لإستخراج و أستثمار و تصنيع و توزيع ألموارد ألطبيعيّة بجانب ألأدارة الأستراتيجيّة ألتي سنتحدث عنها بآلتّفصيل لاحقاً.

لقد قسّم آلباري تعالى آلأرزاق و آلخيرات في آلأرض بشكلٍ عادلٍ و مُتوازن و في جميع ألمناطق و آلقارّات, بل زاد في نعمائه بحيث أنّ خيرات الأرض بحسب تقارير اليونسكو تعادل سبعة أضعاف نفوس البشر اليوم, يعني تكفي 50 ملياراً تقريباً, و العجيب أن نفوس البشر اليوم لا يزيد عن 7 مليار نسمة و يموت يومياً عشرات الآلاف من الجوع و الملايين تعيش دون خط الفقر بآلأضافة إلى النقص الحاد في نسبة الفيتامينات في أكثر من مليار إنسان!

آلمشكلة تكمن في سوء إستثمار و توزيع وإدارة تلك ألموارد ألطّبيعيّة, بسبب تسلّط ألمنظمة ألاقتصاديّة ألعالميّة ألّتي تَتَحكّم من فوق بآلسّياسات ألأقتصادية ألرئيسية عن طريق ألحكومات آللّيبرالية ألدّيمقراطية ألّتي تُوجّه ألنّاس عبر آلقوانين الوضعيّة بحماية من آلأجهزة البوليسية القمعية و بغطاء ديمقراطي حديدي, و لذلك سبّبوا آلمآسي و آلمحن و آلحروب في آلأرض, حيث يعيش أليوم أكثر من 50 مليون إنسان تحت خطّ الفقر بآلأضافة إلى أكثر من 600 مليون يعيشون في خط الفقر بجانب خمسة مليار إنسان لا يحصلون على آلفيتامينات ألّلازمة من آلغذاء و آلسّعرات الحراريّة ألكافية للجسد, و لم يكن يحصل كلّ ذلك لولا جهل ألنّاس و قلّة معرفتهم بحقوقهم ألطبيعيّة و آلأنسانية في آلحياة!

إنّ ألحروب و آلنزاعات ألتي تَخلقها ألقوى آلكبرى و تُغذّيها ألجذور ألمذهبية و الطائفية و العرقية؛ يذهب بسببها ملايين ألضّحايا في كلّ مرّة لـيُضمن أصحاب آلشركات و آلبنوك ألكبرى في آلغرب نصف آلدّخل ألقومي لأقتصاد بلدانهم عبر بيع ألأسلحة و آلمعدّات و إعادة ألأعمار بعد خراب ألبلاد, لتبقى شعوبنا تُراوح مكانها خاضعة مقهورة دامية!
إنّ تسلّط ألمنظمة ألأقتصاديّة ألعالميّة على معظم - إنْ لمْ نقل جميع – ألموارد ألطبيعيّة في آلأرض خصوصاً ألبترول, عن طريق حكومات وضعيّة لا يهمها سوى مصالحها و كراسيها على حساب حقوق ألمواطن ألشّرقي؛ صارت كارثة كبرى .. بل حتّى على حقوق آلمواطن ألغربيّ(1) ألبرئ من أفعال أصحاب المال و الشركات, هذا على الرّغم من أنّ آلأمم ألمتحدة قدّمتْ تقريراً شاملاً في بداية ألألفيّة ألثّالثة عبر وثائق هامّة

صادرة من مؤتمر (ألفاو) في هولندا(2) موضّحة فيها كلّ ألخطوط ألعريضة للبيئة و آلموارد ألطبيعيّة ألعالميّة عبر رؤية أساسيّة عادلة نسبيّاً لبدء ألألفية ألثالثة طبق معايير إنسانيّة جديدة تختلف عن ألسّابق مع بيان هامٍ جدّاً بتوقيع كوفي عنان نفسه بجعل حكومة ألأمام عليّ (ع) نموذجاً لحكومات ألعالم للأقتداء بها حفاظاً على ألبيئة ألتي يعيش فيها آلأنسان لأدامة حياةٍ طيّبةٍ خاليةٍ من آلأمراض و آلمشاكل و آلحروب و آلظّلم.
و لو كان يتمّ ألتّوجه لتلك آلدّراسات و آلتوصيات على آلأقل عمليّاً و بشيئ من آلأخلاص من قبل ألمعنيّين و آلحكومات لكان آلأمر مختلفاً في آلعالم عمّا هو عليه آلآن كثيراً على كلّ صعيد.
ألحكومات بقيادة أمريكا؛ ليس فقط لم تُفعّل تلك ألقرارات ألهامّة لأسباب سبق ذكرها .. بلْ فَعَلَتْ آلعكس من ذلك حين توحّدتْ لمحاربة الدولة الوحيدة التي إقتدتْ بحكومة الأمام علي(ع), مُتّجهةً نحو تحقيق منافع ألمنظمة ألأقتصاديّة العالميّة ألمجرمة للأسف و منها ألحروب ألعسكرية و الأقتصادية و السياسية و أخيراً حركة ألعولمة و نشر و تطبيق الديمقراطية ألليبرالية على المنهج ألغربيّ ألّذي يُجيز جميع ألحرّيات ألشّخصية إلّا ما يتعلق بآلأقتصاد و آلثروات و آلمال و آلبنوك من حيث قوانينها و مجالاتها بيد آلكبار من أصحاب البنوك و الشركات!

و لذلك كانت نتيجة طبيعة تلك آلمآسي و آلحروب ألعديدة ألّتي بدأت مع ألألفيّة ألثالثة صحبتها مؤآمرات دوليّة و عالميّة أبرزها تعلّقت بمؤآمرة ألجهاد ألجديد ألمزعوم بقيادة تنظيم ألقاعدة ضد أمريكا, أبطالها كانتْ شخصيّات مريضة و منحرفة إرتبطت بشكل مباشر و غير مباشر بآلمخابرات الدولية والغربية ألّتي أبرزتْ و عظّمتْ فجأةً شخصيات كأسامة بن لادن و ملا عمر من حيث لا يعلمون أو يعلمون بحجم المؤآمرة بجانب ألحُكّأم ألعرب ألأغبياء ألذين دعموا تلك آلقوى ألمتطرفة و تنظيم القاعدة بآلذات و بدافع طائفي كقوى تحرّرية بتوجيه خفيّ من قبل ألمخابرات ألأستكبارية .. لكنها في آلحقيقة لم تكن سوى قوى مضادّة في توجّهاتها ألعقائديّة للفكر الأسلامي ألثّوري ألأصيل ألذي تبنّتهُ آلثّورة الأسلاميّة ألتي هزّت العالم بأكمله عام 1979م و لأول مرّة كإمتداد لدولة العدالة الأنسانية بقيادة الأمام علي(ع).
لقد تركّزت كلّ تلك المؤآمرات و الحروب و القتل و الذبح لتحقيق توازن للقوى في آلواقع ألأسلاميّ ألجّديد لتكون نتيجة تلك آلمعادلة بحسب ألتقديرات ألأمريكية صفراً كي تتمكّن آلقوى آلأستكباريّة بآلتدخل السافر لأحتلال دولنا و ألسّيطرة على آلأوضاع و توجيه السياسيين من قرب و إعادة صياغة آلأنظمة ألحاكمة لإستمرار نهب آلثروات ألطبيعية و حقوق ألمستضعفين من آلنفط و آلمعادن و آلخيرات بعد تقويض و دحرآلجّمهورية ألأسلاميّة ألتي تمّتْ محاصرتها عسكرياً و إقتصادياً و سياسيّاً عبر صياغة جديدة لحكومة أفغانستان شرقاً ثم العراق غرباً و دول ألخليج جنوباً بجانب ألضغوط ألمتزايدة على كلّ صعيد, و لم يبق أمامهم في آلمنطقة سوى سوريا و حزب الله ألمقاومين حتّى يومنا هذا!؟
أنعكاسات ألنموذج ألأقتصادي ألغربيّ على آلعالم:

يشير ألتّدهور ألبيئي، ألذي حدث معظمه خلال ألقرن ألماضي؛ "إلى أنّ ألنّموذج ألأقتصاديّ ألمُهيمن (أللّيبرالية ألرأسماليّة) هو (اقتصاد استخلاصيّ) يستنفذ ألموارد غير ألمتجدّدة، و يستغل ألموارد ألمتجددة بدرجة أكبر من قدرتها على آلبقاء، و يتسبب في تغيير كيميائيّة ألأرض و تشويه النظم ألبيئيّة عليها متسببًا في حدوث أضرارٍ لا يمكن إصلاحها لكلّ من آلأرض و الماء و الهواء" (انظر: Coates 2003:44-66)(3).

و يُمكن القول "إنّ ألإستغلال المفرط و التدمير ألمصاحب للتنمية هما نتاجٌ للمجتمع ألصّناعي ألحديث، و بخاصّة منظومة قيمهِ و معتقداتهِ و بناءه ألسّياسيّ, فبرغم أن لهذا النسق ألأعتقادي (ألحداثة) إنجازات عديدة إلاّ أنّ لهُ جانبه آلمُظلم أيضًا متمثلاً في آلظّلم ألأجتماعيّ و إفساد البيئة والعلاقات الأجتماعية، إلا أن معظم

الناس منغمسون جدًا في نموذج الحداثة هذا إلى درجة أنهم غير قادرين على إدراك أنّ "البناءات و العمليات ألتي تقوم عليها ألحياة اليوميّة هي السّبب في الدّمار ألبيئي و الظلم ألأجتماعيّ" (Coates 2003:27)(4).

في هذا آلأساس سنُبيّن أنواع و مناطق تواجد ألموارد الطبيعيّة و أساليب تدبيرها و تنميتها و تحسينها و توزيعها بشكلٍ عادلٍ و متوازنٍ على الشّعوب و آلمجتمعات بإذن الله, طبقاً لأسس نظريّة ألمعرفة.
لذلك يُعتبر من باب تحصيل حاصل؛ جميع ألعقود و آلأتفاقيات ألدّولية ألقائمة غير منصفة و عادلة حتّى و إنْ إحْتَمتْ بآلقوانيين ألوضعيّة ألّتي تمّتْ صياغتها أساساً عن طريق ألشّركات و المنظمات و البنوك العالميّة(5) بغطاء "ألدّيمقراطية"؛ كآلعقود مع بنوك و مؤسسات ألنفط العالمية كشركة "شل" و "إيسو" أو عن طريق منظمة "أوبك" أو "أوابك" و غيرها من آلأسواق و الماركات و المؤسسات ألعالميّة ألتّابعة للمنظمة الأقتصاديّة العالميّة ألتي تُدار من مراكز القرار في أمريكا و أوربا!

تعريف ألموارد ألطّبيعيّة:

هي كلّ ألخيرات ألتي تؤمّنها الطبيعة من مخزونات ضرورية لإدامة الحياة الأنسانية و لبناء آلحضارة الأنسانيّة بشكلٍ عادلٍ لأسعاد الناس, و آلموارد ألطبيعيّة بدأتْ مستوياتها بآلتّدني لسوء الأستفادة منها و الأستغلال ألمفرط و كذلك ألأهمال و آلتخريب!

و تتمثل بآلطاقة و في مقدمتها ألبترول ثم المعادن ألأخرى كآلحديد ألخام و الفوسفات و تشمل أيضاً جميع ألمنتوجات ألحيوانيّة ألبرية و المائية و الزّراعيّة.

أنواع ألموارد ألطّبيعيّة:

لقد صنّف ألباحثون ألبيئيون ألموارد الطبيعية التي حباها الله للبشرية إلى ثلاثة أصناف ترتبط و تتعلق جميعها بـ:
أولاً: ألموارد ألّتي تعود للغلاف ألجوّي.
ثانياً: ألموارد ألّتي تعود للغلاف أليابس.
ثالثاً: ألموارد ألّتي تعود للغلاف ألمائي.

حيث تحتوى على موارد حيوية للأنسان, من هنا فهو يُؤثّر فيها و يتأثر بها أيضاً, و قد قسم الباحثون ألموارد الطبيعية أيضاً في ثلاث مجموعات هي:
- مجموعة الموارد غير الحية؛ و تتضمن ألماء(6) و الهواء و طاقة الشّمس ألحرارية و آلضوئية و آلمعادن ألعادية و آلمعادن ألمُشعّة و مصادر الطاقة كآلفحم و النفط و آلغاز الطبيعي.
- مجموعة ألموارد ألحيّة؛ و تتضمن ألنّباتات ألطّبيعيّة من غابات و حشائش و نباتات صحراوية و آلأشجار و آلنخيل و آلحيوانات ألبرية سواءاً آكلة العشب كآلغزال و آلزّرافة و آلأرنب, أو آكلة اللحوم, مثل آلأسود و آلذئاب, كما تتضمن هذه المجموعة ألأحياء المائيّة(ألنّباتية و آلحيوانية) مثل آلطحالب و آلأسماك و الحيتان و آلأصداف و غيرها.
- ألتّربة؛ و تشمل التراب و التلال و الجبال و آلصّخور و آلأحجار, حيث يعتمدها الأنسان كمواد أساسية للبناء و الأعمار و آلزّراعة و آلصّناعة و فتح الطرق و بناء السّدود و ربط المناطق و المدن عبر الجسور و الخطوط.

و يُمكننا تقسيم ألموارد ألطبيعيّة إلى:

موارد غير مُتجدّدة؛ و تتضمن ألموارد ألموجودة في البيئة كرصيد ثابت بحث ما يؤخذ منه لا يُعوّض, و من ثمّ فهي موارد معرّضة لخطر النّضوب و آلنّفاذ, مثل؛ الفحم و النفط و الغاز و الكبريت و المعادن ألمُشعة كآليورانيوم.

موارد متجددة؛ تتضمن ألموارد ألتي تتجدد ذاتياً و تشمل مجموعة من مصادر الطاقة, و منها؛ ألمصادر النّباتية و آلحيوانية, و هي موارد لا تتعرّض للنضوب إذا ما إستغلّها الأنسان و حافظ على ديمومتها بإسلوب معتدل راشد بعيداً عن التبذير و آلأسراف.

و يختلف توزيع الموارد من منظقة لأخرى, فمثلاً يتركّز النفط في منطقة الخليج حيث تضمّ أكثر من 82% من إحتياطي ألعالم, أمّا آلأشجار و زراعة ألحنطة و آلشّعير فتنتشر في شمال أمريكا, و آلأسماك في آلبحار و آلمحيطات ألمختلفة و كذا القطن و الكتان في آلصّين و الفواكه و آلبن في أمريكا ألجّنوبية و هكذا.

ألموارد ألطّبيعية في العالم؛ وضعيّتها؛ توزيعها ألجّغرافي؛ أساليب تدبيرها!

أن الله تعالى قد وفرّ في الأرض كافة الموارد ألطبيعية التي تلزم الأنسان .. لكن سوء التوزيع و آلأستغلال و آلأفراط و آلتفريط من قبل ألمتسلطين في المنظمة الأقتصادية ألعالمية؛ أدّتْ إلى مآسي و ظلامات كبييرة سبّبتْ إغناء طبقة محدودة مقابل إفقار أكثر ألبشريّة.

لا يُمكن أنْ تجد دولة من آلدّول لا تملك مورداً طبيعيّاً أساسياً .. حتّى أفريقيا التي إشتهرت بآلفقر تمتلك موارد طبيعيّة عديدة و نادرة, هذا ناهيك عن ألدّول ألتي حباها الله بآلنفظ و آلمال و آلثمرات كإيران و آلعراق و آلسعودية و دول ألخليج الأخرى!

ألتّحديات ألّتي تُواجه ألموارد ألطّبيعية:

* ألماء؛ يواجه بعض دول العالم نقصاً في المورد المائي لسببين:
الأول: تلوث مياة البحار و آلأنهار بسبب آلأستخدامات المضاعفة لبعض الصناعات و تعرضها للتلوث النووي و الأشعاعي.
ألثاني: بناء آلسدود الأضافية على بعض المصادر المائية المشتركة بين البلدان, حيث يتم إحتكارها و بآلتالي فقدانها إمّأ بسبب آلتسرب داخل الأرض أو البقاء من دون إستفادة, و قد حصل هذا الأمر بشكل سافر من قبل تركيا التي أنشأت سدوداً عديدة على منابع و مصبات نهر دجلة و الفرات بحيث أدى خزن المياة إلى حدوث فيضانات كبيرة على الأراضي التركية أودت بحياة المئات من القرويين ألأتراك!

بل قطعت مؤخراً تركيا مياه نهر "ألهيزل" ألذي يُعتبر من آلرّوافد ألرئيسيّة لنهر دجلة و لمدينة دهوك شمال العراق!

كما أنّ التناقص في كميات آلمياه الصالحة للشرب في تناقص مستمر في أكثر بلدان العالم للأسباب التي ذكرناها, ممّا يحتاج إلى خطط عالميّة ستراتيجيّة مشتركة من أجل ترشيد إستخدام المياه.

* ألتربة؛ ألمساحات التي تشمل التربة الخصبة في تناقص مستمر أيضاً, بسبب عوامل التعرية و آلأنجراف و التلوث و الجفاف و زيادة الملوحة و آلأستغلال المفرط لبعضها و ترك البعض الآخر, مما يؤدي إلى تقليص ألمجال ألزّراعي و تدني الوضع البيئي.

* ألغابة؛ تغطي الغابات نسبة كبيرة من مساحات الأرض, لكنها هي الأخرى تعرضت للتخريب بسبب تصنيع جذوعها في مد سكك الحديد و نقل الطاقة الكهربائية و التوسع العمراني بآلأضافة إلى تعرضها للحرائق و للعوامل البيئية السلبية.

* ألثروة ألبحريّة؛ يمتلك أكثر بلدان العالم ثروات كبيرة و متنوعة من الأسماك و آلرّخويات و آلقشريات يوجه أغلبها للتصدير إلى الدول الغربية كأمريكا و بريطانيا كندا و ألمانيا و السويد, و هذه الثروة تواجه أيضاً التحدّيات العديدة من آلأستغلال المفرط من طرف الاساطيل الأجنبية خصوصاً في البحر الأبيض المتوسط و آلبحار ألعربيّة و آلأسلاميّة و غيرها و كأنّها مستباحة من قبل الأساطيل الأطلسية, و هذا من شأنه أن يعرض بعض الأنواع للأنقراض, بآلأضافة إلى مشكلة تلوث المياه البحرية و سواحلها بفعل النفايات ألأمريكية ألتي يتمّ رميها في البحار المحيطة بآلدولة المستضعفة كآلهند و الفلبين و غيرها مقابل لا شيئ سوى ترك البواخر ألتي حملتها و التي هي الأخرى ملوثة أساساً كتعويض للتعاون من قبل الحكومات المعنية!

* ألمعادن و آلطاقة؛ يتوفر معظم إحتياطي ألنفط ألعالميّ و آلكثير من المعادن كآلفوسفات و آليورانيوم و آلنحاس و آلكبريت في آلبلاد الأسلاميّة, و لذلك تعرّضت دولنا خلال العقود الماضية و لا يزال إلى الكثير من التدخلات و آلحروب و آلمؤآمرات من قبل الغربيين, و يُعاني هذا القطاع أيضاً إلى مشاكل معقدة منها:

- إرتباط ألدّول المنتجة بآلغرب وتحكمها بمعدلات الأنتاج و الأسعار.

- صعوبة تكاليف الأستخراج و التصنيع, فمثلاً هناك دول يُصدر لها النفط فتستخرج منا أكثر من خمسين مادة صناعية بينما في دولنا النفطية لا يستخرج منها ألمواد الصناعية سوى بعدد الأصابع.

<u>ألمشاكل ألرّئيسيّة ألّتي تُواجه ألتنمية:</u>

شهد آلعالم خلال آلعقود الثلاثة ألماضية إدراكاً متزايدا بأنّ نموذج ألتنمية ألحالي (نموذج الحداثة) لم يعدّ مستداماً، بعد أنْ إرتبط نمط ألحياة ألاستهلاكي ألمنبثق عنه بأزماتٍ بيئيّة خطيرة مثل فقدان ألتّنوع ألبيئي، و تقلّص مساحات ألغابات ألمداريّة، و تلوّث الماء و آلهواء، و إرتفاع درجة حرارة ألأرض(ألدفء ألكوني)، و الفيضانات ألمدمرة ألناتجة عن إرتفاع منسوب مياه البحار و الأنهار، و آلهزّات الأرضيّة و إستنفاد ألموارد غير ألمتجددة و إنتشار ألأمراض و آلأوبئة، ممّا دفع بعدد من منتقدي ذلك آلنموذج التنموي إلى الدّعوة إلى نموذج تنموي بديل مستدام يعمل على تحقيق ألانسجام بين تحقيق ألأهداف ألتنمويّة من جهة و حماية ألبيئة و إستدامتها من جهة أخرى. و في هذا آلسّياق يشير كلّ من "سوزان" و "بيتر" كالفرت(7) إلى أنّ ألبشريّة تواجه في آلوقت ألحاضر مُشكلتين حادّتين؛

<u>تتمثل ألأولى</u>؛ في أنّ كثيرا من آلموارد ألتي نعتبر وجودها آلآن معرضة للنفاد في المستقبل القريب و تلك من آلمسلّمات.

أمّا الثانية؛ فتتعلق بالتلوث ألمتزايد الذي تعاني منه بيئتنا في الوقت الحاضر والناتج عن الكمّ الكبير من الفضلات الضارة التي ننتجها, و نتيجة لذلك فقد أسهمت الضغوط المشتركة من المراكز العلمية و الأكاديمية إلى ازدياد الوعي بالندرة القادمة وتفاقم مشكلة السّمية و آلتّلوث في العالم إلى بروز مسألة الحفاظ على البيئة واستدامتها كموضوع مهم سواء في مجال الفكر أو السياسة , ففي المجال الفكري أسهم الشعور بالوضع التي عرّفها Ecopolitics المتدهور لبيئة الأرض في ظهور حقل معرفي جديد يعرف بالسياسة الإيكولوجية على أنها "دراسة الأنساق السياسية من منظور بيئي"، والذي يعني أن ؛ أي الإلمام Guimaraes جيوماريز بعلم الطبيعة؛ يعتبر بنفس أهميّة الإلمام بالعلوم الاجتماعية والثقافية والسياسية عند دراسة الأنساق الإيكولوجية وقدراتها. و لذلك فإن شيوع فكرة التنمية المستدامة في أدبيات التنمية السياسية منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين مثل في جزء منه محاولة لتجاوز إخفاق النظرية السلوكية في مجال التنمية، التي تبنت نموذج الحداثة، والبحث عن نموذج جديد يعمل على التوفيق بين متطلبات التنمية والحفاظ على بيئة سليمة ومستدامة, تلك الحقائق العلمية تشير إلى وجود أخطاء مبدئية و ستراتيجية في أصل مناهج إستثمار ألموارد الطبيعية و تصنيفها و التعامل معها كما أشرنا في مقدمة هذا الأساس.

أما على المستوى السياسي فقد بدأ المجتمع الدولي، منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي، يدرك مدى الحاجة إلى مزيج من الجهود السياسية و العلمية لحلّ مشاكل البيئة وعندها أصبح مفهوم التنمية المستدامة Development "يمثل نموذجا معرفيا للتنمية في العالم، و بدأ يحل مكان برنامج "التنمية بدون تدمير في السبعينات ومفهوم "التنمية UNEP الذي قدمه برنامج الأمم المتحدة للبيئة without Destruction الذي تم تطبيقه في الثمانينات. ووصل الاهتمام العالمي بالقضية البيئية Ecodevelopment "الإيكولوجية الذي عقد Earth Summitذروته مع تبني مفهوم التنمية المستدامة على نطاق عالمي في مؤتمر قمة الأرض في مدينة ريو دي جانيرو عام 1992م. وقد برز هذا الاهتمام العالمي بقضية البيئة بوضوح في تأكيد منهجية التنمية الإنسانية، وفقا لتقرير التنمية الإنسانية العالمي الصادر عام 1995، على عنصر الاستدامة، من خلال التأكيد على عدم إلحاق الضرر بالأجيال القادمة سواء بسبب استنزاف الموارد الطبيعية وتلويث البيئة أو بسبب الديون العامة التي تتحمل عبئها الأجيال اللاحقة أو بسبب عدم الاكتراث بتنمية الموارد البشرية مما يخلق ظروفاً صعبة في المستقبل نتيجة خيارات الحاضر(8).

وتحاول حركة الاستدامة اليوم تطوير وسائل اقتصادية و زراعية جديدة تكون قادرة على تلبية احتياجات الحاضر وتتمتع باستدامة ذاتية على الأمد الطويل، خاصة بعدما أتضح أن الوسائل المستخدمة حاليا في برامج حماية البيئة القائمة على استثمار قدر كبير من المال والجهد لم تعد مجدية نظرا لأن المجتمع الإنساني ذاته ينفق مبالغا وجهودا أكبر في شركات ومشاريع تتسبب في إحداث مثل تلك الأضرار. وهذا التناقض القائم في المجتمع الحديث بين الرغبة في حماية البيئة واستدامتها وتمويل الشركات والبرامج المدمرة للبيئة في الوقت نفسه هو الذي يفسر سبب الحاجة الماسة لتطوير نسق جديد مستدام يتطلب إحداث تغييرات ثقافية واسعة فضلا عن إصلاحات زراعية واقتصادية.

مَثّلتْ ألتطورات ألعلميّة ألتقنيّة خلال ألنّصف ألثّاني من آلقرن ألعشرين؛ قاعدة أساسيّة لتشكيل حالة جديدة من آلحضارة ألإنسانيّة تميّزت بتحقيق إنجازات مذهلة في تقنيّات ألحاسوب و وسائل ألاتصال فضلاً عن عددٍ آخر من آلإنجازات ألتقنيّة ألّتي حازت على اهتمام كثير من المراقبين و آخرها التوصل لتكنولوجيا النانو، لكنّها في الوقت نفسه أهملت ألمشاكل ألمتعلقة بفرص بقاء ألإنسانية في ظروف الأزمات ألبيئية الكونيّة ألمصاحبة لهذه ألحالة ألجّديدة من آلحضارة .. حيث يُمكن ملاحظة ألانخفاض ألنّسبي في إهتمام كل من الجماعة العلميّة و المجتمع ألسياسي بقيادة المنظمة الأقتصادية العالمية بتلك آلمشاكل خاصّة في ظلّ غياب منهجٍ واقعيّ لِحَلّ مثل تلك آلمشاكل ألأجتماعيّة و ألبيئية.

ففي النّصف ألثاني من القرن العشرين تبنت غالبية الدّول الصناعية المتقدمة طريق التقدم المتنامي في العلم، و التقنية، وأساليب الإنتاج ممّا أدى إلى بروز ما أصبح يُعرف بمجتمع المعلومات أو المجتمع ما بعد الصناعي الذي لم يعد يعتمد على نشاط الأفراد و لا على المجتمع ككل بقدر اعتماده على فرضية قدرة البشر على السيطرة على ذلك التقدم.

و قد أرتبط تدشين مجتمع المعلومات هذا في الدول الصناعية المتقدمة بهيمنة فكرة "التفاؤل التقني(9) التي بشر بها نموذج الحداثة ألتنموي و التي تفترض أن بزوغ فجر عصر التقنية؛ يمثل إيذانا بعصر خال من المشاكل و آلكوارث سواء في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي، فضلاً عن المجالات الأخرى و من بينها المجال البيئي, إلّا أنّ التطورات غير المنضبطة المصاحبة للتقدم ألصّناعي و آلحروب ألنصف ذرّية قد أسهمت من جانب أخر في تنامي سلسلة من المشاكل ذات الطابع البيئي، حيث أضحتْ قضايا التدهور البيئي، و التصحر، و الفقر، و عدم المساواة الاقتصادية، و الدفء الكوني، و الانفجار السكاني، و تزايد معدلات انقراض الكائنات الحية بشكل مخيف، و الأمطار الحمضية، و آلرّياح ألغباريّة, و استنفاد طبقة الأوزون، و تلوّث الماء و الهواء و الأرض و آلأنسان تمثل واقعا مؤلماً ملازما للحياة في العصر الحديث .. خاصة مع تعزيز نموذج ألحداثة المُعَوْلم و التقنيات المتطورة لقدرة البشر على الأضرار بالبيئة وببعضهم البعض بوتيرة لم يسبق لها مثيل بسبب سياسات ألمنظمة الأقتصادية الظالمة.

و يطرح بروز هذه المشاكل البيئية و تفاقم حدّتها عدّة تحدّيات غير منظورة للعلوم الأجتماعية و للاهتمامات أليوميّة للمواطنين و الحكومات و المصالح الخاصّة، حيث لم يعد ما يواجهه العالم اليوم محصوراً في الحالة و المتمثلة في استنزاف الموارد الطبيعية التي التي صورها تقرير نادي روما بعنوان " حدود النمو"(10) يمكن مواجهتها وإن كان بطريقة محدودة وغير كفؤة، خلال إحلال رأس المال الطبيعي برأس مال مادي، سواءً من خلال ابتكار منتجات جديدة تستبدل الموارد التي توشك على النفاذ (مثل استبدال النفط بالهيدروجين في مجال المواصلات) أو بواسطة تقنيات جديدة توسع نطاق المخزونات الحالية (الآت أكثر كفاءة في استخدام الطاقة)، بل إن ما يواجهه العالم اليوم يُمثل ظروفاً مختلفةً بشكلٍ جذريّ. ولذا يجب على المؤسسات القائمة أن تتعامل مع هشاشة الأنساق و العمليات الحيويّة التي لا يمكن استبدالها بغيرها, فلا يمكن استبدال طبقة الأوزون؛ أو الاستقرار المناخي مثلا .. إلاّ عندما نجد كوكب آخر بديل يُمكن للقاطنين على الأرض الهجرة إليه عندما تنقرض العمليات الطبيعية التي تدعم الحياة على الأرض!!

و بسبب تعاظم خطر تلك المشاكل من جهة و تقلص نسبة الموارد على الأرض و إضعاف قدرتها على تجديد ذاتها من جهة أخرى فإن هناك حاجة ملحّة لترشيد ألتعامل الإنساني و ذلك لأنّ نموذج الحداثة القائم الذي يعمل على الإيفاء بالاحتياجات المادية الحالية مع تجاهل تام للبيئة و للمستقبل؛ لم يعد ملائما و لا كفؤا على المدى الطويل.

و يتمثل إسهام هذه آلأساس في توظيف كلٍّ من آلمنهج ألوصفي و آلمنهج ألتحليلي ألنقدي لدراسة و تحليل أدبيّات و إتّجاهات التنمية المستدامة من أجل تحقيق ألأهداف ألتاليّة:

1- ألاستعراض النقدي لمفهوم ألحداثة و النّتائج ألسلبية ألمترتبة على تبنيه لنظريّة التنمية و خاصّة في مجال ألبيئة .

2- ألتّعريف بمفهوم ألتنميّة ألمُستدامة.

3- ألتعريف بوجهات النظر المختلفة حول الأزمة البيئية وسبل مواجهتها .

4- إستعراض الجهود الدولية حيال تبني تنمية أكثر استدامة .

5- تقديم بعض ألتّوصيات وآلإقتراحات فيما يتعلّق بحماية ألبيئة و آلعمل على إستدامتها .

<u>أساليب تدبير ألموارد ألطبيعيّة</u>:

***أساليب تدبير إستعمال ألمياه؛**
- بناء ألسدود, ألتنقيب عن ألمياه ألجوفيّة لسد ألنقص ألحاصل من جفاف مياه ألأنهار و شحّة ألأمطار لمعالجة ألمياه ألمستعملة و إعادة توضيفها.
- تأسيس ألمجلس ألأعلى للماء و آلمناخ, و إصدار ألقوانين ألّلازمة لصرف و إستخدام ألمياه.
- توعية ألمواطنين بأهميّة ألماء و ضرورة ترشيد إستعماله.
- ألسعي لأيجاد حلول و إتفاقيات عادلة و منصفة مع الدول التي تتشارك في المياه الأقليمية لتجنب الأستغلال ألغير العادل.

*** تقنيّات حماية ألتّربة:**
- بناء ألحواجز للحدّ من تعرية الرّياح و زحف الرّمال الصحراوية و آلموجات ألهوائية الغبارية.
- ألتشجير لتثبيت ألتربة.
- بناء المدرجات في المنحدرات للتقليل من خطر التعرية و الأنجراف و آلسيول.
- إتباع ألدّورة ألزّراعيّة, و آلحرث حسبَ خطوط ألتّسوية.

*** جهود ألحفاظ على آلغابات؛**
- تأسيس لجان متخصّصة بإشراف مباشر من الحكومة للعناية بآلمياه و آلغابات و محاربة آلتّصحر.
- إصدار قوانين حماية الغابات.
- ألقيام بعمليات التشجير لتجديد الغابة, و منع الرعي الجائر أو عمليات القطع ألعشوائية للأشجار.
- ألأهتمام بآلبحث العلمي حول سبل تطوير آلغابات و إنشاء محميات طبيعية و الأستفادة من مواردها بشكل لا يؤثر عليها.

*** إجراآت حماية ألثروة ألبحريّة؛**
- وضع مخطط لتنظيم الصيد البحري و النهري, مع ملاحظة إتفاقيات الصيد البحري خاصة مع الدول المجاورة و الأتحادات الأخرى.
- مراقبة كمية و حجم ألأنواع ألمصطادة.
- إعتماد فترة الراحة ألموسمية – ألبيولوجية و نظام الحصص حسب الأنواع و الأصناف.

*** أساليب تدبير قطّاع ألمعادن و آلطّاقة؛**
- ألتنقيب عن منابع و مناجم جديدة للنفط و آلمعادن, و جلب ألتقنيات ألأجنبية و آلكوادر ألأسلامية لخلق صناعات بعد تحويل ألمواد الخام و تصنيعها داخل البلاد.
- ألأهتمام بآلطاقات ألمتجددة, و إستقطاب الخبراء ألذين لجئوا للخارج بسبب الحروب و السياسات الظالمة السابقة.
- ألتحسيس بضرورة ترشيد إستهلاك الطاقة.
- ألأحتياط في مقدار إستخراج النفط و المعادن الأخرى إلّا طبق حسابات و موازيين مدروسة حتى يتسنى لنا تصنيع المستخرج منه, فأمريكا و كندا لا تستخرج من النفط إلّا بمقدار حاجتها .. بل تؤمن الكثير من خاماتها

من الدول المصدرة للنفظ(أوبك) كي توفر طاقاتها المخزونة للمستقبل.
- إنشاء الصناعات المختلفة ذات العلاقة بآلبترول و المعادن ألمستخرجة.

ألعراق في ظل ألأزمة العالميّة:

تعتبر أزمة الرهن العقاري الأمريكي من ابرز أحداث الاقتصاد العالمي منذ أزمة الكساد الكبير عام ١٩٢٩م. إن ما سببته هذه الأزمة من انعكاسات على معظم اقتصاديات دول العالم و ما ستتركه من آثار سلبية في المدى المنظور قد جعلت الكثير من مؤيدي مبادئ الليبرالية الاقتصادية وقوانين السوق إعادة ما تمّ تبنيه من أفكار اقتصادية في مقدمتها ترك الأمر لآلية السوق، و الرجوع إلى مبدأ تدخل الدولة لضبط و مراقبة الاقتصاد الكلي, و تبقى علة العلل سياسات المنظمة الأقتصادية التي تسيطر على كل منابع الطاقة و الأنتاج.

و لم تطل الأزمة المالية العالمية الدول المتقدمة فقط وإنما امتدت آثارها إلى الدول النامية عموما " و العربية خصوصا " ، سواء أ كانت على مستوى الدول التي اتسمت بسعة و انكشاف أسواقها المالية ام تلك التي اضطربت إيراداتها العامة بفعل تدهور أسعار النفط العالمية ، و من البديهي أن العراق مصنّف ضمن المجموعة الثانية ، إذا أثرت الأزمة على الاقتصاد العراقي عن طريق انخفاض عائداته النفطية نتيجة انخفاض أسعار النفط العالمية بسبب إصابة الاقتصاديات الدولية بالكساد ، ممّا انعكس علىقلة الطلب العالمي على النفط و بالتالي انخفاض أسعاره، أن انخفاض الأخير و ما قابله من انخفاض في عائدات النفط أدّى إلى إجراء تخفيض في موازنة ألعراق الاتحاديّة لعام ٢٠٠٩ ورغم هذا التخفيض في الموازنة بسبب ما تم ذكره سابقا " إلا إنها تجاوزت الآثار السلبية للازمة المالية بل إنها احتضنت المخرجات الايجابية التي بلورت الأفكار ورسمت الأ هداف لدى القائمين على أعداد الموازنة المتمثل بضرورة التخلي عن مظاهر الإنفاق غير المبرر في القطاع العام والإبقاء على الإنفاق الضروري وخصوصا " الذي يؤثر بصورة مباشرة على المستهلك العراقي ومستوى معيشته (كالرواتب والأجور والتقاعد وشبكة الحماية الاجتماعية) ، إلى جانب البحث عن مصادر إيرادات أخرى تبتعد عن تقلبات السوق الدولي .

إكمالاً لما سبق يمكن القول أن الاقتصاد العراقي استطاع أن يمتص جزء كبير من الآثار السلبية للازمة بكونه يمتاز بسرعة استعادة نشاطه الاقتصادي بعد الأزمات المالية والاقتصادية بسبب ما يملكه من موارد اقتصادية متاحة تمكنه من صد هكذا أزمات، بل و يمكن القول أيضا " بأن الأزمة المالية العالمية منحت المخطط المالي شهادة نجاح و بتفوق حينما خطط الإيرادات النفطية على أساس سعر تصديري لا يتجاوز ال (٧٠) دولارا" في حين كان السعر الدولي قد وصل أعتاب ال (١٤٠) دولار ، وتم تخفيض السعر التصديري المخطط إلى حدود لا تتجاوز الـ (٥٠) دولارا" مع تهاوي أسعار النفط العالمية ، ممّا دفع بالمخطط المالي البحث عن بدائل أخرى للإيرادات ومنها التعريفة الكمركية .
و في حال بقاء أسعار النفط على هذا المستوى أو أعلى بقليل و ما دام الاقتصاد العراقي هو اقتصاد ريعي وللتخفيف عن عبئ الموازنة ينبغي إدخال أطراف أخرى تشارك في عملية التنمية الاقتصادية المستهدفة كتفعيل القطاع الخاص وزيادة الإنتاج المحلي الزراعي و الصناعي, خصوصاً ألصناعات ألتحويلية و الاستثمار في قطاع السياحة و جلب الاستثمارات الأجنبية و توجيهها بما يتناسب و مصلحة الاقتصاد الوطني.

ألدّراسات التي يجب ألتركيز عليها في هذا الأساس:

1- وضعيّة التنمية البشرية في العالم.
2- مستوى ألتنمية ألبشريّة في آلعراق.
3- ألجّهود و آلمناهج ألمبذولة لتحسين مستوى ألتنمية البشرية في العراق طبقاً للموازيين الأسلامية التي حددتها نظرية المعرفة الكونية.
4- برامج أخرى لتنمية ألموارد ألبشريّة في آلعراق و آلعالم ككل طبقاً لأسس نظريّة المعرفة ألّتي بيّنتْ تفاصيل ألخطوط ألرئيسيّة في ذلك.
5- دور ألأقتصاد الأسلامي في تحكيم العدالة في المجتمع.
هذا وسنقدّم لكم في آلأساس ألقادم(ألعاشر) ملحقاً خاصّاً بآلموارد ألطبيعيّة في آلعراق كأهمّ دولة بعد آلجّمهورية ألأسلاميّة في منطقة ألشّرق بل آلعالم أجمع إن شاء الله.

---

(1) لعل البعض يستغرب لو عرضنا حقيقة حال المواطن الغربي كما عايشناه بإعتمادنا ألمعايير و المبادئ ألأنسانية ألتي من خلالها يتحقق كرامة الأنسان و سعادته, و لقد بحثنا تفاصيل الأستغلال المُتقن من قبل النظام الغربي للأنسان ألذي حولوهُ إلى جسد خالٍ من الأحساس و الكرامة ليسهل قيادته و إستغلاله, للتفاصيل راجع آلفصلين ألأخيرين من مؤلّفنا ألموسوم بـ (مُسْتَقبلنا بين الدين و آلدّيمقراطية), فحقوق العامل في الغرب مهضومة إلى أبعد الحدود, بحيث لا يُعطى إلّا جزءاً منه؛ ففي الوقت الذي يُقدّم آلعامل كلّ ما بوسعه للنظام بدون وعي ضمن الدوائر و الشركات و المعامل الأنتاجية؛ نراه لا يحصل إلا على الحقوق الدّنيا ألتي يستطيع من خلاله فقط دفع فواتيره الكثيرة و المتنوعة و سدّ رمقه و رمق من يُعيلهم!
و قد تابعت لأكثر من عقدين ألمستوى المعيشي و الحقوقي للمواطن الغربي فتبيّن من خلال الأحصاآت بأنّ أكثر من 92% من آلمواطنين مدينين للبنوك و الشركات الكبيرة ألتي تمتلك كل شيئ .. و تلك المؤشّرات الخطيرة تُدلّل على وجود سلبٍ و اضح لحقوق الناس .. و آلغريب أن الشعب بات عاجزاً مع هذا الوضع للدفاع عن حقوقه مقابل ذلك الظلم بسبب وجود نظام حديدي مجهّز بآلمعدات التكنولوجية و أجهزة ألمراقبة و القمع البوليسية و الأمنية من الشرطة و المخابرات و الجيش و القوات الخاصة ألتي لا تفهم شيئاً من الحياة سوى تنفيذ أوامر أصحاب ألمال و الشركات عن طريق ألأجهزة االقضائية و القانونية على الرّغم من إدّعائها بآلأستقلالية في آلقرار, حيث هناك خطوط حمراء رئيسية لا يُمكن تجاوزها .. لا من قبل القاضي و لا من هو أكبر منه في الدولة خصوصاً فيما يتعلق بآلاقتصاد و الضرائب, و قد بيّنا تفاصيل ذلك في الأساس الثامن.
و آلحقيقية لم يكن يحصل هذا آلأمر لولا نجاح ألنظام ألغربي بمرور ألزمن في إستفراغ ضمير ألأنسان كلّياً من معتقداته ألرّوحيّة و آلدّينية و آلتي أساساً كانت ضعيفة و منحرفة .. بل فصلها تماماً عن آلحياة ألسّياسية و الأداريّة و آلقانونيّة و الأقتصاديّة, ليكون الأنسان مجرّد بدناً و عقلاً خالصاً خالياً من الأحاسيس يتحرّك ضمن سياسات النظام القائم بلا أدنى خلاف أو إعتراض لمنافع الطبقة الرأسمالية,
إنّ ذلك الفصل التعسفي سبب إنفصال الأنسان عن القيم و المُثل و آلمبادئ و بآلتالي إبعاده عن حقيقة نفسه و حقوقها الطبيعية وإفراغه من محتواه الحقيقي ألمتمثل بآلفكر .. لكون الفكر هو الذي يُمثل حقيقة الأنسان لا آلجسد المادي, ألهدف الأساس من الفصل في النهاية هو تفسير ألمبادئ و الحقوق و الواجبات من قبل المنظمة الأقتصادية بما يتناسب و مصالحهم من دون إي إعتراضات أساسية من قبل الجماهير و بآلتالي ليصبحوا جميعاً طوع أوامر و مقررات آلنظام ألرّأسمالي !
(2) من أهم الأسس التي تمّ بيانها في تقرير برنامج ألأمم ألمتحدة ألبيئي عام 2000م هي:
أولاً: ألوثائق و آلأدوات و أهمها:
*بناء مستقبلنا؛ حيث تضمّنتْ ورقة مكونة من أكثر من 32 فقرة أعدّت لمؤتمر الفاو/هولندا حول خاصيّة ألتعدد ألوظيفي للزّراعة و آلأرض(ماستريخت/1999) و التي توضح كيف تولد ألزّراعة نواتج متعددة و كذلك كيفية الحاجة إلى منهج جديد نحو خاصية التعدد ألوظيفي لهذا النشاط.
* رابطة الطاقة و آلزّراعة ؛ حيث تركز تقرير الفاو على تحديات و فرص تطوير تكنولوجيا الطاقة الاقتصادية ألحديثة(ألكتلة ألأقتصادية , ألوقود ألبيولوجي) بصفة عامة و على الفوائد ألبيئية و الفنية و الأقتصادية و دور الطاقة في الزراعة بشكل خاص.
* تغيير ألمناخ العالمي و الأنتاج ألزّراعي؛ و تتعلق بآلتغييرات ألمناخية بفعل الأنسان على الزراعة إقليمياً و عالمياً.
* قرارات بنكية من أجل ألبيئة؛ تستطيع المؤسسات المالية أن تلعب دوراً هاماً في آلأدارة السليمة للموارد, و هذا يتطلب ألشعور بآلمسؤولية من قبل مالكي ألبنوك و مسؤوليه إزاء آلقضايا المتّصلة بذلك, و يتطلّب معرفة معلومات متخصّصة مطلوبة لأتخاذ آلقرارات.
* ألتّنوع البايلوجي من أجل الغذاء و آلزّراعة؛ و تشمل المساعدة في بناء عالم يتمتع بآلأمن ألغذائي للأجيال القادمة و الحالية من خلال إمكانية حصول جميع آلأفراد في جميع الأوقات على غذاء كافٍ مغذي سليم, و هذا يحتاج إلى التنوع البيولوجي و الأستفادة من هذا التنوع لأجل الغذاء و الزراعة في إطار النظم البيئية المستدامة.
* ألكائنات الحية ألمحسنة وراثياً, و المستهلكين, و سلامة الأغذية, و آلبيئة؛ و هو تشجيع البحث ألبنّاء حول موضوع العضويات المحسنة وراثياً ألمثير للجدل و تشجيع ألتحليل ألكامل لكل حالة على حدة من خلال التطبيقات التكنولوجية الأقتصادية.
* مؤشرات جودة الأرض و أستخدامها في الزّراعة المستدامة و التنمية الريفية؛ برنامج مؤشرات جودة الأرض هو مشروع مشترك للفاو السياسة على استخدام وبرنامج الأمم المتحدة البيئي والبنك الدولي ، يهدف إلى مساعدة المخططين وصانعى وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والتشجيع على تنظيم أكثر فى جمع البيانات والمعلومات المعلومات المتوفرة لديهم بالفعل حول جودة الأرض بشكل أفضل.

*الأسس والخطوط الإرشادية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي للإدارة البيئية والتنمية المستدامة؛ تركز الاستراتيجية البيئية وخطة العمل لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي على دعم الحكومات فى إدماج الاعتبارات البيئية ضمن خططهم البيئية . وتقدم خطوط إرشادية للإدارة البيئية يمكن تطبيقها فى جميع دورات البرامج والمشروعات .
*الفقر والبيئة : تحويل الفقراء إلى عوامل لإعادة التكوين البيئي؛ ورقة عمل خاصة ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائي تبحث التفاعلات المتعددة بين الفقر والبيئة وتوضح كيف أن الفقراء يحصلون على جزء كبير من استهلاكهم من الموارد الطبيعية وموارد المجتمع الذى يعيشون فيه . ومن الجائز أن يكون الفقراء عوامل لإعادة التكوين البيئي بوسيلة تخفف الفقر أيضاً.
* استراتيجية البيئة الجديدة للبنك الدولي؛ إن هدف استراتيجية البيئة الجديدة للبنك الدولي هو تشجيع التحسين البيئي كعنصر أساسي فى التنمية واستراتيجيات وإجراءات الحد من الفقر. وللمرة الأولى قام البنك الدولي بتجميع منهجه نحو الحماية البيئية فى وثيقة واحدة.
* التدهور البيئي والتماسك الاجتماعي؛ هذه الورقة الصادرة عن معهد أبحاث الأمم المتحدة للتنمية الإجتماعية توضح أن التدهور البيئي يمكن أن يكون مصدراً هاماً للضغط على المجتمعات . فبالرغم من أن التدهور البيئي ربما يحدث تغيرات فى نمط الاستقرار مما يزيد من سرعة ظهور الطبقات الاجتماعية ، قد يشجع التماسك الاجتماعي وتحث على العمل الجماعي.
* برنامج الأغذية العالمي والبيئة؛ هذه الورقة تلقي الضوء على منهج برنامج الأغذية العالمي نحو القضايا البيئية فى سياق المعونات الغذائية.

مبادرات على مستوى العالم

*جدول أعمال القرن 21؛ جدول أعمال القرن 21 هى خطة العمل الشاملة للبيئة والتنمية المستدامة والتى أقرتها أكثر من 178 دولة فى مؤتمر قمة الأرض (مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية ، ريودجانيرو ، البرازيل ، يونيو 1992(
*جوها نسبرج : 2002 مؤتمر القمة العالمي حول التنمية المستدامة؛ مؤتمر قمة الأرض التالي سوف يعقد فى جوهانسبرج بجنوب افريقيا فى سبتمبر 2002 .وثائق عملية التحضير والمعلومات الإجرائية متاحة على الإنترنت فى هذا الموقع.
*إتفاقية إطار الأمم المتحدة حول التغير المناخي؛ إتفاقية إطار الأمم المتحدة حول التغير المناخي هو اسم اتفاقية تتناول الدول فى جميع أنحاء العالم من خلالها القضايا المحيطة بارتفاع الحرارة العالمي . ويقدم موقع إتفاقية إطار الأمم المتحدة موارد وأخبار وبيانات ومعلومات شاملة .
*المرفق العالمي للبيئة؛ تأسس المرفق العالمي للبيئة لخلق التعاون الدولي وتمويل إجراءات تناول أربعة تهديدات حادة للبيئة العالمية وهي: فقدان التنوع البيولوجي والتغير المناخي وتدهور جودة المياه الدولية ونفاذ الأوزون . المرفق العالمي للبيئة تم اعادة تنظيمه بعد مؤتمر قمة الأرض فى ريودوجانيرو لخدمة المصالح البيئية للشعوب فى جميع أنحاء العالم.
*وحدة البيئة التابعة لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي ؛ تقدم وحدة البيئة التابعة لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي ومكتب تنسيق الشئون الانسانية المساعدة العملية للدول التى تصيبها كوارث بيئية مثل الحوادث الصناعية والتكنولوجية والتسربات الكيميائية والبترولية وحرائق الغابات والفيضانات وحالات الطوارىء الأخرى التى تحدث فجأه وتضر بالبيئة وصحة الانسان والمصلحة العامة.
*قاعدة بيانات المواقع الأرضية لرصد النظم الإيكولوجية؛ قاعدة بيانات المواقع الأرضية لرصد النظم الإيكولوجية هو دليل دولي للمواقع والشبكات التى تقوم بالرصد الأرضي والأنشطة البحثية وتقدم قاعدة البيانات معلومات حول " من وماذا او أين " فى الرصد الأرضي طويل المدى التى يمكن أن تخدم كل من المجتمع العلمي وصانعي السياسة.
*مبادرة الفقر والبيئة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والمفوضية الأوروبية؛ يشارك برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والمفوضية الأوروبية فى مبادرة مشتركة حول الفقر والبيئة تهدف إلى تحديد توصيات ملموسة للسياسة وإجراءات عملية تخاطب الهموم البيئية للفقراء فى الدول النامية.

وصلات

*برنامج الأمم المتحدة للبيئة ؛ يقدم برنامج الأمم المتحدة للبيئة القيادة ويشجع الشراكة فى الاهتمام بالبيئة من خلال إلهام وإعلام وتمكين البلدان والشعوب من تحسين مستوى حياتهم بدون أى تأثير على الأجيال القامة.
*المنظمة العالمية للأرصاد الجوية؛ تقوم المنظمة العالمية للأرصاد الجوية بتنسيق النشاط العلمي العالمي لإتاحة معلومات جوية دقيقة وسريعة بشكل متزايد وخدمات أخرى. وتساهم أنشطة المنظمة العالمية للأرصاد الجوية فى سلامة الحياة والأملاك والتنمية الاجتماعية االاقتصادية للأمم وحماية البيئة.
*لجنة الأمم المتحدة حول التنمية المستدامة ؛ أنشئت مفوضة التنمية المستدامة فى ديسمبر 1992 لضمان متابعة فعالة لمؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية ورصد وكتابة تقرير عن تنفيذ اتفاقيات مؤتمر قمة الأرض على المستوى المحلي والقطري والإقليمي والدولي.
*برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: الطاقة والبيئة
يقود برنامج الأمم المتحدة الإنمائي جهود الأمم المتحدة على مستوى النظام لبناء القدرات المحلية للتنمية المستدامة بيئياً عن طريق تشجيع أفضل الممارسات العالمية ودعم التدخلات الاستراتيجية.
*مصلحة التنمية المستدامة التابعة للفاو ؛ تقوم مصلحة التنمية المستدامة بالفاو بتقديم النصح للحكومات حول تكامل السياسات والتخطيط وإدارة الموارد الطبيعية .
*الفاو - الزراعة فى القرن 21 : دليل الموارد الطبيعية والبيئة ؛ يحفل هذا الموقع بوصلات لمواقع الفاو على شبكة الإنترنت والوثائق والأدوات حول الموارد الطبيعية والتربة وإدارة المياه والطاقة المتجددة.
*موقع البنك الدولي للبيئة؛ عن طريق ربط تخفيض الفقر والتنمية المستدامة يركز البنك الدولي على إيجاد طرق لضمان ألا يأتي النمو الاقتصادي على حساب نظم العالم المادية و البيئية أو فقراء العالم.

*اللجنة االاقتصادية والاجتماعية لآسيا والمحيط الهادي ؛ يدعم قسم البيئة وتنمية الموارد الطبيعية للجنة االاقتصادية والاجتماعية لآسيا والمحيط الهادي جهود أعضائه والأعضاء المساعدين فى أسيا والمحيط الهادي لتحقيق أهدافهم المرجوة فى التنمية بأسلوب مستدام .
*لجنة الأمم المتحدة االاقتصادية من أجل أفريقيا؛ ينوي قسم الأمن الغذائي والتنمية المستدامة التابع للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية من أجل افريقيا أن يصبح مركزاً للجودة لإدارة الموضوعات المتصلة ببعضها عند إرتباط السكان والزراعة والبيئة.
*المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية؛ يقوم الباحثون العاملون فى المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية - والتى تعرف فيما عدا ذلك بمراكز حصاد المستقبل - ببحث العوامل الاجتماعية واالاقتصادية التى تحدد كيف يقوم المزارعون والمجتمعات بإدارة الموارد الطبيعية بالاضافة إلى بحث سياسات التجارة وسياسات الاقتصاد الكلي التفصيلية لتحديد آثارها على التنمية والبيئة.
*اتحاد المحافظة على العالم؛ إن مهمة اتحاد المحافظة على العالم للحفاظ هى التأثير والتشجيع ومساعدة المجتمعات فى جميع أنحاء العالم للحفاظ على تكامل وتنوع الطبيعة ولضمان أن أى استخدام للموارد الطبيعية متكافيء ومستدام بيئياً.
*شبكة بحوث السكان والبيئة؛ شبكة بحوث السكان والبيئة هى مصدر معلومات غير ربحي وعلمي وتعتمد على شبكة الانترنت حول بحوث السكان والبيئة الحالية على مستوى العالم . وتهدف الشبكة لتشجيع اتصال أكبر حول الأساليب والمناهج نحو بحوث السكان والبيئة وتطويرها.
*المجلس العالمي للطاقة ؛ المجلس العالمي للطاقة هو المنظمة العالمية متعددة الطاقات والغير ربحية الأولى ، والتى لها لجان عضوية فى أكثر من 90 دولة بما فى ذلك معظم أكبر الدول المنتجة للطاقة والمستهلكة للطاقة . ويهدف المجلس العالمي للطاقة لشجيع الامداد والاستخدام المستدام للطاقة من أجل أستفادة أكبر لجميع الدول.
*معهد الموارد العالمي؛ يقدم معهد الموارد العالمي معلومات وأفكار وحلول للمشكلات البيئية العالمية ومواجهة التحديات العالمية عن طريق استخدام المعرفة لتحريك وتنشيط العمل العام والخاص.
*معهد المراقبة العالمية ؛ مراقبة العالم منظمة بحثية متخصصة فى السياسات الحكومية وهي منظمة غير ربحية تخصص جهودها لإعلام صانعي السياسة والجمهور بالمشاكل والاتجاهات العالمية الناشئة والروابط المعقدة بين الاقتصاد العالمي وأنظمة الدعم البيئي الخاصة بها.

(3) Coates, J. Exploring the Roots of the Environmental Crisis: Opportunity for Social Transformation. Critical Social Work, 3(1), 2003, 44-66.

(4) Coates, J. Ecology and social work: Toward a New Paradigm. Halifax: Fernwood Press, 2003

(5) كبنك القرض الدولي و آلبنك الأمريكي الوطني و شركة (شل) و (إيسو) و غيرها.

(6) في آلحقيقة يُعتبر الماء هو الأساس لكل مخلوق حيّ, و قد قال تعالى: (و جعلنا من الماء كلّ شيئ حيّ) و أما التصنيف الذي ورد فيعود إلى ألأسلوب الغربي في التعامل مع الطبيعة المجرّدة و قد نقلناه نصّاً, و في الحقيقة لا يوجد مخلوق إلّا و له ملكوت و حياة و روح خاصة بها.

(7) بيتر وسوزان كالفرت(2002)، السياسة والمجتمع في العالم الثالث: مقدمة ، ترجمة عبدالله جمعان الغامدي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 2002.

(8) UNDP 1995 . HUMAN DEVELOPMENT REPORT 1995

(9) technological optimism.

(10) "The limits to growth".

Meadows, D. et al. The Limits to Growth: A Report to the Club of Rome’s Project on the Predicament of Mankind. New York, 1972.

أساسات نظريّة ألمعرفة آلكونيّة – ألأساسُ آلعاشر

أساساتُ نظريّة ألمعرفة – ألأساسُ آلعاشر

ألموارد ألطبيعيّة في آلعراق و آلخطة ألخمسيّة؛

ألمدخل إلى آلأساس:

ثبّتنا في هذا آلأساس ملاحظات جوهريّة على ألخطّة ألخمسيّة للتّنمية ألوطنيّة ألّتي أعدّتها وزارة ألتخطيط ألعراقية لعام 2010-2014م كنموذج عمليّ لإعتمادها كخطة في برنامج حكومي في أية دولة مع الفوارق من دولة لأخرى و كانت إجمالاً؛
* طغيان طابع آلكشف و آلأشارة على نسق ألخطة، كما أنها لم تكن شاملة لجميع ألحقائق و لما هو كائن .. بل طغى عليها جانب ألتراكم و آلأنشاء!

* لم تكن ألخطة ألمقدمة من وزير ألتخطيط و فريقه الكبير واضحة ألمعالم كي يتم تبنيها عملياً من قبل رئاسة ألوزراء و معها ألوزارات ألمختصة كآلنفط و آلصناعة و آلكهرباء و آلتربية و آلصّحة و الأعمار و آلبيئة.

* لم تذكر ألدّراسة جذور و أسباب ألتخلف و آلتخريب ألأقتصادي و المواجهات السياسية و الأمنية بين الكيانات، ربما بسبب فقدان ألدّارسين لها إلى آلولاية، و لذلك كانت توجهات الدراسة لمنافع "ألمنظمة الأقتصادية العالمية" خصوصا في إنتاج النفط!

* عدم ألنظر في آلفوارق ألكبرى بين حقوق طبقة (ألمسؤوليين) و آلعمال و آلتي سبّبت بعث روح ألتمرد و آلأستغلال و فقدان الثقة بين المسؤول و آلرعية, ممّا أدّى إلى تفاقم الأوضاع على كل صعيد, و إحتمال عودة الأرهاب والعنف من جديد!
* عدم وجود ألبرامج ألتوسعيّة في ألخُطة لتنويع مصادر ألدّخل ألقوميّ، بل ركّزتْ ألدّراسة على إيرادات ألنّفط ألذي سينفذ خلال ربع قرن من آلآن بحسب توقعات ألخطة نفسها.
* أن إستمرار آلوضع بحسب تلك ألخطة سيجعل ألعراق يُواجه ألفقر و آلتبعيّة إلى آلأبد لأعتماد ألخطة في أصولها على مبادئ و توجهات ألمنظمة الأقتصادية العالمية.
* ألدراسة أُعِدَّتْ و كأنّها تُريد إنتشال و خدمة ألحكام و آلمسؤولين بآلدّرجة ألأولى لا آلوطن و المواطن، حيث تشبه من بعض الوجوه سياسة ألنظام ألجاهلي ألسّابق ألذي دمرّ آلعراق و ما يُحيط بآلعراق, فأين وجه ألحكمة من تكرار ألخطأ؟
* آلدّراسة و بآلرّغم من ألعيوب و آلنّواقص ألفنيّة و آلعقائديّة فيها بسبب ألمرجعيّات ألفكريّة لمقرريها؛ قدْ عَرَضَتْ مواضيع متنوعة بشأن ألثروات و حقائق ألواقع.
أنّ آلتّخريب ألبعثيّ كانَ عميقاً في العراق .. فلا بُدّ من إتباع سياسات معاكسة له .. لنجاة ألأمة ماديّاً و معنويّاً, حيث بيّنت ألأحصاآت بأنّ أكثر من 90% من آلعراقيّن مرضى نفسياً و في مقدّمتهم ألمسؤوليين, بسبب ضغوط ألواقع و دخولهم معترك ألصّراع في آلوضع ألجّديد مرغمين, بجانب قضايا آلفساد و الأرهاب التي جرحت بآلعمق قلوب ألجميع!

أسباب فقدان ألتّنمية في آلعراق و آلمنطقة:

إيران ثم آلعراق و دول الخليج؛ بلدان منسجمة رغم كثرة ألمؤآمرات ألتي حاولت و تُحاول تفتيتها و تكريس ألعداء بينها, بلْ كانت دولةً واحدةً لقرونٍ عديدةٍ, تارةً تحت آلقيادة "ألفارسيّة" و تارةً تحت ألقيادة "ألأسلاميّة", إنّها تملك ثروات طبيعيّة هائلة كآلنفط و آلغاز و المعادن و الزراعة و آلصناعة و آلمياه و طاقات بشريّة مُتخصّصة و فنّية على جميع ألأصعدة .. تسندهاعقيدة موحّدة تربطهم بآلسّماء خصوصاً في إيران و آلعراق عن طريق خاتم أئمّة أهل آلبيت(ع) ألأمام ألمهديّ(عج) تلك آلخصوصيّات مُجتمعةً, جعلتْ تلك ألدّولتين و معهما دول هذه ألمنطقة محلّ أنظار و نزاع ألقوى ألأستكباريّة!

ثروة النفط؛ ألغاز؛ ألعقيدة؛ ألتأريخ؛ ألثروات ألبشرية؛ ألصّناعية؛ ألزّراعية؛ ألمياه؛ ألمرجعية ألموحّدة, كلّ ذلك أضافت لها وزناً خاصّاً في ميزان ألقوى ألعالميّ, لذلك نرى أنّ الغرب خطّط ستراتيجياً و ركّز ثقله و كثَّفَ خططهُ لتدمير ما أسموهُ بـ (آلمنطقة الكبرى) من أجل السيطرة عليها .. خصوصاً بعد أنتصار ألثّورة ألأسلاميّة عام1979م ألّتي غيّرت موازين القوى في آلعالم لصالح ألطبقة ألمستضعفة و أرجعت ألثّقة لنفوسهم بإمكانيّة إنتصارهم على آلطّواغيب و إرجاع حقوقهم ألمُغتصبة, فقد أحسّت ألمنظمة الأقتصادية بأن تلك الثروة العملاقة ستُحرك المستضعفين و تفتح عيونهم و وعيهم للمطالبة بحقوقهم المغتصبة منذ بداية التأريخ و للآن من تلك الثروات التي مَنّ بها الله تعالى على الشعوب الأسلامية خصوصا منطقة الخليج, ممّا حدى بها لئن تخطط هذه المرة و بعمق إستراتيجي غاب كيدهم عن أذهان أكثر المسلمين بإستثناء قوم سلمان المحمدي الذين صمدوا للآن خلف قيادتهم و لوحدهم مع المقاومين أمام تلك المخططات التي ما زالت جارية.

و قد لعب حزب ألبعث ألجّاهلي في العراق دوراً خيانيّاً كبيراً و ستراتيجيّاً بقيادة صدّام لصالح ألقوى ألأستكباريّة و آلصّهيونيّة لتمرير تلك آلمخططات ألخبيثة .. لتدمير ألبلاد و آلعباد, حتّى وصلَ آلعراق و ما يُحيط به إلى وضعٍ يُرثى لهُ من كلّ جانب و على كلّ صعيد!

و لذلك ليس فقط لم يشهد ألعراق ألتنمية في آلموارد ألطبيعيّة بلْ تَعرّضَ كلّ بناهُ ألتحتيّة إلى تدميرٍ شاملٍ, و يعاني على كل صعيد نتيجة آلظّلم و آلحروب و آلأرهاب و آلأحتلال و الفساد و سوء ألأدارة ألأقتصاديّة و آلسّياسية و آلعسكريّة نتيجة فقدان البرلمان و الحكومة و القضاء لنظرية المعرفة الكونية!
هذا بجانب أنّ نموذج ألتنمية ألعالميّة, الذي هو آلآخر لم يعدّ مُستداماً, بعد أنْ إرتبط نمط ألحياة ألأستهلاكي ألمُنبثق عنه بأزماتٍ بيئيةٍ خطيرةٍ مثل فقدان ألتّنوع ألبيئي, و تقلّص مساحات ألغابات ألمداريّة و موت ما يقرب من خمسة عشر مليون نخلة في العراق كانت تغذي عشرات ألملايين من ألبشر سنويّاً, و كذلك الحرائق المتوالية للغابات في إستراليا و أمريكا و تلوث ألماء و آلهواء و آلتراب لأستخدام التكنولوجيا ألعدوة للبيئة و كذلك القنابل المُشعّة ألمشبعة بآليورانيوم, و إرتفاع درجة حرارة الأرض و آلفيضانات ألمدمرة, و تحطيم طبقة الأوزون, هذا بجانب إستنفاذ ألكثير من ألموارد ألطبيعية غير ألمُتجددة!

ألمشكلات ألأساسيّة ألتي ستُواجه ألبشريّة:

بإختصار و كما أشرنا سابقاً؛ فأنّ آلعراق بلْ ألعالم كلّه سيُواجه ثلاثة مشاكل رئيسيّة إنْ لم نُفكّر بحلٍّ جذريّ من خلال رسم ألسّياسات الكليّة ألّتي يتحكّم بها أناس لا يعرفون ألأنسانيّة و ألأخلاق و آلقيم عبر آلمنظمة ألأقتصاديّة العالميّة .. و أهمّ ألمشكلات الأساسية هي:

ألأوّل: ألكثير من آلموارد ألموجودة ألآن كآلنّفط و الغاز و المنتوجات الحيوانية و حتى الزّراعية معرضة للتّغيّر و آلنّفاذ في المستقبل القريب, ممّا يُعرّض حياة ألبشريّة إلى أخطارٍ جديّةٍ منها؛

تفشّي ألمجاعة و قلّة ألخدمات و إنتشار ألظّلم و شيوع ألأمراض, بسبب إستخدام مواد كيمياوية خطيرة للتحكم بآلمناخ و الرياح.

ألثّاني: تخريب طبقة الأوزون و ألتّلوّث ألمُتزايد ألذي نُعاني و بيئتنا منه اليوم, و آلناتج من آلكم ألكبير من آلفضلات ألصّناعية و النوويّة ألضّارة ألتي تنتجها ألمفاعلات ألنوويّة و آلمكائن الصناعية ألّتي تُعْتبر عدوّة ألبيئة, ممّا إزداد تخوّف ألعالم من مفاجات لا تُحمد عُقباه.

ألثّالث: عدم إهتمام ألسّياسيين و أصحاب ألفكر و آلبرمجة بمخاطر ألسّياسات ألّتي تفرضها آلدّوائر ألمتعلّقة بآلمنظمة ألأقتصاديّة ألعالميّة ألّتي تُوجّه جميعَ حُكومات ألأرض و آلّتي سبّبت ألتّخريب ألّذي أشرنا لهُ آنفاً, و كأنّها غير معنيّة بحياة ألأجيال ألقادمة و حتّى الحالية, هذا على الرّغم من ظهور حقل معرفي جديد يُعرف بآلسّياسة ألأيكولوجية(1) ألّتي تبنّتها ألأمم ألمُتّحدة و هي آلسّياسة آلتي تعْتَمد نموذج ألحداثة, و آلبحث عن نموذج جديد يعمل على آلتوفيق بين متطلّبات ألتنمية و آلحفاظ على بيئة سليمة و مُستدامة.

أمّا على آلمستوى ألسّياسي, فقد بدأ آلمجتمع ألدّولي, منذ منتصف ثّمانينات ألقرن ألماضي, يَدرك مدى آلحاجة إلى مزيج من آلجّهود ألسّياسية و آلعلميّة لحلّ مشاكل ألبيئة و عندما أصْبحَ مفهوم ألتّنمية ألمُستدامة يُمثّل نموذجاً معرفيّاً للتّنمية في آلعالم, فقد بدأتْ تحلّ مكانَ برنامج ألتّنمية بدون تدمير(2), ألذي قدّمه برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) في بداية ألسّبعينات.

ثم تمّ تطبيق مفهوم ألتّنمية ألأيكولوجيّة في آلثمانينات, و بدأ آلأهتمام بمفهوم ألتنمية ألمستدامة على نطاق عالمي في مؤتمر قمة الأرض(3) ألذي إنعقد في مدينة (ريو دي جانيرو) عام 1992م, كما تمّ التركيز على آلتنمية البشرية وفقاً لتقرير ألتنمية الأنسانية ألعالمي ألصادر في 1995م.

و قد تمّ ألتأكيد على البرامج التي تعتمد على عنصر الأستدامة لتَجَنّب إلحاق ألضّرر بآلأجيال ألقادمة سواءاً بسبب إستنزاف الموارد الطبيعية أو تلويث البيئة أو بسبب ألدّيون العامة ألتي تتحمل عبئها الأجيال اللاحقة عادّةً(4), أو بسبب عدم الأكتراث بتنمية آلموارد البشرية ممّا يخلق ظروفاً صعبة في المستقبل نتيجة خيارات الحاضر(5).
رغم كل تلك المقدمات و اللوائح الدولية إلا أن الدراسات تشير إلى أن نموذج التنمية الحالي(نموذج الحداثة) لم يعد مستداماً بسبب نمط الحياة الأستهلاكي و الأنعكاسات السلبية التي اشرنا لها آنفاً!

نحن بحاجة إلى تطوير حركة ألأستدامة عبر تطوير ألوسائل ألأقتصاديّة و آلزّراعيّة بحيث تكون قادرة على تلبية إحتياجات ألحاضر مع تنمية مستدامة ذاتيّة على آلأمد ألطّويل, خاصّة بعد ما أتّضح أنّ ألوسائل ألمستخدمة حاليّاً في برنامج حماية ألبيئة, ألقائمة على إستثمار قدر كبير من المال و الجهد, لم تعد مجدية نظراً لأن المجتمع الأنساني ذاته ينفق مبالغاً و جهوداً أكبر في شركات و مشاريع تتسبب في إحداث مثل تلك الأضرار, و هذا التناقض القائم في الوقت الحاضر بين الرغبة في حماية البيئة و إستدامتها و تمويل ألشركات و البرامج ألمدمرة للبيئة في الوقت نفسه هو الذي يفسر سبب الحاجة الماسة لتطوير نسق جديد مستدام يتطلب إحداث تغييرات ثقافية و اسعة فضلاً عن إصلاحات زراعية و صناعية و أقتصادية.

لكن كيف يتمّ ذلك و العالم كلّه يُسيطر عليه تقريباً تلك المنظمة الأقتصادية ألأرهابية الظالمة ألتي تتحكم بكل شيئ لتأمين منافعهم حتّى لو تمّ تدمير ستّة مليار من البشر كما يتوقعون ذلك لأجل أن يعيشوا هم و خدمهم و

عبيدهم في الرّفاه و ا لبذخ!

ألخطة ألخمسية ألتنموية لوزارة ألتّخطيط (نموذج):

بعد مضي ما يقرب من ثمان سنوات على سقوط ألنّظام ألعراقيّ في بداية 2003م قدّمتْ وزارة ألتخطيط و بعد صرف المليارات من الدولارات عام 2009م و قبلها؛ دراسة لواقع ألتنمية ألعراقيّة كخطة خمسيّة, مُكوّنة من إثنا عشرَ فصلاً و موقّعة من قبل وزير ألتخطيط و معاونه للشؤون ألفنيّة و رئيس ألّلجنة ألفنيّة لأعداد ألخطّة(6) هذا بمشاركة جميع المؤسسات و آلوزارات العراقية, و بعد إطلاعنا على تفاصيل تلك الخطة وقفنا على عدّة نقاط و مؤآخذات سنعرضها على أمل تلافيها في الخطط القادمة, و أن كانت آلخطّة لم تُفعل إلى آلآن بسبب آلتناحر و الصراعات ألسياسية ألّتي وصلت إلى طريق مسدود.

مؤآخذات عامّة على ألخطّة ألخمسيّة للتّنمية ألوطنيّة ألعراقيّة:

ألخطة ألخمسيّة للتّنمية ألوطنيّة ألتي أعدتها وزارة ألتخطيط ألعراقيّة لعام 2010 - 2014 كانت مبعثاً للحزن و خيبة الأمل بآلنسبة لي لأسباب عامّـة و خاصّة.

أولاً: ألملاحظات ألعامة:

بعد جهودٍ مشتركة و تحضيرات و مقدمات و مخصّصات كبيرة و كثيرة و لعدّة شهور قدّمتْ وزارة ألتخطيط في بغداد دراسة تفصيلية مكونة من 170صفحة صرفتْ عليها مئات الملايين من الدولارات تضمّ إثنا عشر فصلاً شملتْ مختلف المجالات(7).

و رغم واقعيّة ألكثير من آلمعلومات ألّتي وردتْ فيها؛ إلّا أنّ ألحلول ألمقترحة لم تكنْ واضحة و كافية و علميّة و عمليّة, بلْ تركّزت و إختصرتْ بعبارات عامّة مُموهة مثلْ؛ تكوين ألّلجان, دعم ألقطاعات, إيجاد ألخطط, و غيرها من آلعبارات ألأنشائيّة و آلتّوصيات ألعامّة, و إليكم أهمّ ألملاحظات ألرّئيسيّة حولَ تلك آلخُطّة:

* ألتركيز بتفائل على صعود إنتاج ألنّفط ليصل إلى 20 مليون برميل بحلول عام 2025 م! ممّا يعني تخريب مصير ألأجيال ألقادمة بسبب فقدان ألبدائل ألعمليّة ألمُمكنة و نضوب النفط، بآلأضافة إلى عدم رعاية برنامج ألتنميّة ألمستدامة عبر إستخدام ألتكنولوجيا ألصديقة للبيئة.

* طغيان طابع آلكشف و آلأشارة على نسق ألخطة و طرق ألمعالجات، كما أنّها لم تكن شاملة لجميع ألحقائق و آلثّروات و لِما هو كائن .. بلْ طغى عليها جانب ألتّراكم و آلأنشاء!

* لم تكن ألخطة ألمُقدمة ألّتي صُرفتْ عليها عشرات ألملايين من آلدّولارات من قبل وزير ألتخطيط و فريقه ألكبير؛ واضحة ألمعالم كي يتمّ تبنّيها عمليّاً من قبل رئاسة ألوزراء و معها ألوزارات ألمختصّة كآلنّفط و آلصّناعة و آلكهرباء و آلتربية و آلصّحة و الأعمار و آلبيئة.

* لم تُذكر ألدّراسة جذور و أسباب ألتخلف و آلتّخريب ألأقتصاديّ و أضرار آلمواجهات ألسّياسية و آلأمنيّة بين آلكيانات، بسبب فقدان ألدّارسين لها إلى آلولاية، و لذلك كانت توجّهات ألدّراسة لمنافع "ألمنظمة

ألأقتصاديّة ألعالميّة" خصوصاً في إنتاج ألنّفط!

* عدم ألنظر في آلفوارق ألكبرى بين حقوق طبقة (ألمسؤوليين) و آلعمال و آلّتي سبّبت بَعْثَ رُوح ألتّمرد و آلأستغلال و عدم إبْداع و إخلاص ألعامل في أدائه من جهة آلمُهمات و آلوظائف ألموكولة إليه للبناء و آلأنتاج و إعمار ألوطن بسبب تلك آلفوارق ألظالمة، ألّتي تُحَسّسه بآلظلم على آلدّوام, بلْ أنّ آلأمتيازات ألكبيرة للمسؤولين جَعَلت آلنّاسَ و على رأسهم ألكتل ألسّياسية نفسها بإستغلال كافة ألطرق ألمشروعة و غير ألمشروعة (ألقانونية و غير ألقانونية) في آلصّراع على كرسيّ ألحُكم و آلتّسلّط على آلناس من دون ألنظر لمصلحة ألوطن و آلمواطن و آلأنسانية، ممّا أدى إلى إستمرار تفاقم ألأوضاع ألسّياسية و آلأمنية و آلأقتصادية و بآلتّالي ألتنمويّة ألّتي لم تعدّ تهمّ ألمسؤولين ..لأنّهم لم يكونوا مسؤوليين عقائديين من آلأساس!

* عدم تبني ألخطط و آلبرامج ألعمليّة لخلق صناعات تحويليّة و بديلة أو صناعات تتعلّق بآلمنتوجات ألنفطية بشكل خاص على آلأقل؟

* عدم وجود ألبرامج ألتّوسعيّة في ألخُطة لتنويع مصادر ألدّخل ألقوميّ، بل ركّزتْ ألدّراسة على إيرادات ألنّفط ألذي سينفذ سريعا في ربع قرن بحسب ألخطة نفسها، ممّا يُعَرّضْ حياة ألأجيال ألقادمة في آلعراق و في آلعالم إلى آلدّمار و آلخطر ألحقيقيّ! لعدم ألتركيز على آلبدائل ألأخرى للطاقة عمليّاً أو إيجاد ألصّناعات ذات ألعلاقة، فكما هو معلوم فأنّ آلصّناعات ألتحويليّة ألنفطيّة وصلت إلى أكثر من ستين صناعة في آلعالم، لكنّ آلعراق و معظم ألدّول ألنّفطيّة خصوصاً ألخليجيّة لا تستطيع تصنيع و إنتاج سوى ثلاث أو أربع منتوج منه بإستثناء إيران !

أن إستمرار آلوضع بحسب تلك ألخطة سيجعل ألعراق يُواجه ألفقر و آلتبعيّة إلى آلأبد .. أو على آلأقل سيستمر واقع ألمستوى ألأجتماعي و آلسياسي ألحالي و آلذي يرثى له لأزمان أخرى .. هذا أذا لم يتحوّل نحو آلأسوء!

فمستويات ألفقر و آلأميّة إستمرت بمعدّلات عالية، خصوصاً في آلمحافظات ألوسطى، حيث بلغ معدل آلذين يعيشون تحت خط ألفقر 34٪، و آلأميّة إلى نسبة أعلى، منها و 34٪ في محافظة ألمثنى، ألعمارة 30،2٪، دهوك 41٪ و هكذا.
عدم تبني ألخطط و آلبرامج ألعملية لخلق صناعات تحويلية و بديلة أو صناعات تتعلق بآلمنتوجات ألنفطية بشكل خاص على آلأقل؟

* آلتّخريب ألبعثيّ كانَ عميقاً في العراق .. فلا بُدّ من إتباع سياسات معاكسة لها لنجاة الأمة ألتي تعاني فيها مادياً و معنوياً, حيث بيّنت الأحصاآت بأنّ أكثر من 90% من آلعراقين مرضى نفسياً و في مقدّمتهم ألمسؤوليين!
* تنوع مشارب ألسّياسيين و سطحيّة تفكيرهم و آلعُقد ألتأريخيّة و آلحزبيّة و آلضغوط ألواقعيّة و ضمور ألأيمان بآلله و بآلوطن و عدم وجود ألمرجعيّة ألصّالحة لقيادة ألأمّة فيها و هذا هو آلأصل ألأهمّ من بين كلّ ألأصول ألّتي سبّبتْ ألمحن و آلمآسي و آلتّخلف آلعلميّ و آلحضاريّ ألذي نواجهه الآن!هذا بآلأضافة إلى أنّ آلأساسُ ألعاشر لنظريّة ألمعرفة تضمّ دراساتٍ حول مصادر ألثّروة في آلعراق و كيفيّة إدارتها و إنتاجها و صيانتها عبر آلتنمية ألمُستدامة!

* طغيان طابع آلكشف و آلتقرير ألمُجمل على نسق ألخطة عموماً خصوصاً في مسألة طرح الحلول و

آلمعالجات ، هذا بغض آلنظر عن آلنواقص, حيث لم تكن شاملة و متكاملة لجميع ألحقائق و آلوقائع و ما هو كائن .. بل طغى عليها – على الخطة - جانب ألتراكم و آلأنشاء!

* لم تكن ألخطة ألمُقدمة من وزير ألتّخطيط و فريقه آلكبير واضحة ألمعالم كي يتمّ تبنّيها مباشرةً و بشكلٍ عمليّ من قبل رئاسة ألوزراء و معها ألوزارات ألمُختصّة كآلنّفط و آلصّناعة و آلكهرباء و آلتّربية و آلصّحة و آلأعمار و آلبيئة.

* لم تذكر ألدّراسة جذور أسباب ألتخلف و آلتّخريب ألأقتصاديّ، بسبب فقدان ألدّارسين لها إلى آلولاية، و لذلك كانت توجهات الدراسة تصب لمنافع ألحاكمين و ألمنظمة الأقتصاديّة العالميّة خصوصاً في مسألة إنتاج ألنفط!

* عدم وجود ألبرامج ألتّوسعيّة في تلك ألخطة لتنويع مصادر ألدّخل ألقوميّ، بل ركّزت ألدّراسة على إيرادات ألنّفط ألذي سينفذ خلال ربع قرن بحسب ألخطة نفسها، ممّا يُعَرّض حياة ألأجيال ألقادمة في آلعراق و في آلعالم إلى آلدّمار و آلخطر ألحقيقيّ! لعدم ألتركيز على آلبدائل ألأخرى للطاقة عمليّاً أو آلصّناعات ذات ألعلاقة، فكما هو معلوم فأنّ آلصّناعات ألتحويليّة ألنفطيّة وصلت إلى أكثر من ستين صناعة في بعض ألدّول، لكنّ آلعراق و مُعظم ألدّول ألنفطيّة خصوصاً ألخليجيّة لا تستطيع تصنيع سوى ثلاثة أو أربعة منتوجاتٍ نفطيّة بإستثناء إيران !

* ألتأكيد على ثقافة و منهج أللامركزية في آلحكم و آلتأكيد على آلمزيد من مشاركة ألمواطنين في صناعة ألقرار على آلصّعيد ألسّياسي و آلأداريّ(8), و هذا من شأنهِ توسيع نطاق آلشّدّ و الأطلاق و إنفلات ألضّوابط ألأداريّة و بآلتّالي ضعف ألنّظام السياسي و الأداري و إرباكهما, خصوصاً في هذا آلظرف ألأنتقالي ألذي إشتدّتْ فيه ألتجاذبات ألسّياسيّة و الأداريّة و آلأمنية, كما أنّ آلثّقافة ألعراقيّة أساساً لا تستوعب ألحريّة في تلك آلأبعاد و آلمساحات ألتي إعتبرها لزمنٍ طويل و عبر آلأجيال من آلمهام ألحكوميّة!

لا بُدّ مِنْ نظامٍ سياسيٍّ و إداريٍّ واضح و مُنتخب يُحدّدُ فيه كلّ ألخُطط و آلمناهج ألسّتراتيجيّة و طرق تنفيذها خصوصاً في آلجانب ألتنموي ألزّراعي و آلصّناعي ألذي يجب أنْ يتحدّدَ من خلالهما جميع ألجّوانب ألأخرى ألسّوقية و آلأداريّة و آلماليّة و المناهج التربويّة و التعليميّة, هذا مع إشراف قائد إلهي تقيّ مجتهد ورع يخاف آلله لترشيد ألعمليات ألأساسية و آلمحورية لتجنب إستغلال حقوق ألنّاس من قبل ألقوى آلكبرى بتوجيه ألمنظمة ألأقتصاديّة ألعالميّة لتأمين سعادة ألمجتمع و كرامتهِ و لمنع الأستغلال و آلظلم داخليّاً و خارجيّاً.

فمستويات ألفقر و آلأميّة إستمرّت بمعدّلات عالية، خصوصاً في آلمحافظات ألوسطى، حيث بلغ مُعدّل آلذين يعيشون تحتَ خط ألفقر 34٪، و آلأمية إلى نسبة أعلى؛ منها و 34٪ في محافظة ألمثنى؛ ألعمارة 30،2٪؛ دهوك 41٪ و هكذا, على الرّغم من وجود أكثر من 720 ألف كادر يعملون في مجال ألتربية, بآلأضافة إلى أكثر من سبعة ملايين موظف و عامل في الدولة .. و هي نسبة عالية جدّاً!

* آلدّراسة و على آلرّغم من كلّ ألعيوب و آلنّواقص ألفنيّة و آلعلمية و آلعقائديّة بسبب ألمرجعيآت ألفكرية لمقرّريها؛ قد بيّنَتْ من آلجانب ألمعلوماتي مواضيع و أرقام متنوعة بشأن ألثروات و حقائق ألواقع و إنْ لم تكن متكاملة، و هذا هو مستوى و وضع ألعراق ألحالي, ألذي يعاني فيه المواطن عموماً من الفقر و الجهل و الأمية و نقص الخدمات و الأتكالية على الراتب الحكومي فقط؛ هذا رغم إحتواء العراق على ثروات هائلة و أمكانيات عديدة، حيث أنّ آلتّخريب ألبعثيّ كانَ عميقاً في الشخصية العراقية .. أُضيفَ له تنوع مشارب

ألسّياسيين ألجّدد و ولاآتهم و سطحيّة تفكيرهم و عدم إنسجامهم و آلعُقد ألتأريخيّة و آلحزبيّة و ضمور ألأيمان بآلله و بآلوطن و عدم وجود ألمرجعيّة ألصّالحة لقيادة وتوحيد الأمة فيها؛ كلّ ذلك سبّبتْ ألمحن و آلمآسي و آلتّخلف العلميّ و آلحضاريّ ألذي واجهناه و نواجهه إلى الآن!

أنّ إستمرار آلوضع بحسب تلك ألخطة سيجعل ألعراق في مواجهة دائمة مع آلفوضى و آلتّشتتْ و ألفقر و آلتبعيّة إلى آلأبد .. أو على آلأقل سيستمر ألواقع ألحالي و آلذي يُرثى لهُ .. لأزمانٍ أخرى .. هذا أذا لم يتحوّل نحو آلأسوء!

ثانياً: آلمُلاحظات ألجّوهريّة:

أهمّ ألنّقاط ألجّوهريّة ألّتي لاحظناها في آلدّراسة (ألخطة) بعد آلتعمق في أبعادها .. هي؛

* فقدان ألمبادئ ألفلسفية ألعقائدية كقاعدة يتمّ من خلالها تقرير ألأوضاع و آلخطط ألخمسيّة أو ألعشريّة او ألعشرينيّة أو ألخمسينيّة(9), و كذلك عدم ألأهتمام بمسألة ألتنمية ألمُستدامة ألأستراتيجيّة, بلْ ألعكس ركّزت و تفاءَلتْ ألدّراسة و دَعمتْ برنامج صعود معدل إنتاج ألنّفط ليصل إلى 20 مليون برميل بحلول عام 2025م! ممّا يعني توجيه ضربة مؤلمة لمصير ألأجيال ألقادمة من دون طرح ألبدائل ألعمليّة ألممكنة بآلأضافة إلى عدم رعاية برنامج ألتنمية ألمُستدامة في هذا آلحقل ألذي يُعتبر الأهم من بين مصادر ألثروة في العراق.

* آلأقتصار على إيراد ألطروحات ألعامّة بشأن وسائل تحقيق ألهدف, بقولهم؛ تبنّي مشاريع إستثماريّة؛ أو وضع نظام لتقييم ألأثر ألبيئي؛ تعزيز ألتعاون ألدّولي؛ عقد ألأتفاقيات؛ ألأنضمام إلى ألأحلاف و آلمُؤسّسات ألدّولية؛ وضع نظام متكامل؛ إستخدام ألتقنيات ألصّديقة؛ حلّ مشكلة ألفقر, بَيْدَ أنّ تلك آلفقرات ألعامة تمويهية مُضلّلة بحاجة إلى آلكثير من آلتوضيحات ألتي كان يمكن درجها بعد بحثها و آلتحقيق فيها من خلال الملاحق الخاصة بكل فقرة .. و من أهمّ ألنّقاط ألجّوهريّة ألأخرى هي:

* لم تكن ألدّراسة(ألخطة) واضحة ألمعالم محددة الجوانب خصوصاً في الكلفة و المخصصات و المدد ألزّمنية للمشاريع كي يتمّ تبنّيها و دعمها مُباشرةً و بشكلٍ عمليّ من قبل رئاسة ألوزراء و بآلتالي فرضها على ألوزارات ألهامّة و آلمُختصّة كآلنّفط و آلصّناعة و آلتربية و آلصّحة و آلأعمار و آلبيئة بحسب ألأولوية.

عدم وجود ألبرامج ألتوسعية في تلك الخطة لتنويع مصادر الدخل القومي, بل ركزت الدراسة على إيرادات النفط ألذي هو آلآخر سينفذ سريعاً خلال أقل من ربع قرن بحسب الخطة نفسها, ممّا يُعرّض حياة الأجيال القادمة في العراق و في العالم للخطر المبين, وعدم بيان أهميّة ألتنمية ألمُستدامة, حيث كان آلمفروض أن تركز الدّراسة على أهميّة البرامج التنموية المستدامة ألقوية منها و الضعيفة, و لهذا نراها وجّهتْ الأنظار إلى ضرورة رفع إنتاج النفط إلى 20مليون برميل مع حلول عام 2025م, من دون النظر إلى عواقب و أخطار تلك الخطة ألأنتحارية, هذا مع عدم ألتركيز على البدائل الأخرى للطاقة أو حتى آلصناعات ذات العلاقة, فكما هو معلوم بأن الصناعات الأستخراجية النفطية وصلت إلى أكثر من ستين صناعة, لكن العراق لا ينتج منه سوى ثلاث أو أربع منتوجات فقط!

* رغم إعتراف ألمُعدّين للخطة بوجود عددٍ كبيرٍ من آلفقراء في آلعراق, حيث يعيش 34% من آلشعب العراقي تحت خط ألفقر, إلّا أنّهم لم يضعوا خطط عمليّة ناجحة للتّخفيف عن معاناتهم و حلّ مشاكلهم من آلجذور, سوى إشارات عامّة بتوفير ألمرافق ألصّحيّة و آلمدارس و آلرّوضات و آلمستشفيات و فرص ألعمل,

و هنا تكمن آلمشكلة, فمن أين تأتي فرص ألعمل و هم أساساً لم يُبَيّنوا ألخطط و آلبرامج ألعمليّة لخلق صناعات تحويليّة, أو صناعات تتعلق بآلمنتوجات ألنفطيّة بشكل خاص و التي أشرنا لها آنفاً, هذا بجانب محنة الرّواتب و المخصصات و الحقوق و الفوارق الكبرى ألظالمة بين الموظف و المسؤول و الرئيس!؟

* ألتأكيد من خلال توجّهات عديدة في ثنايا آلخطة للسّير طبقاً لسياسات ألمنظمة الأقتصاديّة العالمية, و آلتي لا تأخذُ بنظر الأعتبار سوى مصالحها بآلدرجة الأولى .. ثم مصالح الحاكمين المنفذين لخططهم .. و إذا بقي شيئاً فقد يشمّه آلباقين, هذا مع خطة سريّة خبيثة جداً تقضي بآلقضاء على ستة مليار إنسان بأساليب متطورة لتخلوا آلأرض و ما عليها لهم فقط.

* ألنّقطة ألجّوهريّة ألأبرز على تلك الخطة؛ يمكننا تحديدها بعدم تأكيد ألدّراسة على بيان و دعم و تمويل ألنشاط و آلبحث ألعلمي و رعاية العلماء و آلباحثين بحسب ألأولويات و من خلال توفير ميزانيات خاصة و جيدة مع أهتمام خاص من قبل مسؤولي ألخط ألأوّل في آلحكومة لتنفيذ تلك آلمشاريع ألأهم في عمليّة ألتنميّة, هذا بآلأضافة إلى وضع آلية واسعة و كفوءة لدعم و رفع كفاءة ألمراكز ألتحقيقيّة و آلبحوث ألعلميّة و آلتنسيق فيما بينها طبقاً لحاجات ألبلد ألصناعيّة و الزّراعيّة.

* عدم إيجاد ألبدائل ألعمليّة لعلاج ألأنخفاض في آلصّناعات ألتحويليّة لغاية عام 2008م, إلى آلصفر تقريباً. هذا بعد أن كانتْ قد وصلت إلى 6% عام 1979م رغم الفساد و الظلم البعثي, و إلى 13,9%عام 1988م, ثم إنخفظتْ إلى 3,8%عام 1990م, و إستمرت بآلتراجع إلى 1,5% عام 2001م, هذا على الرّغم من أنّ عدد العاملين في هذا المجال بلغ أكثر من 200 ألف عامل(10) لكن من دون إنتاج حقيقي!

أهمّ ألموارد ألطبيعيّة و مناطقها في آلعراق:

تتوفّر في آلعراق خامات مُتنوّعة وذات مصادر جيولوجيّة مُتعدّدة وهي في أغلبها ذات توزيع جغرافيّ واسع يُتيح للصّناعة قدر من المرونة في اختيار المواقع وهناك الكثير من هذه الخامات مازالت غير مستغلة بشكل امثل.

ألنّفط

:

يُقدّر ألأحتياطيّ ألنّفطيّ ألمؤكّد في آلعراق بـ (115) مليار برميل، كما أنّ آلأحتياطيّ ألنّفطيّ غير ألمُكتشف أكثر بكثير من آلمُثبّت، و يُعَدّ بذلك ثاني إحتياطيّ في آلعالم بعد ألمملكة ألعربيّة ألسّعوديّة. و تشير بعض ألتقديرات الى أنّ آلأحتياطيّ ألنفطي ألعراقيّ يصلُ الى300 مليار برميل.

ألغاز ألطّبيعيّ:

بلغت إحتياطيّات ألغاز ألعراقيّ ألمؤكدة نحو 112 تريليون قدم مكعّب، و هو بهذا يمتلك 1،8% من آلاحتياطيّ ألعالميّ ألمؤكّد للغاز ألطبيعيّ.

ألكبريت:

تعتبر حقول كبريت ألمشراق في محافظة نينوى ألأكبر من نوعها في آلعالم من ناحية ألاحتياطيّ ألمثبت

ويوجد مصدر اخر للكبريت في العراق ناتج من تحلية الغاز المصاحب للنفط ويعتبر الكبريت احد مصادر المواد الاولية للصناعات الكيمياوية في العالم ويستعمل في العراق لانتاج حامض الكبريتيك والاسمدة الفوسفاتية والكبريت الزراعي.

ألفوسفات:

يأتي ألعراق بالمرتبة ألثّانية في إحتياطيّات الخامات الفوسفاتيّة على مستوى العالم و توجد هذه الخامات في منطقة عكاشات في محافظة الانبار، الخامات الفوسفاتيّة العراقيّة ذات نوعيّة متوسطة من ناحية المحتوى من آلفوسفور و تحتاج الى عمليّات تركيز لاستعمالها صناعياً.

ألحديد ألرّسوبيّ:

تعتبر خامات ألحديد ألرّسوبيّة الأصل في الصحراء الغربية في محافظة الانبار وهذه الخامات فقيرة المحتوى لوجود العديد من الشوائب الرملية والطينية وتحتاج الى تركيز لاستخلاص المعادن الحديدية منها لغرض الاستعمال في صناعة الحديد والصلب الا انها تستعمل في الوقت الحاضر في صناعة الاسمنت المقاوم.

أطيان ألكاؤولين:

ألعراق من آلدّول ألغنيّة جدّاً باطيان ألكاؤولين ألملوّن و آلأبيض و تتركّز هذه ألأطيان في آلصّحراء ألغربيّة و تستعمل هذه ألأطيان في صناعة ألأسمنت الأبيض و السيراميك و الحراريات و العوازل الكهربائية و المرشحات الفخاريّة و بوادق صهر المعادن.

ألبوكسايت
:
من الخامات ألمعدنيّة ألّتي أُكْتشفت حديثاً في آلعراق في آلصّحراء ألغربيّة و نوعيته تصلح لإنتاج ألطابوق ألحراريّ.

حجر ألكلس:

من الصخور الواسعة الانتشار في العراق في مناطق حوض الفرات والصحراء الغربية ويستعمل في صناعة الاسمنت بصورة اساسية والورق والحديد والصلب والزجاج والصناعات المطاطية.

حجر ألدّولومايت:

يكثر في آلصّحراء ألغربيّة و يستخدم في انتاج الطابوق الحراري ألمغنيسي و انتاج ألمغنيسيا و كذلك صناعة ألزّجاج و الحديد ألصّلب.

رمال ألسّليكا و آلكوارتزايت

يكثر في آلصّحراء الغربيّة و يستعمل في صناعة ألزّجاج و السيراميك و الحراريات إلّا أنّه يستعمل في

العراق في انتاج مطحون ألسّيليكا لأغراض ألحفر ألنّفطي أمّا الكوارتزايت فيستعمل حالياً في صنع البِطانات الحامضيّة للمصاهر و الأفران.

ألجبس:

و يكثر في وسط و شمال ألعراق و يستعمل في صناعة ألجّص و بقدر أقلّ في صناعة ألأسمنت.

ألحصى و آلرّمال:

يمثل موقع النباعي أهمّ مواقع وجود الحصى, في حين تتركّز ألرّمال في كربلاء و تستعمل في انتاج الخرسانة و القواعد التحتية للطرق في حين يُستخدم ألرّمل لانتاج ألثرمستون و الطابوق الجيري و الاستخدامات الانشائية ألأخرى.

ختاماً لا بُدّ من كلمة أخيرة بشأن ألموارد و القوى ألبشريّة ألمكتضّة و آلعاملة في آلوزارات و مرافق ألدّولة ألعراقيّة, فإنّ تلك ألأعداد ألغفيرة كارثة قد أثقلتْ كاهل البلد و المواطنين الفقراء, حيث أن قطاع ألتعليم و التربية تضمّ بحدود 720 ألف موظف و عامل و معلم و كادر, لكن عمل أكثر هؤلاء سطحي و غير مثمر و لعلّ إتباع إدارة جديدة و خطة نافعة يمكننا تقليص آلعدد إلى آلنّصف على الأقل, و بذلك نوفر ميزانية ضخمة يمكن إستغلالها في مشاريع خدمية و منتجة!

و من خلال عرضنا المفصل للخطة و بناءاً على آلمؤشرات ألتي وردتْ في هذا الأساس؛ فأنّ أسّ ألأساسات في نظريّة المعرفة هي القيادة ألمرجعيّة ألتي تشرف من فوق طبقاً للقوانين الألهية على سير الأمور لكونها صمام ألأمان ألذي يُحدّد و يُقرّر سلامة و صحة إجراء الأحكام و القرارات ألكليّة في شؤون و مجالات ألحياة ألأجتماعية و آلسّياسية و آلاداريّة و آلعلميّة ألمختلفة, و لأنّنا مُسلمون و نُؤمن بكون ألأسلام هو آلدّين ألأكمل ألذي قرّرهُ آلباري تعالى ليكون نظاماً للبشريّة إلى يوم الدّين .. و بما أنّ التّجارب ألتأريخيّة و المعاصرة أثبتَتْ بطلان ألحكومات ألوضعية و ظلمها و فسادها- بإستثناء حكومة الأمام علي(ع) بحسب تقرير مجموعة من الأخصائيين في هيئة الأمم المتحدة بكونه أفضل نظام عادل للحكم على الأطلاق(11), لذلك فأنّ المدرسة العلويّة ألّتي تقودها اليوم دولة ولاية ألفقيه – أيّ ولاية مرجع ألدّين – ألذي يعرف الحلال و الحرام و الخير و الشر و آلحدود و الأحكام؛ هي أفضل من غيرها من آلأنظمة القائمة, لكونها تحكم طبقاً لمبادئ الأسلام؛ لذلك كان حرّياً بنا أن نعرض نصوص و تفاصيل تلك آلتجربة كأساسٍ عمليّ لنظريتنا ألمعرفيّة, هذا بعد عرضنا للأدارة ألسّتراتيجيّة لإستغلال ألثروات ألطبيعيّة تحت ظلّ ألقيادة الربانيّة ألعلويّة ألمتمثلة بآلدّولة الأسلاميّة المُعاصرة إن شاء الله.

---

(1) Ecopolitics

و قد عرّفه جيوماريز على أنّها دراسة ألأنساق ألسّياسية من منظور بيئي, و يعني أنّ آلألمام بعلم ألطّبيعة يُعتبر بنفس أهميّة ألألمام بآلعلوم الأجتماعيّة و آلثقافيّة و السّياسية عند دراسة ألأنساق ألأيكولوجيّة و قدراتها.

(2) Development without Distruction.

(3) Earth Summith.

(4) يُعتبر بنك ألقرض ألدولي إحدى الوسائل الأستعمارية ألهدّامة لتطلعات الشعوب و آلحكومات الوطنية إن وجدت أحياناً .. عبر تقديم القروض للدول المحتاجة أو تلك التي تمرّ بأزمات معينة بأساليب شتّى, حيث تُرغّب ألبنك الدولي للتّقريض بكلّ ألوسائل ألمُمكنة لتبقى ألدولة الدائنة رهينة و تابعة و خاضعة للسياسات التي تُمليها ألمنظمة الأقتصادية العالمية لآماد بعيدة, و كذلك إستنزاف الدول المقترضة بآلتقسيط و الأرباح الكبيرة المترتبة عليها.

للتفاصيل راجع نصّ ألقرارات ألّتي صدَرَتْ بشأن ألبيئة في برنامج ألأمم ألمتحدة لعام1995 (5)(UNDP1995).
http://iq.one.un.org/documents/83/NDP%20final%20-%20arabic.pdf(6)
(7) ضمّتْ ألخطة .. ألفصول ألتّالية:
ألفصل الأول؛ ألأطار الأقتصادي و الأجتماعي للخطة, ألفصل الثاني؛ ألسّكان و القوى العاملة, ألفصل الثالث؛ ألأقتصاد ألكلّي, ألفصل ألرّابع؛ ألقطاع ألمالي و النقدي, ألفصل ألخامس؛ ألزّراعة و آلموارد المائية, ألفصل السادس؛ ألصناعة و الطاقة, ألفصل السابع؛ ألبنى التحتية, ألفصل الثامن؛ ألخدمات ألعامة, ألفصل التاسع؛ ألوضع الأجتماعي, ألفصل العاشر؛ ألتّنمية ألمكانيّة و آلأستدامة ألبيئيّة, ألفصل الحادي عشر؛ ألقطاع الخاص, ألفصل الثاني عشر؛ ألحكومة الرّشيدة. و يمكنكم ألأطلاع على آلتفاصيل الواردة في الفصول من خلال ألرابط:
http://iq.one.un.org/documents/83/NDP%20final%20-%20arabic.pdf
(8) راجع ألخطة الخمسية للتنمية الوطنية العراقية / وزارة التخطيط, ألطاقة و الصناعة, ص84.
(9) ألخطط ألخمسية في بعض الدول كآليابان و ألمانيا و أمريكا و بغض النظر عن غاياتها .. قد وصلت إلى خمسين عاماً, بينما نحن عاجزون من تنظيمها لخمس سنوات بشكل منهجي و علمي صحيح!
(10) راجع آلخطة الخمسية ألوطنية لعام 2010 – 2014م / وزارة التخطيط, فصل الطاقة و الصناعة, ص86.
(11) أصدرت ألأمم ألمتحدة عام 2002م قراراً بكون حكومة الأمام عليّ(ع) أفضل و أعدل حكومة في التاريخ, كما إن كوفي عنان حث الحكومات القائمة بضرورة الاقتداء بأسس و مبادئ تلك الدولة العلوية العادلة, للتفاصيل راجع كتاب: [مستقبلنا بين الدين و الديمقراطية].

.....

ملحق ألأساس ألعاشر:
قوانين ألمناطق ألحُرّة
ألمناطق ألحرّة في آلعراق

نقدم أهم القوانين التي تختص بآلقطاع آلخاص لأهميّة دورها و فاعليتها في تنشيط الأقتصاد الوطني:
اولاً: قانون ألمناطق ألحرّة
يسمح قانون هيئة المناطق الحرة رقم 3 لعام 1998 بالاستثمار في المناطق الحرة -
من خلال المشاريع الصناعية التجارية والخدمية ويعمل هذا القانون بالتوجيهات الصادرة عن ادارة المناطق الحرة و تعليمات تنظيم عمل المستثمر رقم 4 لعام 1999. -
حسب قانون هيئة المناطق الحرة تعفى البضائع المستوردة والمصدرة الى المناطق الحرة من كافة الضرائب والرسوم الا اذا تم توريدها الى داخل المنطقة الكمركية -
تعفى رؤوس الاموال والارباح والدخل الناجم عن الاستثمار في المشاريع فيها من كافة الضرائب والرسوم طيلة حياة ألمشروع وبضمنها مراحل ألتاسيس و البناء -
تقتضي عملية التقديم الخاصة بالمستثمر تقديم طلب ودفع رسم مقداره 100 دولار امريكي الى هيئة المناطق الحرة -

وللعراق اربع مناطق حرة عاملة هي:

المنطقة الحرة في البصرة/ خور الزبير -
المنطقة الحرة في نينوى/ فلفيل -
المنطقة الحرة في الانبار/ القائم -
المنطقة الحرة في السليمانية وتقع في شمال العراق -
ثانياً: مجال شمول القانون
يسمح قانون المناطق الحرة بممارسة الانشطة التالية في المناطق الحرة -:
النشاطات الصناعية (الانتاجية والاستهلاكية)، عمليات التجميع، التصنيع واعادة التعبئة -.
عمليات الخزن – اعادة التصدير والتجارة -.
مشاريع الخزن والخدمات والنقل بكافة انواعه -.
نشاطات العمل المصرفي – التامين واعادة التامين -
النشاطات والخدمات التكميلية والمهنية المساعدة -.

تسجيل ألشّركات في آلعراق

ينظم قانون التجارة رقم 30 لسنة 1984(المواد من 5 الى 15) كافة الفعاليات التي يقوم بها القطاعين العام والخاص العراقيين. وقد عرفت التجارة بانها الفعاليات الاقتصادية التي تهدف الربح سلسلة واسعة من القطاعات متضمنة الاستيراد/التصدير، الصناعات التحويلية، التموين والنقل، التشييد، السياحة، الصيرفة، التأمين، شراء وبيع الاسهم والسندات والمقاولات.
هنالك ثلاث مراحل رئيسية لغرض تسجيل الشركة في العراق وهي:

اولاً: تصنيف طبيعة الشركة

وتقسم الشركات حسب قانون الشركات رقم21لسنة 1997 الى:

أ: الشركات المساهمة – خاصة ومختلطة
- يجب ان يقوم بتأسيس الشركة المساهمة عدد من الاشخاص لا يقل عددهم عن خمسة اشخاص طبيعيين او معنويين كحد ادنى، ويطرحون اسهماً للاكتتاب العام.
- تكون مسؤولية المساهمين عن ديون الشركة بمقدار القيمة الاسمية للاسهم التي يمتلكونها.
- يلزم القانون العراقي بأن تؤسس شركات التأمين واعادة التأمين وشركات الاستثمار المالي على شكل شركات مساهمة(المادة 10منه).
- يجب على المساهمين المؤسسين ان يقوموا بايداع حصتهم في رأسمال الشركة في مصرف مخول في العراق(المادة 28 منه.
- تعمل شركات الاستثمار المالي كوسطاء يستثمرون في الاوراق المالية. ويخضعون لاحكام قانون الشركات شانهم شأن اي شركة مساهمة. الا ان عملياتهم تراقب من قبل البنك المركزي العراقي.

ب: المشروع الفردي
- يمكن تاسيس شركة فردية من قبل شخص طبيعي واحد.
- يتحمل المالك الفردي تبعة شخصية غير محدودة عن جميع التزامات الشركة.
- يطلق على الشركة الفردية في العراق تسمية "مشروع فردي".

ج: الشركات التضامنية
- تؤسس الشركات التضامنية من قبل عدد من المستثمرين يتراوح بين اثنين وخمسة وعشرين شخصا طبيعيا او معنويا.
- يكون للمالكين حصة في راس مال الشركة.

د: الشركات البسيطة
- تؤسس الشركات البسيطة من قبل عدد من المستثمرين بين اثنين وخمسة.
- يساهم كل منهم في راس مال الشركة بحصة نقدية او عينية.
- يتطلب قانون الشركات بان تكون اوراق تاسيس الشركات البسيطة مصدقة لدى كاتب العدل.
- يجب على مالكي الشركة البسيطة ايداع نسخة من وثائق التاسيس متضمنة اسماء المساهمين وعدد اسهمهم لدى دائرة مسجل الشركات العراقية في وزارة التجارة.

هـ: الشركات المحدودة – خاصة او مختلطة
- يشترط قانون الشركات ان لا يقل عدد المؤسسين في الشركات المحدودة عن اثنين ولايزيد على خمسة وعشرين.
- يمكن ان يكون المؤسسون اشخاصا طبيعيين او معنويين، ويكونون مسؤليين عن ديون الشركة بمقدار القيمة الاسمية للاسهم التي يمتلكونها.
- ان الاغلبية العظمى للشركات المسجلة في العراق هي شركات محدودة.
- يجوز تاسيس الشركة المختلطة باتفاق شخص معنوي واحد او اكثر من قطاع الدولة مع شخص واحد او اكثر من غير القطاع المذكور.
- اذا انخفضت مساهمة قطاع الدولة فيها الى اقل من 25% تعتبر شركة خاصة.

ثانياً: اجراءات تسجيل الشركة.

أ-حجز الاسم التجاري من غرفة التجارة المعنية واتحاد الغرف التجارية.
ب-عقد موقع من المؤسسين يبين فيه اسم الشركة ونشاطها ومقدار رأس المال.
ت-ايداع راس مال الشركة بالدينار العراقي لدى مصرف مخول في العراق واشعار مسجل الشركات بذلك..
ث-دفع الرسوم المطلوبة الى مسجل الشركات.
ج-اذا كان الطلب لغرض تاسيس شركة مساهمة فيضاف لما تقدم وثيقة الاكتتاب موقعة من قبل المؤسسين ودراسة الجدوى الاقتصادية للشركة.
ح-تحديد النشاط الاقتصادي والفني للشركة المطلوب تأسيسها على ان يُضمن هذا النشاط في عقد التاسيس.

ح-تعيين مشاور قانوني للشركة (محام) بكتاب من نقابة المحامين.
خ-تعيين محاسب قانوني من نقابة المحاسبين والمدققين.
د-تعيين المدير المفوض.
ذ-بالنسبة للمساهم الاجنبي في الشركة يتطلب استحصال موافقة وزارة الداخلية.

يمكن للشركات المساهمة، المختلطة والخاصة، حصراً اصدار اسهم قابلة للتداول العام. يكتتب المؤسسون في الشركة المساهمة المختلطة بنسب لا تقل عن 30% ولاتزيد على 55 %من راس مالها الاسمي، وتطرح الاسهم الباقية للاكتتاب الاولي على الجمهور خلال 30 يوما من تاريخ الموافقة مسجل الشركات. واذا وجد المسجل ان اوراق التسجيل تضلل المستثمرين يحيل الموضوع الى هيئة الاوراق المالية. وعلى غرار ذلك، يجب على الشركات المساهمة وشركات المسؤولية المحدودة والمشاريع الفردية تسديد راس المال قبل اصدار شهادة التاسيس.

ثالثاً: الوقت المطلوب للتسجيل:

يقدر الوقت الذي يحتاجه المستثمر لاتمام كافة الخطوات المذكورة اعلاه بحوالي:
- شهرين للشركة المساهمة.
- 20- 25 يوما لكافة انواع الشركات الاخرى.

ألبيئة ألأستثماريّة في آلعراق

يمرّ ألأقتصاد ألعراقي بمرحلة إنتقال سريعة .. من اقتصاد مركزيّ الى اقتصاد يعتمد آليات ألسُّوق, يكون للقطاع ألخاصّ فيه دوراً رياديّاً في آلتنمية.

- وقد خطى العراق بعد عام 2003 خطوات مهمة بأتجاه تحفيز دور القطاع الخاص باتجاه اعطائه دور ريادي من خلال مجموعة من الاصلاحات البنيوية والتشريعية أهمها:

اولاً: اصدار قانون الاستثمار رقم 13 لسنة 2006.

- تمت المصادقة على قانون الاستثمار رقم 13 لسنة 2006 من قبل مجلس النواب العراقي في تشرين الاول من عام 2006 واصبح نافذ المفعول اعتباراً من 17 كانون الثاني 2007.
- تشكلت بموجبه الهيئة الوطنية للأستثمار وهيئات الاستثمار في المحافظات
- ويخضع لأحكام هذا القانون المشاريع الاستثمارية في القطاعين الخاص والمختلط.
- استثنى القانون المذكور في مجال استخراج وانتاج النفط والغاز والاستثمار في قطاعي المصارف وشركات التأمين.
- حدد نظام الاستثمار رقم (2) لسنة 2009 الحد الادنى لراس مال المشاريع المشمولة بهذا القانون بـ (250000) دولار.
- وينظم هذا القانون آليات عمل الاستثمارات المحلية والاجنبية في العراق من خلال :

أ. تشكيل الهيئة الوطنية للأستثمار:

- تتولى هذه الهيئة رسم السياسات الوطنية للأستثمار ووضع الخطط والانظمة والضوابط لها ومراقبة تطبيق هذه الضوابط والتعليمات في مجال الاستثمار وتختص بها المشاريع الاستثمارية الاستراتيجية ذات الطابع الاتحادي
- وتتكون من اربعة دوائر رئيسية هي:
  - الدائرة القانونية والادارية
  - الدائرة الاقتصادية
  - دائرة الترويج والاعلام
  - دائرة النافذة الواحدة والمختصة بمنح التراخيص الاستثمارية .
- أما مهمام و مسؤولية تلك الدوائر فهي:
  - وضع الاستراتيجية الاستثمارية الوطنية و السياسات التي تحكم المشاريع الاستثمارية.
  - وضع الخطط والتشريعات لتطبيق تلك السياسات.
  - متابعة تطبيق تلك التشريعات.
  - الاشراف على المشاريع الاستراتيجية.

ب. المشاريع الاستراتيجية:

- حدد نظام الاستثمار رقم (2) لسنة 2009 المشاريع الاستراتيجية وهي التي تختص بها الهيئة الوطنية للاستثمار وكما مبينة تفاصيلها في الملحق رقم (2).
- وفيما عدا ما ذكر في الملحق (2) من مشاريع فانها تدخل ضمن صلاحيات هيئات الاستثمار في المحافظات

ج. تشكيل هيئات الاستثمار في المحافظات

تمتلك هيئات الاقليم والمحافظات صلاحية منح اجازات الاستثمار، تشجيع الاستثمار، وفتح فروع محلية في المناطق الواقعة ضمن سلطاتها بالتشاور مع الهيئة الوطنية ويجب ان لا تتعارض خطط الاستثمار المحلية مع خطط الاستثمار الاتحادية.

د.المزايا والضمانات

1– اخراج رأس المال الذي تم جلبه للعراق مع عائداته بعملة قابله للتحويل بعد تسديد التزاماته وديونه كافة للحكومة العراقية وسائر الجهات الاخرى.
2- التداول في سوق العراق للاوراق المالية بالاسهم والسندات المدرجة فيه.
3- استئجار الاراضي اللازمة للمشروع او المساطحة للمدة التي يكون فيها المشروع الاستثماري قائماً على ان لا تزيد عن خمسين سنة قابلة للتجديد بموافقة الهيئة وان تراعى في تحديد المدة طبيعة المشروع وجدواه للاقتصاد الوطني.
4- التامين على المشروع الاستثماري لدى اي شركة تامين وطنية او اجنبية يعتبرها ملائمة.
5- فتح حسابات بالعملة العراقية او الاجنبية او كليهما لدى احد المصارف في العراق او خارجه للمشروع المجاز.
6- منح المستثمر الاجنبي والعاملين في المشاريع الاستثمارية من غير العراقيين حق الاقامة في العراق وتسهيل دخوله وخروجه من والى العراق.
7- عدم مصادرة او تاميم المشروع الاستثماري المشمول باحكام هذا القانون كلا او جزءاً باستثناء مايصدر بحقه حكم قضائي بات.
8- للعاملين الفنيين والاداريين غير العراقيين في المشروع ان يحولوا رواتبهم وتعويضاتهم الى خارج العراق وفقا للقانون بعد تسديد التزاماتهم وديونهم تجاه الحكومة العراقية وسائر الجهات الاخرى.
9- اي تعديل لهذا القانون لا يترتب عليه اي أثر رجعي يمس الضمانات والاعفاءات والحقوق المقررة بموجبه.

هـ- الإعفاءات:

1- يتمتع المشروع الحاصل على اجازة الاستثمار من الهيئة بالاعفاء من الضرائب والرسوم لمدة عشر سنوات من تاريخ بدء التشغيل التجاري.
2- للهيئة الوطنية زيادة عدد سني الاعفاء من الضرائب والرسوم يتناسب بشكل طردي مع زيادة نسبة مشاركة المستثمر العراقي في المشروع لتصل الى خمسة عشر سنة اذا كانت نسبة شراكة المستثمر العراقي في المشروع اكثر من 50%.
3- إعفاء الموجودات المستوردة لاغراض المشروع الاستثماري من الرسوم على ان يتم ادخالها الى العراق خلال ثلاث سنوات من تاريخ منح الاجازة.
4- منح مشاريع الفنادق والمؤسسات السياحية والمستشفيات والمؤسسات الصحية ومراكز التأهيل والمؤسسات التربوية والعلمية اعفاءات اضافية من رسوم استيراد الاثاث والمفروشات واللوازم لاغراض التحديث والتجديد مرة كل اربع سنوات في الاقل على ان يتم ادخالها الى العراق او استعمالها في المشروع خلال ثلاث سنوات من تاريخ صدور قرار الهيئة بالموافقة على قوائم الاستيراد وكمياتها وبشرط ان لا يتم استخدامها لغير الاغراض المستوردة من اجلها.

و- التزامات المستثمر:

- اشعار الهيئة عن تاريخ بدء التشغيل التجاري في المشروع .
- مسك حسابات اصولية يدققها محاسب قانوني مجاز.
- تقديم دراسات جدوى اقتصادية وفنية مع جميع الخرائط المتعلقة بالمشروع
- مسك سجلات خاصة بالمواد المستوردة، والمحافظة على سلامة البيئة والالتزام بانظمة السيطرة النوعية.
- الالتزام بالقوانين العراقية وتطابق جداول العمل المقدمة من قبل المستثمرين

ز- اجراءات منح اجازة الاستثمار وتأسيس المشاريع:

- تتولى دائرة النافذة الواحدة في الهيئة عملية اصدار اجازة الاستثمار وفقا للخطوات الاتية:
1. تقديم طلب من المستثمر الى الهيئة يبين رغبته بالاستثمار والمجال المراد الاستثمار فيه.
2. ملئ استمارة طلب الاجازة والتي يمكن الحصول عليها من الهيئة مباشرة او من الموقع الالكتروني لها www.investpromo.gov.iq.
3. كفاءة مالية من مصرف معتمد.
4. تفاصيل المشروع المراد الاستثمار فيه وجدواه الاقتصادية.
5. جدول زمني لانجاز المشروع.
- وتقوم الهيئة بانجاز اجازة الاستثمار في مدة زمنية لا تتجاوز 45يوما من تاريخ تقديم الطلب اليها بعد الحصول على موافقة الجهات القطاعية ذات العلاقة بالمشروع.

ح- الاستثمار في الاوراق المالية:

- أجاز قانون الاستثمار رقم 13 لسنة 2006 لغير العراقيين التداول بالاسهم والسندات المدرجة في سوق العراق للاوراق المالية، والسماح لهم بتكوين المحافظ الاستثمارية في الاسهم والسندات.
- وقد بدأ سوق العراق للاوراق المالية العمل بنظام التداول الالكتروني الذي سيوفر شفافية كبيرة ويعبد الطريق امام الاستثمارات الاجنبية لدخول السوق.
- بالاضافة الى ذلك تم اعداد مسودة مشروع قانون وتعليمات لهيئة الاوراق المالية.

ثانياً- الاتفاقيات الثنائية و المتعددة الاطراف التي وقعها العراق:

ا- اتفاقيات ضمان وحماية الاستثمارات
- وقع العراق على 9 اتفاقيات متعددة الاطراف ضمن الجامعة العربية فيما يتعلق بتشجيع وحماية الاستثمار.
- الى جانب ذلك وقع العراق على 32 اتفاقية ثنائية دولية.

ب- اتفاقيات التجارة الحرة
- للعراق اتفاقيات تجارة حرة مع كل من (الامارات العربية المتحدة ، عمان، قطر، الجزائر، مصر، الاردن، لبنان، سوريا، تونس، اليمن، السودان).
- كما وقع العراق والولايات المتحدة بتاريخ 11 اب 2005 اتفاقية لتحديد اطار عمل للاستثمار والتجارة كخطوة اولى باتجاه ايجاد تجارة محررة وزيادة التدفق الاستثماري بين الولايات المتحدة والعراق.
- كما اصبح العراق عضواً في وكالة ضمان الاستثمار المتعددة الاطراف (MIGA).
- يشغل العراق حاليا صفة مراقب في منظمة التجارة العالمية.

أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – آلحادي عشر

أساساتُ نظريّة ألمعرفة – ألأساسُ ألحادي عشر

ألخطط ألأستراتيجيّة و كيفيّة إدارتها(*):

مُقدّمة ألخطّة ألأسْتراتيجيّة و إدارتها!

قبل آلبدء بتخطيط و برمجة و إدارة ألخطة ألأستراتيجيّة لتحقيق هدفٍ أو أهدافٍ منظورة مُعيّنةٍ, علينا آلقيام بدراسة جدوى لمعرفة مدى أهمية و ضرورة وأسبقيّة ألأهداف ألتي نريد التوصل إليها, ليتمّ تعينها و إعداد ألخطط و المناهج و آلأمكانات و المقدمات اللازمة للبدء بها حتّى تحقيقها على أرض ألواقع, و لكل دولة بل محافظة و إقليم أولويات في تنفيذ المشاريع!
فدراسة ألجّدوى تُوصلنا إلى تقييم شبه دقيق لمستوى آلأهداف ألمنظورة آلقريبة و آلمتوسطة و آلبعيدة, و تُقرّبنا من آلهدف ألأكبر ألذي حدّد وجود ألأنسان في الأرض عبر سير ألخطط وآلبرامج ألتي يتمّ بيانها و بآلتالي على مدى أهمّيّة و ضرورة ألمشروع و تكاليفه و عواقبه!؟

إنّ آلتخمين ألدّقيق للخطة و أوضاعها يُؤسّس ألمباني ألأستراتيجيّة أيضاً على قواعد بيّنة و قويّة تستحقّ ألتضحية و آلعطاء و الأخلاص و آلإبداع من قبل أبناء ألمجتمع و بآلخصوص من ألعاملين ألمباشرين ضمن نظام حيويّ فعّال لا يحسّ فيه ألجّميع بآلغُبن أو آلظلم بسبب ألفوارق ألطّبقيّة و آلحقوقيّة و آلعنصريّة, ممّأ يكون محفّزاً إضافياً لبناء ألحضارة ألأنسانية.

تُعتبر ألأدارة ألأستراتيجيّة لتنفيذ ألخطة ألأستراتيجيّة في نظريّة ألمعرفة أساساً حيويّاً لتفعيلِ ألموارد ألبشريّة على أفضل وجه و ذلك برفع ألكفاءة و آلجّودة ألأنتاجيّة من آلنّاحية ألكمّيّة و آلنوعيّة و آلجماليّة وآلأقتصاديّة بإتجاه تحقيق ألرّفاه و ألسّعادة في آلمجتمع.

و قد توسّعَ مفهوم ألأدارة ألأستراتيجيّة خلال ألعقود ألأخيرة ليَصْبَحَ فرعاً تخصّصيّاً في آلجّامعات ألعالميّة, لما لهُ من أهميّة كبرى في رفاه ألمجتمع و سعادتهُ, و يشمل أليوم مجالات مختلفة منها؛ تحليل ألوظائف؛ تحديد ألقوانين؛ تخطيط و برمجة ألموارد ألبشريّة؛ جذب و إستقطاب ألموارد ألبشرية؛ تحفيز ألموارد ألبشرية؛ تنمية و تدريب ألموارد ألبشريّة؛ إدارة ألبنوك و إستثمار الأموال.

تعريف ألأدارة الأستراتيجية:

هي ألقدرة على تصميم خطّة مُتكاملة على قاعدة إنسانيّة – كونية بحسب (نظرية المعرفة الكونيّة) تضمن في آلنهاية حقوق و كرامة و سعادة ألأنسان و الأنسانيّة جمعاء في زمن مُعيّنٍ و ميزانيّةٍ مُعيّنةٍ.

و تشمل عمليّة ألأدارة ألأستراتيجية سبعة وظائف مرحليّة رئيسيّة هي:
(1) ألأعداد (2) ألتّخطيط (3) ألتنظيم (4) ألتّوجيه (5) ألتنسيق (6) ألرّقابة (7) ألأدامة.
ملاحظة: يتوسّع تعريف و مفهموم الأدارة ألستّراتيجيّة داخل نظام ألدّولة كَكُل, لتشمل ألعمليّة الأداريّة و آلأقتصاديّة و آلسّياسيّة و آلأمنية برمّتها مع آلياتها و عناصرها و فروعها و وظائفها داخل ألمؤسسات و آلأجهزة ألرّسميّة و آلمُجتمع كَكُل لأنّها عامّة و تشمل مصير مُعظم أبناء ألأمّة, أيّ ألعاملين ألفعليين ضمن

آلخطة ألأداريّة ألأستراتيجيّة أو ألمتعاملين معهم مباشرة أو بشكل غير مباشر مع بقيّة أبناء ألمُجتمع, نظراً لتشابك ألأمور و ترابط آلمصير في هذا آلعصر.
و آلخطّة ألأستراتيجيّة تتبعها تغيّرات واقعيّة, بحيث تُبدّل ألأوضاع ألقديمة ألّتي كانتْ قائمة شكلاً و مضموناً بشيئ جديد و على كلّ صعيد.

ملامح ألخطة ألأستراتيجيّة ألنّاجحة:

- يستند على قاعدة معرفية منبثقة عن ألفلسفة آلكونيّة ألشاملة ألخالدة.
- تشمل مطالب و أهداف جديدة تتناسب مع آلتّغيير و آلتطور ألفكريّ و ألعلميّ و آلتكنولوجيّ.
- تشمل تغييراً جذريّاً للمناهج لرفع مستوى آلتربية و آلتعليم و حقوق ألأنسان بمستوييه ألماديّ و المعنوي.
- إستراتيجيّة خطّة مبنيّة على أساس ألتّطور ألعلميّ و آلتكنولوجي للأستدامة و الحفاظ على البيئة و آلسلامة.
- رفع ألمستوى ألأداري و تنمية القدرات العاملة ليكون منسجماً مع آلتطورات و التّغييرات ألجديدة ألداخلية و آلخارجيّة بإتجاه زيادة و تأمين الحاجات الأساسية للمجتمع و تصدير الفائض لرفاه المجتمعات.
- تهيئة و إعداد آلمستلزمات الكاملة ألتي يجب على الحكومة تسهيلها من قبيل ألمال و الأمكانات و آلكوادر المتخصصة ألأمينة و الكفوءة.
- ألتنسيق ألّلازم مع الجّهات و آلكيانات و آلدّول ذات ألعلاقة.
- مشاركة ألجّميع خصوصاً ألهيآت ألحكومية و آلوزارات ألمُكلّفة بشكلٍ مباشرٍ و غير مباشرٍ لدعم و تنفيذ ألخطة.

مُميّزات ألمراحل ألأداريّة ألأستراتيجيّة ألنّاجحة:

تُعتبر ألأدارة ألأستراتيجيّة قمّة ألهرم ألأداري و صمام الامانّ في آلفكر و آلمتابعة و آلتّنفيذ, و بما أنّ آلفكر ألأسلاميّ يهتمّ بآلبُعد ألفنيّ و العلميّ و الثقافيّ و آلرّوحيّ و آلجّماليّ .. فأنّه فكرٌ إستراتيجي كونيّ مُتكامل, و لعلّ هذا آلتكامل ألمنسجم هو آلمؤشر ألأبرز للخطط ألأستراتيجيّة ألأسلامية بآلقياس مع غيرها من المناهج.

و آلأدارة الأستراتيجيّة؛ مسيرةٌ مُعقدة و مُتعبة, لكنها مُمْتعة في نفس ألوقت لمكانتها و دورها في تطوير وإستمرارية الحياة الأنسانية, و تمرّ عموماً بمراحل معيّنة و تتّصف بخمسةِ مُميّزاتٍ, هي:

1- يجب إستكمال متطلبات ألمرحلة ألأولى للأنتقال إلى آلمرحلة ألتّالية, حيث يجب تكامل ألمواصفات ألمطلوبة لكلّ مرحلة.
2- جودة و متانة كلّ مرحلة تتوقف على ألمرحلة ألسّابقة لها.
3- جميع المراحل الاستراتيجيّة مُتداخلة و مُتكاملة مع بعضها, فآلتّغيير ألذي يطرأ على أيّ منها يُؤثّر على آلمراحل ألأخرى سواءاً ألسّابقة أو آللاحقة.
4- خط ألعمل ألإستراتيجي واحدٌ مستمر, و عمليّة تقييم و رصد ألتّغييرات في آلبيئة ألدّاخليّة و الخارجيّة لا تتوقف .. بلْ تتمّ على فتراتٍ دوريةٍ ثابتةٍ.
5- لا بُدّ من وجود إدامة و تجديد مُستمر للمعلومات و آلظروف ألمُحيطة بها, ليتمّ بواسطتها مراجعة و ضبط مراحل تلك العمليّات ألأستراتيجيّة لإجراء الخطوط ألتفصيليّة ألتصحيحيّة في ايّ من مكوّناتها و أجزائها.

هذا و يؤكد ألعلماء في آلأدارة ألأستراتيجيّة على وجود مراحل أساسيّة على آلرئيس إداركها و وعيها ليتمكن من إنجاح مهمة ألدائرة أو ألمؤسسة أو ألوزارة أو ألحكومة ألّتي يرأسها.

أمّا ألمراحل ألأداريّة آلأستراتيجيّة فهي:

أولاً: ألتّقارن.
ثانياً: ألتّصميم.
ثالثاً: ألتّطبيق.
رابعاً: ألتّقييم.

أوّلاً: ألتّقارن:

بعد آلأنتهاء من دراسة الجدوى و قبل آلبدء بوضع اللمسات الأخيرة لتصميم ألخطة ألمُتضمنة للبرامج المطلوبة علينا عرض و دراسة ألتجارب السّابقة ألشبيهة ألتي سبقتْ خطتنا في ذلك المجال, لمعرفة نقاط القوة و آلضعف؛ ألفشل و آلنجاح, لجعلها معياراً عمليّاً مؤكّداً لتصميم خطّتنا, هذا مع آلأخذ بنظر ألأعتبار ألتّطورات و آلمُستجدات ألفكريّة و العلميّة و آلتكنولوجيّة العالمية, لتتلائم أهداف آلخطة و معالمها مع تلك آلتطورات.

ثانياً: ألتّصميم:

و هي ألمرحلة ألّتي تلي دراسة ألجّدوى و آلدّراسات ألمُقارنة ألتي من خلالهما تتحدّد أهميّة و ملامح ألمشروع ألكليّة, و كذلك مناهج تقليل ألخسائر في آلزمن و آلكلفة و آلجّهود و تلافي ألمفاجآت ألخطيرة و آلسّلبية.

و تُسمّى هذه ألمرحلة بمرحلة ألتّخطيط ألأستراتيجيّ, و تهتمّ بوضع تفاصيل ألخطة و تقييم ألبيئة ألداخليّة و آلخارجيّة, و تحديد الفجوات الأستراتيجية و وضع أهداف طويلة آلأمد و إنتخاب أفضل ألدّراسات و آلخطط ألكليّة و إستراتيجيّات ألوحدات ألأستراتيجيّة و آلأستراتيجيات ألوظيفيّة لأنجاح ألمشروع على أفضل وجه.

و يلاحظ أن رسالة ألهيئة ألمتخصصة ألعُليا تُحدّدُ ألبيئة ألتي سوف يتمّ تجميع ألمعلومات عنها، في نفس الوقت فإن اكتشاف نقاط القوة و الضعف و الفرص و التهديدات و آلأحتمالات من خلال عملية ألتقييم يُمكن أنْ تُؤدّي إلى تغيير رسالة ألهيئة.

و تتطلّب عمليّة ألتصميم تجميع ألمعلومات و تحليلها و تبويبها و إتخاذ قرارات بإختبار أفضل ألبدائل في كلّ خطوة من خطواتها و ينبغي أنْ تمارس بأعلى درجة من آلكفاءة حيث أنّ نتائجها ذات أثرٍ طويل ألأجل يُحدّد لفترة طويلة نوع ألنّشاط ألذي تركز عليه ألمنظمة و ما تُقدّمه من خدمات و سلع, و الأسواق التي تخدمها و التكنولوجيا المستخدمة و البحوث التي سوف تجري و الموارد التي ستُستخدم.

ثالثاً: ألتّطبيق:

يتمّ في هذه المرحلة تنفيذ ألأستراتيجيّات ألمُعدّة، و تتضمّن تحقيق ألأهداف قصيرة ألأجل و رسم ألسّياسات و تخصيص ألموارد ألماليّة و آلبشرية و توزيعها بين بدائل ألإنفاق، كما تتطلّب تهيئة ألمنظمة من آلداخل بما يتطلّبه من تعديل ألهيكل ألتنظيمي و إعادة توزيع ألسلطات و آلمسئوليات و وضع ألأنظمة ألمختلفة كأنظمة

ألمعلومات و تحديد ألإجراءات و تغيير مفهوم ألأنشطة و إهتماماتها و تحديد خصائص ألقوى ألعاملة كمنطلق أساسيّ و تدريبها و تنميتهامع آلمراقبة ألدّقيقة من قبل ألرّئيس أو ألمشرف على سير ألعمليات في المراحل المختلفة بما يُساعد على تنفيذ ألأستراتيجيّات.

و في حين تحتاج مرحلة ألتّصميم إلى نظرةٍ فلسفيّة؛ فإنّ هذه ألمرحلة تحتاج إلى نظرةٍ عمليّة و قدرة على تحريك ألموارد ألبشريّة و غير ألبشريّة بطريقة منظمة و مُرتبة تعمل على تنفيذ ألاستراتيجيّات ألتي وضعت في آلمرحلة ألسّابقة.

و لعل أهم أسس نجاح هذه المرحلة هو تحقيق التكامل و التعاون بين الأنشطة و الوحدات الإدارية المختلفة في المنظمة لتنفيذ الاستراتيجيات بكفاءة و فاعلية، و يحتاج التطبيق إلى أفكار جديدة و خلاقة و غير تقليدية.

كما يتوقف النجاح في هذه المرحلة على قدرة ألمُدراء و آلمسؤولين على تحفيز ألعاملين و هي مهمة تقترب من آلفن أكثر من آلعلم، لأنّ تصميم ألاستراتيجيّة ثم عدم تطبيقها أو تطبيقها بشكل خاطئ يُعتبر مضيعةً للوقت و آلجّهد و آلمال و آلأمكانات.

و من ثمّ تمثل ألمهارات ألسّلوكيّة و آلعلاقات ألشّخصيّة أموراً غاية في آلأهميّة لتحقيق آلنّجاح في تطبيق ألأستراتيجيّة, لأنّها تُؤثر على آلعاملين و آلرّؤساء في أيّة مؤسّسة على حدٍّ سواءٍ، و لذا؛ يقع على عاتق كلّ إدارة أو نظام أو قسم مسؤوليّة ألإجابة على آلأسئلة ألتّالية:

أ. ما الذي ينبغي فعله لتطبيق ألجزء الخاصّ بنا في استراتيجيّة ألمنظمة؟
ب. ما هي أفضل سبل أداء ألعمل؟
ج. معرفة ألعمليّات ألتي تُجرى على المنتوج في المرحلة السابقة و اللاحقة ضمن خط إنتاجي أو إداري أو سياسي أو إقتصادي.

و يكمن ألتحدي ألرّئيسي عند تطبيق ألاستراتيجيّات في دفع ألرّؤساء و آلعاملين في كافّة أرجاء ألنّظام للعمل بكلّ حماسٍ في لتحقيق ألأهداف ألأستراتيجيّة ألمُحدّدة.

<u>رابعاً: ألتّقييم:</u>

تخضع كلّ الأستراتيجيّات لعمليّة تقييم .. لمعرفة مدى تناسبها مع آلتغيّرات ألتي تحدث في البيئة ألداخلية و الخارجية و لتقييم مدى دقّة التنبؤات و آلأحتمالات ألتي تحويها الخطط، و يتطلب ذلك مقارنة النتائج الفعلية بالأهداف المتوقعة من تطبيق الاستراتيجية و اكتشاف الانحرافات التي قد تكون في مرحلة تصميم الاستراتيجيّة أو في مرحلة تطبيق الاستراتيجية أو ربّما قبلها.

و تحتاج المنظمة إلى تجميع بيانات دقيقة و تفصيلية من البيئة الداخلية و البيئة الخارجيّة حتى يمكن الحكم بدقة و واقعيّة على مدى نجاح ألأستراتيجيّات في تحقيق أهدافها، و يتبع ذلك اتخاذ الخطوات التصحيحيّة(1) في الاستراتيجيآت أو لتغيير بعض الأنظمة و هياكل العمل(ألمُخطط) التي كانت السبب في عدم تحقيق ألأهداف ألتي إستهدفتها ألإستراتيجيّات.

إن مرحلة التقييم الاستراتيجي مطلوبة و هامّة حيث أنّ آلنجاح في آلوقت ألحالي لا يُشير بالضّرورة إلى

آلنجاح في آلمستقبل، و لذا فعلى آلمسؤوليين ألأستراتيجيين ألإجابة على آلأسئلة ألتالية:

1. ما هي العناصر الداخلية و الخارجية التي تمثل أساس الاستراتيجيات ألحاليّة؟
2. هل تمّ معرفة و مراجعة جميع تلك آلعناصر أم لا؟
3. ما هي معايير قياس الأداء؟ و ما هي نتائج تطبيق تلك آلمعايير؟
4. في حالة الحاجة لاتخاذ اجراءات تصحيحية، ما هي تلك الإجراءات؟
5. هل تم تحديد ألخطوات ألتصحيحية بشكلٍ سليم في آلزّمان و آلمكان المناسبين؟
6. هل يتمّ متابعة إنجازات ألرّئيس في مشروعه بشكل صحيح و مستمر من قبل ألقائد ألأعلى في الدولة أو رئيس ألجّمهورية ألذي يُفترض به أن يكون فيلسوفاً فقيهاً.

<u>مُستلزمات ألإدارة ألأستراتيجيّة:</u>

أيّة مؤسسة أو مشروع أو نظام سياسي أو إقتصادي .. لا يكتب لهُ آلدوام و آلنّجاح في تحقيق أهدافه ما لم ينتبه و يُجيب ألمسؤولون فيها على آلأسئلة ألتالية :

أ. ما هي مجالات ألأعمال ألجديدة ألتي يُمكن للخطة أو آلمشروع ألدخول فيها لتثويرها و في آلمقابل آلأنشطة ألتي يجب ألتّوقف عن أدائها؟
ب. كيف سيتمّ توزيع ألموارد و آلأستفادة منها على أفضل وجه؟
ت. هل يُمكن ألتوسّع من خلال تطوير ألعمليّات ألقائمة أو من خلال إستحداث عمليّات جديدة؟
ث. هل يفضّل ألدّخول في آلأسواق ألعالميّة؟
ج. هل يُمكن ألتّكامل عبر آلتعاون مع شركات أخرى أو تكوين شركاتٍ مشتركةٍ؟
ح. كيف يتم مواجهة محاولات بعض المضاربين ألذين يُحاولون آلاستيلاء على آلشركة؟
خ. كيف يُمكن تقليل ألخسائر و آلأضرار ألّتي تُصاحب ألعمليات ألمختلفة!؟

ألعوامل ألمؤثرة في تلك آلمراحل:
لقد تم تطوير ألعديد من آلمفاهيم و آلأساليب ألتي تتعامل مع آلإدارة ألإستراتجيّة و مراحلها و إستخداماتها بنجاح في آلعديد من آلمؤسّسات ألرّائدة مثل شركة تويانا و سيمنس و جنرال إلكتريك(2) و غيرها من آلشّركات ألعالميّة ألمعروفة على سبيل ألمثال.
و لكن على آلرّغم من ذلك، فإنّه لا تُوجد ألعديد من آلمؤسسات ألتي لم تُحاول إستخدام هذه ألأساليب أو أنْ تُطبّق شكلاً أو آخر من أشكال ألإدارة ألاستراتيجيّة خصوصاً في آلأنظمة ألأقتصاديّة و آلسّياسيّة.

و بين هذا و ذاك تمكّنت بعض ألمؤسسات من تحقيق ألنجاح لبعض ألوقت بالأعتماد على آلبداهة و الأهداف غير ألمكتوبة، إلّا أنها لم تستطع ألمحافظة على هذا آلنّجاح أو تدعيمه.

و بصفة عامّة تتأثر ألإدارة ألإستراتيجيّة بمجموعة من آلعوامل ألرئيسيّة، و من أهمّها:

1. حجم ألمؤسّسة.
2. عدد ألطبقات ألإداريّة فيها.
3. معدّلات ألتغير في بيئة ألعمل.

4. مدى إرتباط و أهميّة ألمشروع في حياة ألنّاس.

و لذا فإنّ أهميّة ألإدارة ألإستراتيجيّة و إتّباع ألفكر ألأستراتيجي تزداد فاعليّةً في آلحالات ألتاليّة:

1. كبر حجم ألمنظمة.
2. زيادة عدد ألطبقات ألإداريّة.
3. زيادة معدّلات ألتّغير ألبيئيّ.
4. مدى إرتباط و أهميّة ألمشروع في حياة الناس.

لقد ساهم إرتفاع معدّلات مخاطر إتّخاذ ألقرارات و تكلفة ألقرارات ألخاطئة إضافة إلى آلقيود و آلأعباء ألاقتصاديّة و تغيّر أذواق ألعملاء و زيادة حدّة ألمنافسة والتطور التكنولوجي المتسارع و محاولات سيطرة ألمنظمة ألأقتصاديّة ألعالمية؛ ساهمتْ جميعاً في زيادة معدّلات تبنّي ألفكر ألأستراتيجيّ بواسطة ألرّؤساء حتى يتمكّنوا من الحفاظ على ألقدرة ألتنافسيّة لمنظماتهم في ظلّ ظروف بيئيّة متغيّرة.

ألإدارة آلاستراتيجيّة في آلحياة ألواقعيّة:
تتمثّل ألإدارة ألأستراتيجيّة في آلحياة ألواقعيّة في مجموعة من آلقراراتِ ألأستراتيجيّة, مثل؛ إضافة مُنتج جديد أو استبعاد مُنتج قائم أو إجراء تغيير عليه أو الدّخول في نشاط جديد يختلف عن ألنشاط ألحالي للمنظمة، أو إتّخاذ قرارٍ بالاندماج مع منظمة أخرى قائمة أو بدء مشروع جديد بالأشتراك مع منظمة أخرى أو إتّخاذ قرارٍ بالانفتاح على الأسواق العالميّة، أو ألقيام بحملة إعلانيّة.

و يلاحظ أنّ آلقرارات ألتي تتضمّن تغييراً داخل ألمنظمة لا تُعتبر قراراتٌ إستراتيجيّة إلاّ إذا كانتْ تهدف إلى زيادة قيمة ألمنظمة و قدرتها ألتنافسيّة و زيادة حصّتها في آلسّوق، و بمعنى آخر لا يوجد تصنيفٌ للقراراتِ ألأستراتيجيّة و آلقرارات غير ألأستراتيجيّة فقراراتٌ مثل إعادة ألتنظيم و إدخال الحاسب الآلي و تبسيط ألاجراءات و تدعيم وسائل ألاتصال بين فروع المنظمة وغير ذلك من آلقرارات ألداخلية ألبحتة، لا تُعتبر قراراتٌ إستراتيجيّة إذا لم تستهدف زيادة قدرة ألمنظمة على التعامل مع آلبيئة ألخارجيّة و لكنها تعتبر قراراتٌ إستراتيجيّة حينما تستهدف جعل ألمنظمة في وضع أفضل للتّعامل مع بيئتها آلخارجيّة و جعلها أكثر قدرة على خدمة عملائها بطريقة أفضل ممّا يستطيعهُ آلمُنافسون.

فالقرارات ألأستراتيجيّة ألدّاخليّة هي آلّتي تهدف ألتّغلب على نقاط ألضعف ألدّاخليّة و تنظيم إستغلال نقاط ألقوّة ألداخليّة بقصد زيادة قدرة ألمنظمة على إستغلال الفرص ألداخليّة و مقاومة ألتأثيرات ألتي تفرضها ألبيئة ألخارجيّة.

وعلى سبيل ألمثال فإنّ تدريب ألعاملين يُعتبر قراراً إستراتيجيّاً إذا كانتْ ألمنظمة تُدرّب ألعاملين حتى يمتلكوا آلمهارات و آلمعارف ألللازمة لتحركاتها آلأستراتيجيّة، مثل تصميم برنامج لتعلم ألغة ألإنجليزيّة؛ لأنّ معظم أسواق ألمنظمة في آلدّول ألمعنيّة تتحدّثُ بها, في حين ترى منظّمة أخرى أنّه من آلأفضل ألتّركيز على آللغة ألياباانية؛ لأنّ آلمشروعات ألمشتركة مع آليابان هي أحد إستراتيجيّاتها آلهامّة.

أما المنظمة التي تُدرّب العاملين لزيادة مهاراتهم بصفة عامة دون ربط ألتدريب بتحقيق أهداف استراتيجيّة محدّدة فإنّ قرارات التدريب في هذه ألمنظمة تُعتبر قراراتٌ غير إستراتيجيّة.

مواصفاتُ ألقائد ألأستراتيجي:

ألخطط ألأستراتيجيّة لا تُحقق أهدافها في نظريّة ألمعرفة؛مهما كانتْ! ما لم يكن من ورائها قائد إستراتيجيّ يتّصف بمواصفات آدمية خاصّة يؤمن بعدالة السّماء و النظام الذي حدّده آلخالق تعالى لتحقيق ألسّعادة بين آلبشريّة.

ألقائد ألأستراتيجي يتّصف بمواصفات خاصّة هي:

1- يمتلك فكراً إنسانياً يرفض الطبقية و الأستغلال و الفروق في الرّواتب و المخصصات و الأمكانات و الحريات, له ما للآخرين من حقوق و عليه ما على الآخرين من واجبات تجاه القانون.
2- يتّصف بآلشّجاعة و آلأمانة و لا يُهادن ألظالمين أو يتحبّب إليهم.
3- يتصف بآلعدالة كمَلَكة في وجوده.
4- يتّصف بنكران الذّات.
5- له إطّلاع كامل بآلزّمان و المكان و ما يدور فيهما و رعايتها في تنفيذ المراحل المطلوبة.
6- يؤمن بآلفلسفة الكونيّة كأساس للحكم بين آلنّاس.

في الختام يجب ألأنتباه إلى أنّ نجاح أو فشل أيّ مشروع ستراتيجي أو نظام سياسي عادل بآلأعتماد على أساسات نظرية المعرفة؛ يتحدّد إبتداءاً و بشكل جذري على آلقواعد الفلسفية التي تستند عليها الخطة أو آلنّظام بحسب معايير نظرية الفلسفة الكونيّة, و كما ألمحنا سابقاً فإنّ آلنظام ألغربي يعتمد على فلسفة واضحة تتلخص في الحرية ألمطلقة ألّتي تمتلكها ألمنظمة الأقتصادية العالمية ألتي تُسيطر بشكل مباشر و غير مباشر على أكثر منابع الأرض من خلال حكومات ألدّول بإستثناء إيران و ربما دولة أو دولتين آخريتين!

لذلك فأنّ آلنظام ألرّأسمالي ألذي يتحصّن بدرع ألديمقراطية من غضب الجماهير المحرومة من أكثر حقوقها الطبيعية؛ لا يُمكن أن يكون النظام ألذي يمكنه أن تنبثق منه خطط إستراتيجية صحيحة بإتجاه خدمة البشرية .. بل تهدف عادةً في خططها إلى تخليص الثروات من الناس و جعلها بأيديهم للتحكم من خلالها بمصير الناس بحسب أهواء أصحاب تلك المنظمة الظالمة ألتي لا يهمها سوى مصالحها حيث تُسيطر على معظم بنوك العالم خصوصا ألكبرى مع الشركات العملاقة ألتي تنتج أجهزة ومعدّات الفضاء و آلصواريخ و آلأسلحة و آلتكنولوجيا المتطورة.

من هنا فأنّ ألقواعد الفلسفية (لنظريّة ألمعرفة الكونيّة) لتحديد ألبرامج ألأستراتيجيّة وألتي إعتمدتها ألدّولة الأسلاميّة؛ إستطاعتْ أنْ تخطوا بها خلال ثلاثين عاماً من عمرها ما خطّه آلغرب من التقدم التكنولوجي خلال 300عام(3), ولقيادتها الرّبانية الدور الأبرز في تحقيق آمال جميع ألأنبياء و آلمرسلين و طموح ألمستضعفين ألذين ما زالوا يئنّون من مظالم و مخططات النظام الرأسماليّ ألدّيمقراطيّ ألغربيّ!

لهذا فأننا سنطرح في آلأساس ألأخير ملامح آلخير و آلعدالة و آلأصلاح و خصوصيّات ألنّظام الكونيّ كأفضل نموذجٍ عصريّ لأحياءِ ألبشريّة لتكتمل (أساسات نظريّة ألمعرفة) بفضلِ الله و رحمته تعالى.

(*) هذا آلبحث ألأساس؛ هو خلاصة إنتقائيّة مفيدة لدراساتي ألعليا في فنّ ألأدارة و آلتنمية و يمثل ألجزء الهام من الأطروحة, لذا نرجو ألتركيز على آلخطط و آلمعلومات ألتي وردتْ فيها, مع آلشّكر للأخوة ألمتابعين ألمثقّفين.
Feed back. (1)

(2) لقد أجرتْ إدارة جنرال إليكتريك ألأمريكية عام 1980م تغيّرات جذريّة في مستوى و نوعيّة ألأنتاج بفضل أحد مدرائها العباقرة, ألذي أستحدث خطة جديدة تتلخص في إقامة ألدّورات ألتدريبية التطبيقية ألتي أقامها مدير الشركة للعمال, تلخّصت في ضرورة معرفة كلّ عامل و موظف و فنيّ بما يجري على آلقطعة المنتجة ألتي تصل إليه عبر الخط الأنتاجي من المرحلة السابقة و كذلك معرفة ما يجري عليها – ألقطعة - في ألمرحلة آللاحقة أيضاً, هذه المعلومات ألأضافية تُحسّن من أداء العامل لإرتباطها ألوثيق بتحسين نوع الأنتاج و آلسّرعة في تنفيذ المهام ألموكلة للعامل في حدود مسؤوليته بعد معرفته بما يجري على المنتوج قبل الوصول إليه و بعده, بآلأضافة إلى آلدّقة و آلكفاءة ألعالية في إنجاز ألعمل, و قد إستطاع آلمدير ألمسؤول على آلشركة من خلال تلك آلدّورات رفع إنتاج ألشّركة إلى ما يقرب ألضعف مع تحسين نوعيتها و كفائتها, هذا بغضّ ألنّظر عن مصبّات ألارباح ألكبيرة و الفوائد التي جنتها الشركة لأصحابها كونها تتبع ألنظام الرأسمالي في خططها و هذا ليس محل بحثنا, و إنّما ضربنا هذا المثل لنُبيّن مدى أهميّة معرفة المسؤول سواءاً كان مديراً لشركة أو وزيراً أو قائداً للأمة لما يجري في حكومته أو وزارته أو شركته و أسبابها, كي يكون واقفاً و ملمّاً على الأحداث الواقعة و مؤثراً بآلعمق و بآلأتجاه الصحيح فيما يجري عليها و بآلتالي يكون حكيماً مع المخططين حين يرسمون الخطط الأستراتيجية لمعالجة أو تحسين قضايا و حاجات الأمة, فكلما كان آلرئيس أو القائد عالماً بأمور المسلمين و آلأنسانية و بما يجري في العالم بدقة؛ كان أثره الأيجابي و دوره الفعال بإتجاه تعبيد الناس لله أكثر كفاءة و ثمراً.

(3) بدأ آلغرب بآلعمل ضمن برامج و خطط علميّة و منهجيّة منذ عصر ألنهضة ألأوربيّة قبل أكثر من 300عام, و إستطاع أن يُحقّق ألكثير من الأنجازات العلميّة و التكنولوجيّة خصوصاً خلال النصف الثاني من القرن الماضي لكنها للأسف كانت أحادية .. يعني إهتمت بآلجانب المادي – الأنتاجي و لصالح الطبقة الرأسمالية الحاكمة بآلدرجة الأساس لهذا تواجه اليوم الكثير من المعضلات و المشاكل الكبيرة في مسيرتها العامة لأهمالها الجانب المعنوي و العدالة في المجتمع, بآلمقابل حقّقت آلجمهورية الأسلامية آلكثير من الأنجازات ألعلمية و التكنولوجية خلال أقل من 30عاماً, بينما الغرب إحتاج لـ 300 عام لتحقيقها, هذا مع الفارق الكبير بينهما من حيث أن إيران تعرضتْ و ما زالت إلى الحروب و العدوان و الحصار من معظم دول العالم بقيادة أمريكا و معها الغرب.

أساسات نظريّة ألمعرفة الكونيّة – آلثاني عشر

أساساتُ نظريّة ألمعرفة – ألأساسُ ألثّاني عشر

ألنّظام ألأمثل للبشريّة:

(نظريّة ألمعرفة ألكونيّة) تُؤكّد على وجوب وجود ألنّظام لتحقيق (ألهدف ألغائيّ) للأنسان في آلأرض كما بيّنا خلال ألأساسات ألماضية لنظرية ألمعرفة, لكونه بمثابة (ألرأس) من (آلجسد), وإذا صلح الرأس(العقل) صلح الجسد (الناس) و إذا فسد آلعقل فسد الناس!

و آلسؤآل ألمحوري ألأهمّ فيما يتعلّق بهذا آلأساس هو:

أيّ آلأنظمة أفضلْ و أنسب و أقل كلفة و زمكانيّةً لتنفيذ ألخطط ألأستراتيجيّة كوسائل لتحقيق آلهدف ألغائي لسعادة ألبشريّة في آلدّارين!؟

في عصر ألغيبة ألّذي نعيشهُ آليوم .. لا أعتقد بوجود مسلم – مجرّد مُسلمٍ - يَرفضُ تطبيق أحكام ألأسلام في آلواقع ألأجتماعيّ و آلأقتصادي و آلثقافي و آلعلميّ و التي جسّدتها فلسفة الفلسفة الكونيّة عبر نظريتها المعرفيّة, بلْ أستطيع آلجزم بعدم وجود إنسان واحد سليم القلب و ألفطرة .. حتّى لو لمْ يكن مسلماً؛ يرفض تطبيقها في آلحياة لكونها مُشرّعة من قبل ألذي خلق آلأنسان ثمّ مَنَّ عليه برسالةٍ إنسانيّة مُتكاملة الأسس تناسب تكوينه الظاهري و الداخلي المعقد للغاية لتنظيم شؤون حياته بُغية تحقيق فلسفة ألوجود بوجوده.

يأتي هذا آلأستقراء بشكلٍ خاصّ بعد ما تَكَشّفَتْ زيف ألأشتراكيّة و فشل ألنّظام ألدّيمقراطي ألغربي و مشتقاته كما بيّنا سابقاً كنظريّات وضْعيّة لتحقيق ألسّعادة و آلرّفاه في آلمجتمع ألأنساني.

و آلسّبب ألمُبين في تقرير هذه ألنّتيجة هو أنّ أحكام ألأسلام مُشرّعَة من قبل ألله تعالى ألّذي خلق آلأنسان و يعلم أسرار نفسه و خفاياها و طرق سعادتها و ما يضرّها و ما ينفعها أفضل من غيره من آلمخلوقات ألقاصرة عقلياً بآلقياس مع خالق العقل جلّ و علا!

و يُمكننا تلخيص ألطريق ألألهي ألذي يُوصلنا للهدف من خلال ألعمل بآلواجبات و ترك ألمُحرّمات, و لا تتحقّق ألحالة آلمُثلى و ألذروة في ذلك ما لم يُؤسّس عمل ألمؤمن على مبدء (ألشّكر) لله, حيث يتحقّق ذلك على أفضل وجه حين يُرجع المؤمن مردّ أعماله و سعيه إلى مبدأ تلك ألمعرفة ألكونيّة, و لا تتحقق هذه الدرجة إلّا عندما يتحرّر الأنسان من القيود و آلعبوديات لتبدأ معهُ علاقة حبّ حقيقية مع معشوقه ألأزلي ألذي وحده يستحق آلعشق, فيتمّ ألتنفيذ ألأمثل على أساس ذلك آلمنطلق(1).

لا يتجسّد ألتوحيد ألحقيقيّ في حياة محكومةٍ بآلسّياسات ألجّاهليّة ألحاكمة ألّتي تدعوا لعبادة ألشيطان(ألدُولار) من دون الله تعالى؛ كما لا يتجسد ألتوحيد .. ما لمْ يكن في ظلّ نظامٍ يدعو للتوحيد, و لا يستطيع ألمؤمن أن يستمر بحبّه و حياته و تفاصيل تحركاته في آلحياة إلّا عبر آلولاية ألتي تؤمّن له الأتصال بآلله تعالى مباشرةً, و بغير ذلك فأنّ آلمذاهب و آلمسالك ستتعدّد عليه و تشتبه عليه ألحقائق أياً كان حتّى لو كان مرجعاً أو فيلسوفاً(2).

من هنا فآلعاشق لله يكون مُحبّاً لأهل ألأيمان و دعاته, و ساعياً لتطبيق ألأسلام في آلواقع, و حزيناً غاضباً بآلمقابل على أهل ألباطل و دولهم و يسعى بإزالة ألأنظمة ألجاهليّة ألحاكمة في أكثر من 256 دولة في آلعالم ألتي أنظمتها تستغل ألأنسان بشتى آلوسائل و آلقوانين و في مقدمتها؛ عن طريق ألعامل الأقتصادي لصالح و رضا طبقة آلأغنياء عن طريق ألحكّام و آلمُتسلّطين!

في عصرنا هذا – عصر ألغيبة ألكبرى – أصبح من آلواجب على كلّ ذي بصيرة و علم و إيمان حقيقيّ أن يتّبع ألدّاعي لتطبيق ألعدالة و المساواة في الحقوق و الأمتيازات عبر آلنظام ألعلويّ ألكونيّ, كضامن وحيد لخلاص ألأنسان, بآلأخص لو كان آلقائم بهذا آلأمر فقيهاً مجتهداً مطلقاً عارفاً بآلزّمان و آلمكان و سرّ الوجود(3)!

من هنا كانت (ألولاية) واجبة على كلّ من شهد الشهادتين(4) بلْ لكلّ إنسانٍ مُحبٍّ للحرية, و بما أنّ آلدّولة آلأسلاميّة ألمعاصرة بقيادة وليّ أمر ألمسلمين و آلأنسانيّة(5) قد أخذتْ على عاتقها تطبيق ألفلسفة الكونية(6) رغم آلحروب و آلحصار و آلمعوقات ألتي يُحاول ألأستكبار ألعالمي إيجادها أمامها و فرضها عليها؛ لهذا سنبحث ألخطوط ألعامّة لدستور ألجّمهوريّة ألأسلاميّة و آلمواد ألأساسيّة كعنصر الولاية ألتي تعتبر أهم أصل فيه حيث تُميّزها عن جميع ألدساتير ألأرضية ألوضعيّة ألتي سبّبت ألمآسي و الظلم و الفوارق الطبقية في آلعالم.

لماذا وجوب ألدّولة ألتي تحكم بآلنظام الكونيّ؟

تجدر ألأشارة إلى أنّ مسألة (ألأمر بآلمعروف و آلنّهي عن ألمنكر) من آلواجبات ألأسلاميّة, لها قيمةٌ معياريّة خاصّة تتعدّى و تتقدّم على جميع ألأحكام و آلواجبات ألعباديّة ألأخرى كستراتيجية لأدامة الحياة الآمنة المستقرة النظيفة, و لا شَكَّ أو شُبْهةَ في وجوبها كما يَعتقدُ بذلك جميع فقهاء ألأسلام, بشرطها و شروطها.

بل نقطة الخلاف الأساسيّة مع جميع أنظمة العالم بما فيها النظام الرأسمالي الديمقراطي بآلدرجة الأولى؛ هي هذه النقطة الجوهرية بنظري, لأنّ فقدان القيم و الأنحلال ألأخلاقيّ و الروابط الأجتماعية – الأنسانية؛ هي مبعث الفساد و الظلم ليس داخل المجتمع المنحل حصرا .. بل حتى بين باقي ألمجتمعات, و هذا ما نشهده في عالم اليوم بسبب فساد القيم و الأخلاق في المتمع الغربي بقيادة أمريكا.

يقول ألأمام عليّ(ع): [و ما أعمال ألبرّ كلّها و آلجّهاد في سبيل الله عند آلأمر بآلمعروف و آلنهي عن ألمنكر إلّا كنفثةٍ في بحرٍ لجيّ](7), و يقول أيضاً: [لا تتركوا آلأمر بآلمعروف و آلنهي عن المنكر فيُوليّ عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يُستجاب].
و قد لخّص آلقرآن ألكريم ألموضوع حين جعل تلك آلمسألة معياراً لصلاح أو إنحراف أمّة من آلأمم بقوله تعالى:
[كنتم خير أمّةٍ أخرجتْ للناس تأمرون بآلمعروف و تنهون عن ألمنكر و تؤمنون بآلله](سورة آل عمران / 110).

إنّ ألبحث و آلخلاف في ذلك آلأمر بين آلفقهاء كان حول مسألتين هما:
أولاً: هل أنّ وجوب ألأمر بآلمعروف و آلنهي عن ألمنكر مسألةٌ عقليةٌ أم شرعيةٌ؟

بعض الفقهاء يرون وجوب ذلك يكون شرعياً, مثل الشيخ الطوسي و المقداد السيوري و غيرهم, و البعض الآخر يرون بأنه مسألة عقلية كآلسيد المرتضى علم الهدى(7) و آلشّهيد ألأول و آلثّاني(8).

ثانياً: هل مسألة ألأمر بآلمعروف و آلنهي عن ألمنكر مسألة كفائية أمْ عينيّة؟
و هنا إختلف آلعلماء, فبعضهم إعتقد بوجوبه ألعينيّ كآلصّوم و آلصّلاة مثل آلمُحقق ألحلّي و آلشّيخ بهاء ألدين ألعامليّ, و لا يسقط ألتكليف لمجرد قيام آلآخرين به.

لكن آلبعض الآخر إعتقد بأنه واجب كفائي, كآلشهيد الأول و آلثاني و الأمام ألرّاحل و الأمام الصدر(قدس).
و علينا ملاحظة هذا الأمر, بأنه في الحالتين يتحتم علينا اليوم إطاعة أوامر الدولة الاسلامية على الأقل .. هذا إذا كنا عاجزين بأن نكون من الجماعة التي تأمر بآلمعروف و تنهى عن المنكر كواجب عيني!

بيد أن القرآن الكريم بين الموضوع بوضوح في سورة آل عمران / آية 104؛ [و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بآلمعروف...].

و كلمة و (لتكن) تفيد ألأمر و آلوجوب, كما أنّ آلقرآن أكّد آلموضوع في سورة ألتّوبة في ثلاث آيات محكمات هُنّ / آية 67 و71 و 112 .. حيث قدّم ألأمر بآلمعروف و آلنهي عن المنكر على آلواجبات ألأساسيّة ألأخرى ألتي لا تنفكّ من آلمؤمنين لأحياء ألأنسانيّة.

و بما أنّ آلدّولة ألأسلاميّة ألمعاصرة هي ألتي أخذتْ على عاتقها مسألة تطبيق (ألأمر بآلمعروف و آلنّهي عن ألمنكر) و من أوسع أبوابها و مدياتها عبر آلنّظام ألأسلاميّ بوقوفها ضدّ آلكفر ألعالمي و آلتّسلط ألأستكباريّ لذلك حريّ بنا إدراك و وعي مدى حجيّة و وجوب إطاعة أوامر ولاية تلك آلدّولة ألمُتمثلة بولاية ألفقيه.

خصوصيّات ألدّولة ألأسلاميّة ألمعاصرة:

[لقد أرسلنا رسلنا بآلبينات و أنزلنا معهم الكتاب و آلميزان ليقوم الناس بآلقسط, و أنزلنا آلحديد فيه بأس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره و رسله بآلغيب إن الله قوي عزيز] سورة الحديد / 25.

ألقانون ألأساسي للجمهوريّة ألأسلاميّة تُبيّن و تُجسّد ألمذهب ألثقافي و آلأجتماعيّ و آلسّياسيّ و آلأقتصاديّ للأمة ألأسلاميّة خصوصاً في إيران بإعتبارها داخلة شرعيّاً و رسميّاً تحت سلطة ألحكم ألأسلاميّ أو ولاية ألفقيه, ألتي كانت مطلب ألأمة نفسها و آلتي تسعى آلآن جاهدةً لتطبق مفاهيم ألأسلام طبقاً لذلك آلدّستور(9).

تمتاز ألدّولة ألأسلاميّة بكونها دولة تضم أمّة مؤمنة بآلله على خط ألرّسالة ألأسلامية, بعد ما خَطَتْ تجارب عديدة منها ثورة ألمشروطة عام 1906م و ثورة تأميم ألنفظ ثم الإنتفاضات المختلفة فآلثورة ألأسلامية, لقد شخّصتْ مسيرة ألثورة بأنّ آلأنتكاسات ألسابقة كانت بسبب عدم وجود ألقيادة ألموحدة و الأمة الموحدة!

فثورة ألمشروطة فشلتْ لكونها كانت بقيادة ألمجلس ألفقهائي الذي شكّله ألفقهاء الكبار كشورى للفقهاء لقيادة البلاد, ممّا أفضى إلى خلافات كثيرة بينهم لِيُمهّد آلسّبيل إلى آلشاه و اعوانه الأنكليز للسيطرة على مقاليد ألحكم و سحب ألبساط من تحت أرجل ألفقهاء و آلناس الذين عانوا ألأمرين من حكم ألشّاه, و كذا ثورة مُصدّق ألتي لم يكن لها غطاء شرعيّ من قبل أيّ فقيه ممّا سبب آلقضاء على حكومته بسهولة من قبل ألمستكبرين عام 1953م.

لكن آلثورة آلأسلاميّة في إيران أليوم تستند على ولاية ألفقيه كأساس في آلنّظام, لذلك بقيت صامدة تُقاوم كلّ أنواع ألمؤآمرات و آلحروب إلى يومنا هذا بسبب حنكة و شجاعة تلك آلقيادة ألمرجعيّة ألعالمة بأمور ألدّنيا و ما يجري فيها, و من خلفه أمّة أقسمتْ أنْ لا تترك قائدها وحيداً مهما كان آلأمر.

إنّ ألحكومة في الأسلام لا تعتمد ألجانب ألسّلطوي أو آلفردي أو آلطبقاتي أو آلحزبي أو آلتوافقي أو أللّيبرالي, بل تُمثل إرادة آلخالق التي تجسدت في أمّة حرّة إنتخبتْ لنفسها آلأسلام كنظام للحكم لتتحصّن بذلك من كلّ أنواع ألأستغلال ألأقتصادي و آلفكري و آلعلمي و آلأدبي و آلأجتماعيّ, و قد عناهم الله بألطافه لذلك, وَ أَ لَيس هو آلقائل: [و يضع عنهم إصرهم و آلأغلال ألتي كانتْ عليهم]!؟

و ممّا يبعث على آلأطمئنان هو؛ إستلام زعامة المؤسسات ألأسلامية مجموعة من آلفقهاء و آلمجتهدين و العرفاء ألأعلام خصوصاً في الرئاسات و آلشؤون ألمصيرية في الدولة, بل إن السيد القائد جعل في كل وزارة و مؤسسة مُمثّلاً شخصيّاً ينوب عنه ليكون كآلعين الساهرة على سير و تطبيق القوانين الأسلامية فيها.

فآلقانون الأساسيّ حتى لو كان إسلاميّاً لوحده لا ينفع ما لمْ يكن ألقائمون عليه مؤمنون و فقهاء و مخلصين و أمناء يتابعون كل صغيرة و كبيرة لتطبيقه في آلواقع ألأجتماعيّ.

إنّ طبيعة ألقانون ألأسلاميّ توفر ألفرص ألّلازمة لمشاركة كلّ أبناء ألمجتمع في تطبيق و إدارة ألقانون بشكلٍ طبيعيّ, بإعتبار مجلس ألشّورى الأسلاميّ ألذي يُمثل ألأمّة و من فوقها مجلس مُراقبة و صيانة ألدّستور هي آلمحاور ألتي يُناقش فيها أمور ألناس و قضاياهم و مصالحهم ألأساسيّة, و في حال وجود خلاف بين آلمصوّبين على قانونٍ مُعيّن تُرفع ألقضيّة إلى مجلس مراقبة ألدّستور ألذي يضمّ كبار ألفقهاء ألمتخصصين في آلقضاء و آلحدود و آلعلوم ألأجتماعيّة و آلسّياسيّة, و في حالة عدم تمكّنهم من آلوصول إلى نتيجة نهائية .. يتمّ رفع ألقضية إلى مجلس ألخبراء ألذي يضم كبار فقهاء و مراجع ألأمة الأسلاميّة.

و لكن في حال عدم توصّل مجلس ألخبراء أيضاً إلى حلّ فاصلٍ و عادلٍ طبقاً لمبادئ ألقانون فأنّه يتمّ رفع ألقضيّة عندئذ إلى آلولي ألفقيه بإعتباره صمّام ألأمان لحلّ و فصل مثل تلك آلخلافات ألمصيريّة ألتي تصل أحياناً إلى طريق مسدود لكثرة ألأجتهادات و إختلاف وجهات ألنّظر بين آلفقهاء و آلمشرّعين, و هذه هي آلحالة ألتي تتحقّق معها حكومة ألمستضعفين ألعادلة في آلأرض؛
[و نُريد أنْ نَمُنّ على آلذين إستضعفوا في آلأرض و نجعلهم أئمةً و نجعلهم ألوارثين](ألقصص / 5).

هنا يَتَبَيّنْ مدى أهميّة ألمرشد الأعلى و دوره في قيادة آلحكومة الأسلاميّة ألعادلة, و بدون ذلك ستبقى آلأمة ألأسلامية تُعاني آلمآسي و آلظلامات و آلفرقة .. تتقاذفها أمواج ألجاهليّة و آلتحزب و الأهواء ألشخصية و الحزبية و الفئوية و آلطبقيّة و التدخلات الخارجية, و ليس أمام شعوب الأمة الأسلامية سوى إعتماد عقيدة ألأسلام ألحقيقيّة بإتّباع منهج أهل آلبيت(ع) للخلاص من أنظمتها آلديكتاتوريّة ألفاسدة, فآلمشكلة آلأساسيّة لأنحراف أمّتنا و حتى آلأمم ألأخرى في آلعالم تَرجع إلى ثلاثةِ أسباب أساسيةٍ هي:

ألأوّل: إفتقادها للآيدلوجية ألأسلاميّة ألصّحيحة في واقعها ألعملي, و إنشغالها بآلشّهوات و قضايا آلمعيشة و آللاأمن آلذي سبّبته آلحكومات بأوامر آلأسياد ألديمقراطيين في آلغرب, و بآلتالي نسيان نفسها و عدم إدراكِها و وعْيها لكرامتها و رِسالتها في آلحياة لتقرير مُستقبلها و مصيرها, على آلرّغم من تجاربها آلمريرة و آلطويلة مع دعاوى آلحكومات ألمختلفة ألتي تَعاقَبَتْ على مدى آلآف آلسنين.

ألثاني: تَشَتّتْ ولاآت ألنّخب ألأكاديميّة و آلمُثقفة, و دورانها حول آلأفكار و آلنّظريات ألوضعية ألمُتناقضة للأحزاب و المُدّعين, خصوصاً رهان أكثرها على "ألديمقراطية" من قِبل ألعلْمانيّين و "لِلشّورى" من قِبل ألأسلاميين, و آلتّعصب ألأعمى أو القومية للبعض ألآخر بدون وعيّ و تَعَقّل, لأنّ آلتثبت على ألفكر ألرّصين ألغنّي ألمُتكامل ألّذي يستحقّ تَبَنّيه و إعمالهِ كمنهج للحياة و للنظام يحتاجُ آلتّمحيص و آلتأمل و آلمقارنةِ معَ آلأفكار و آلنّظريات و آلمذاهب ألأخرى بوعيّ و إنفتاحٍ لِكشفِ مواطن ألخللْ و آلضعف .. أو آلقوة و آلأنسجام فيها, و يَحتاجُ هذا عرضُ جَميعَ أفكارنا و معتَقداتنا لِلبحث و آلمُناقشة ألعلميّة ألموضوعيّة, و أخطر ما شاهدتهُ في وضع أكاديمينا و مُثَقّفينا هو إستِمالتَهم من قبل ألحكام, و تغرّب آلباقيين منهم في بُلدان ألعالم بَحثاً عن آلحرية و آلعيش ألكريم!

ألثالث: و هو آلأهم؛ فُقدان ألأمّة لولاية الله في محورِ حياتِها و حَرَكَتِها و أساسِ تفكيرها, لأنّ مُجرد وجودها على هامشِ أفكارِ ألمُثَقّفين و آلأكاديميّن و كذا آلأمة بإطارها آلتقليدي .. لا يُمكنها أنْ تُؤثر في واقعها بآلعمق أو تتفاعل عَمَليّاً في حياتِها. و تحقيقِ ذلك يَتِمُّ مِنْ خِلالِ ألأيمان بالقيادَةِ ألربانية ألصّالحة ألتي حَمَلَتْ همّ آلنّظرية ألأسلامية في عالمنا آلذي إمْتَلأ بآلظلمِ و آلجّور بسبب ألحكومات و ألسّياسيين ألّذين لا يُراعُون حُرْمَةَ و حُقوقَ و كَرامَةَ آلأنسان! و لَعلّ آلسبب ألرئيسي في ذلك يَعودُ إلى تَشَوّهِ ألقواعد و آلمُنطلقات ألصّحيحة في تفكيرهم وتعدد مراجع ألتقليد و إختلاط آلفهم ألواعي لِلنصوصِ ألشرعيّة لدى آلعقل ألعربيّ و آلأسلاميّ لِتحديد و تشخيصِ مَعَالِم تِلكَ آلقيادةِ ألرّبانيّة, و طريق إتّباعها!

خصوصيّات ألمرشد الأعلى:

بعد إشارتنا لأهميّة و دور ألولي الفقيه في آلنّظام ألأسلامي, خصوصاً في مدرسة أهل ألبيت(ع) كإمتداد لخط الأمامة و النبوة و التوحيد , لا بُدّ من بيان خصوصيّات هذا آلوليّ ألفقيه.

فمن آلذي يُمثّلُ آلقيادة ألأسْـلاميّة ألرّبانيّـة (ألمُرشد ألأعلى)؟
و ما آلسّبيل لأتّباعِها , كونها آلمحور ألأساس لخلاصنا أليوم؟

هل رأي ألأمة(ألدّيمقراطية) يُحَدّد ذلك, أيّ ألشّورى بتعبير بعض المسلمين؟

أو هو أمرُ آللـه تعـــالى, أيّ ألولايــة كأهم اصل من أصول الأسلام؟

أمْ هو أمرٌ بين آلأمرين, أيّ بين(آلشورى و الولاية)؟

و يُمكنُنا تَحْدِيدُ آلأسـئلة أعلاه بسـؤآلٍ جامـعٍ واحد هُو:

[هلْ إمامَةُ آلأمّة و قِيادَتها تكونُ بآلأنتخابِ أمّ آلنّصِ؟]

ألأحتمال ألأوّل؛ (ألشّورى) .. تَطَرّقنا إليهِ بآلبَحثِ و آلتّمحيصِ سابِقاً, و توصّلنا بشكلٍ قاطعٍ و عَمَليّ إلى فسادِ ألنظام ألدّيمقراطي(ألشورى) و تناقضهُ معَ أصلِ ألولاية في آلعقيدة ألأسلامية و آلتي تَخْتَصُّ بالله و رسوله و أُولي آلأمر, و برْهنّا بالتالي عدم تناسبهِ – أيّ ألديمقراطية - مع طبيعةِ و فطرةِ ألأنسانِ و كرامتهِ و حُرّيّتِهِ و عِلّة وجُودهِ في آلأرض, كما أنّ هُناك دائماً قِسماً من آلناس لا يُؤمنون بمبدأ آلأكثرية, و لا يُمكن إخضاعهم

لقانون ألأكثريّة ألغير معصومة .. إلّا على أساسِ ألقهر و آلأجبار, و هذا هُو عَينُ آلظلمِ و آلدّيكتاتورية, بالأضافة إلى عدم وجودِ نصٍ عليهِ في آلشّريعة ألأسلاميّة .. و هو ألأهم بآلنّسبة للمُؤمنين بآلغيب.

و يُؤكد ما توصّلنا إليهِ من آلنتائج, جميع فقهاءَ و مُفكّري ألأسلام ألكبار مُنذُ قرونٍ كآلشيخ ألكليني و ألطوسي و آلعلّامة ألحلّي و آلشيخ أحمد آلنراقي(ت1829م) ألذي أثْبتَ أنّ للفقيهِ ما هو للنبي و آلأمام – إلّا ما أخرجهُ آلدّليلُ من إجماع أو نصٍ أو غيرهما – و كانَ يدعو إلى آلولاية ألمطلقة(10), و آلسيد آلخوئي و كذا ألأمام ألخميني(11) و آلسيد ألسيستاني و آلفيلسوف ألمظلوم محمد باقر آلصدر و آية آلله محمود ألهاشمي و آية الله كاظم ألحائري ألذي قال مُبَيّناً ظُلم آلشورى و بُطلانهِ: " هناك قسماً من آلناس هم أطفال أو أشخاص لم يبلغوا ألسن ألقانوني ليسمح لهم بالأشتراك في الأنتخاب, فما يقولون لهم بعد أن تصل أعمارهم إلى آلسن ألقانوني, و قبل أن تنتهي ألفترة ألمحددة للشخص أو آلنظام ألمنتخب؟ كون الأنتخابات لا تجري كلّ يوم, و لكن في كلّ يوم ألكثير من آلأشخاص تصل أعمارهم إلى ألسن ألقانوني, و عليهم أنْ يخضعوا قهراً للشخص أو آلنظام ألمنتخب(ألحاكم)"(12).

و آلأنتخاب كما وضّحنا سابقاً قد تُؤثّر فيه آلأموال و آلمصالح آلحزبية و آللّوبيّات و آلأئتلافات لما لها من تأثير مباشر على مجاري ألأمور و حياة آلناس, كما نشاهد مصاديقها كلّ مرّةٍ في مُعظم - إنْ لمْ نقلْ كلّ ألأنتخابات ألتي تجرى في دول ألعالم, حيث يفوز بالرئاسة أيّاً كان بفعل تلك المؤثرات ألفاعلة, و آلأخطر ممّا نشاهده في نتائج هذا المنحى هو ركوب موجة آلأنتخابات من قبل ألأنتهازيين بعد إستغفال ألناس ألبسطاء و تثوير مشاعرهم بإسم آلدّين أو آلدّيمقراطية أو آلوطنية أو آلقومية لضمان آلفوز .. لذلك لا يُمكن ألأطمئنان بأيّ حال من آلأحوال لرأي آلناس فقط مهما كانوا – ناخبين و مُنتخَبين بمعزلٍ عن تأيّيد ألمرجعية ألدينية .. كونها صمّام أمان و ترشيد من قبل من إختاره خالق آلكون بالنّص ألمتوالي .. كما سيأتي بينابهُ!

و كما جاء في بحثنا سابقاً فأنّ فكرة ألأنتخابات(ألدّيمقراطية)؛ بمعنى حُكم آلنّاس لأنفسهم بأنفسهم – إذْ حاول آلبعض تنسيبها للكِتاب و آلسّنة – فإنّهُ لم يَرِدَ فيهُما نصّاً يُؤشر للموضوع بهذا آلمعنى, و قد حاول هذا آلبعض حشر ألآيات ألقرآنية كآيتي ألشورى: "و أمرهم شورى بينهم"(13), و "شاورهم في آلأمر"(14) و غيرهما للأستدلال على فكرة ألدّيمقراطية أو آلشورى في آلحكم بَدَلَ "ولاية ألفقيه" .. و ما هو إلّا إفتراءٌ و قلّةُ درايةٍ و معرفةٍ بحقيقةِ ألقرآن و رُوح ألأسلام و أهميّة و مكانة ألولاية و دورها في تَحقيق غاية ألرسالة ألألهية و علّة خلق ألكون و آلأنسان(15), و من أبرز و أهمّ ألملاحظات ألتي أشارَ إليها هذا آلبعض في موضوع ألشورى هي :

أولاً: ما ورد في بعض ألآيات ألقرآنية ألمباركة من نسبة آلخلافة إلى آلمجتمع و ليس لوصيّ مُعيّن بالنّص بعد آلنبي, و عندئذٍ قد يحلو لكاتبٍ أو مُثقّفٍ مُعيّنٍ أنْ يتصوّرَ أنّ آلأسلام جاءَ بفكرةِ آلدّيمقراطية (ألشورى), حينما نسبتْ ألخلافة كلّياً إلى رأي آلأمة, و إعتبروها حلّال ألمُشكلات و آلخلافات.

ثانياً: ما أوردهُ ألبعض من روّاة إخواننا آلسُنّة عن ألرّسول(ص)؛ و هي: " أمّتي لا تجتمعُ على آلخطأ " و في روايةٍ أخرى " ... لا تَجْتَمعُ على ضلالةٍ "(16), حيث جعلوها دليلاً على صحّة ألأنتخابات و آلشورى لِتَعيّن ألأمام بإجماعِ ألمُسلِمينَ!

أما بآلنّسبة للأحتمال ألأول فيما يَخُصّ "آيات ألشورى"؛ فهناك قصورٌ واضح و بيّن في فَهْمِ مَدلولِ و فلسفة ألآيات و أسباب نُزولِها!

ففي سُورة (ألبقرة / 30)(و إذْ قالَ رَبّكَ لِلمَلائِكَةِ إنّي جاعلٌ في آلأرض خليفة قالوا أ تجعلُ فيها من يُفسد فيها ...) للآية مدلولٌ عامّ يستبطن آلتخصيصَ, ويَتبيّن ذلك من خلال ألحِوارِ ألهادئ ألذي جرى بينَ آلله تعالى و ملائكته آلمقربين و كما ورد في آلآيات آلعَشر ألّتي جاءت بعد آلآية ألآنفة في سورة ألبقرة, حيث يظهر من سياقها موضوعياً .. بأنّهُ كانتْ هُناكَ خلافةٌ عامّةٌ من قِبلِ ألباري في خلائقَ سَبَقَتْ مرحلة خلق أبينا آدم عليه آلسلام في أزمانٍ مُتفاوتة, و لكنّها فَشَلَتْ في آلأمتحان و قامتْ قيامتها و تَبيّن أكثرهم من آلفاسدين, و لذلك لمْ يرتاح آلملائكةُ لأوّل وهلةٍ عند سماعهم للخبرِ مرة أخرى و بنفس ألشاكلة, و كان ظنّهم ألتّشاؤمي ألسلبي بهذا آلمخلوق آلجّديد "آدم"(ع) في محلّهِ .. تأسيساً على آلخيانة و آلفساد في تلك آلخلافة ألعامة, بناءاً على آلتجارب ألسابقة, أما في سلسلة أبينا آدم(ع) فقد إختلف آلأمر بجعلهِ تعالى لِخلافةٍ خاصةٍ مُرافقة تُرشدُ ألخلافةَ ألعامّة كشاهدٍ عليها في آلبشرية(17), لتكونَ بمثابة ألحُجّة لتحقيقِ ألتكامل ألأنساني, بتخصيصهِ تعالى لتلك آلخلافة ألقدوة "بمُحمّد و أهل بيته ألكرام و إمتداد ولايتهم في آلأمة".
و لِذلك عندما عَلّمَ آدم(ع) ألملائِكَةَ و بأمرٍ مِنَ آلله(يا آدم أنبئهُم بأسمائهم...)(18) - تلك آلأسماء ألمقدسة أيّ(مُحمّد و أهل بيته) - فأنّهُ سرعان ما تنازلوا عن موقفهم و قالوا: " سبحانك لا عِلمَ لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنتَ آلعليم آلحكيم", ثمّ سجدوا لآدم جميعاً إجلالاً لتلك آلخلافة ألخاصة آلتي ستظهر من نسل آدم(ع)! إلّا إبليس(ألشيطان) أبى و إستكبر و لم يَسجد رغم إنّهُ كان رئيس آلملائكة و عَبَدَ الله آلافاً من آلسنين, و آلأعلم بأسرار آلوجود بعد آلله تعالى, حيث لم يشأ أن يرى في آلوجود مَنْ هم أقربُ منهُ لله, ستتحقّق بوجودهم تلك آلخلافة الألهية ألخاصّة ألعظيمة في عموم ألخلق و آلكون, فإستكبر على أمر الله! و لو كانت آلملائكة تعرف من قبل أنْ يُنبئهم آدم بتلك آلخلافة ألمقصودة؛ بأنها خلافةٌ خاصةٌ تتعلّق بآلرسول و أهل بيته و ليست"عامة" لما كانت تعترضُ على الله بالقول: "أ تَجْعَلُ فيها منْ يُفسد فيها و يسفك آلدّماء ..."، حيث لم يسبق للملائكة أن إعترضوا على أمرٍ أو شيئ فعله الله تعالى من قبل إلّا على هذا, و لذلك فأنّ غِيرة الملائكة و تَخَوّفهم كانت في محلّها لعدم إطّلاعهم على سرّ و أبعاد تلك آلخلافة ألجديدة إبتداءاً .. بكونها لا تختصّ بكلّ آلخلق كما كان سابقاً! لكنّ آلباري تعالى و عِبرَ حِوارٍ هادئ وضّح لهم كلّ شيئ ختمها بالقول: " إني أعلم ما لا تعلمون ", بمعنى أنّ هناك خلافةٌ خاصة تختلف عمّا شهدتّموهُ منْ قبلْ, لا علم لكم بها, و سيقوم بتمثيلها هذه ألمرة أهل بيتٍ كرام طاهرين مُنتخبين من قبل, و إني لم أخلق هذا الوجود إلّا بسببهم, كما ورد في حديث "ألكساء" عن ألمعصومين (ع)(19), و من هذا يُفترض أن تكون ألخلافة ألمقصودة من الله تعالى ذات معالم و مواصفات رفيعة جداً تُضاهي بل و تفوق مقام و مركز ألملائكة و آلجّن و آلإنس في آلكون, فهلْ يُعقل أنْ يُوجد في آلبشر خلقاً بتلك آلمُواصفات ألسّماوية بإستثناء أهل بيت ألنبوة و معدن آلرّسالة ألطاهرين!؟

و ما يُقوّي إستدلالنا على آلخلافة "ألعامة" للبشريّة و آلتي تختلفُ – كما وضّحنا - عن "ألخاصّة"؛ قوله تعالى: " هو آلّذي جعلكم خلائِفَ آلأرض و رَفَعَ بعضكم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ..."(20).

فهذا آلخطاب هو خطابٌ لكلّ ألبشرية و ليس لشخصٍ مُعّينٍ, و مهما حاولنا ألتعمق في آلآية و تسّيسها فأنها لا تُفسر موضوعيّاً بجعل أمرِ ألحكومة للنّاس, مع ما تقدّم من آلبحث إلّا بلزوم وجود ألقدوة ألصالحة كي يُحقّق آلبشر من خلالها – كنموذج - ألتدرج آلطبيعي في ألسير و آلسلوك إلى الله للوصول إلى آلتكامل ألنهائي ألتي وصفها آلأمام ألباقر في حديثٍ مُتواترٍ رفيع لـ "جابر" شخّصَ فيه مُواصفات ألخليفة ألعامة ألتي تَتَمَثّل بالمُوالين لأهل آلبيت(ع) كي يتّصفوا بشيعة مُحَمّد و أهل بيته ألطاهرين(21).

و مِمّا يُؤكّد أيضاً .. أنّ كلِمةَ "ألخلافة" ألواردة في آيات عديدة من آلقرآن تُمثل آلخلافة ألعامة, كونهُا خطابٌ لكلّ آلناس و لا علاقة لها بآلخلافة ألخاصة و موقعها في آلأمة, كقوله تعالى أيضاً: "و لقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا, وجاءتهم رسلهم بآلبينات و ما كانوا ليؤمِنُوا كذلك نجزي آلقوم آلمجرمين ثم جعلناكُم خَلائفَ في آلأرض"(22).

في آلمقابل فأنّ {ألقرآن حينما يستعمل "ألخلافة" بمعنى آلقيادة, و آلحكم بآلخصوص, فأنّنا نرى أنّها لا تُنسب للبشرية و إنما تُنتسب إلى شخصٍ مُعيّنٍ, من قبيلِ قولهِ تعالى:" يا داوود إنّا جعلناكَ خليفةً في آلأرض فإحْكم بينَ آلناس بآلحقّ ..."(23)}(24), فالخلافة هنا إختصّت بآلحكم و بآلأسم, و لم تُنسب للنّاس – كما نُسِبتْ في آلآيات ألسابقة – و إنما نُسِبتْ إلى شخص داوود, و كذلك آلأمر في إمامة إبراهيم(ع).

أما بالنسبة للأحتمال ألثاني في "عدم إجتماع آلأمة على آلضلالة"؛ فلا نُريد طرح نظر آلشيعة, لأنّهم أساساً لا يُؤمنون بها و بأسانيدها, كونها لم ترد بسندٍ صحيحٍ و تامٍ, فآلرّواة غير ثقاة في نظر مُحَدّثي ألشيعة ألذين يُدَقّقون كثيراً في أبسط آلروايات .. لكنّنا نريد بحثَ آلموضوع من خلال مدرسة ألسّنة, حيث إنّ هذه آلرواية لم ترد في أي من آلصحاح ألست, و هذا يكفي للأستدلال على بطلانه, و حتى لو ذكر في أحد الصحاح فأنه غير مقبول فيه كون إخواننا آلسنة يأخذون بآلحديث ألذي تَكَرّرَ في صحيح ألبخاري و صحيح مسلم, فكيف و آلحديث لم يُذكر أساساً في جميع صحاحهم!؟, و قد أثبت آية الله ألسيد ألحائري ضعف آلرواية لأنقطاع سنده و عدم ثقة آلرّواة(25).

أمّا آلجّانب ألتّطبيقي لتلك آلرّواية؛ فنتساءل: هلْ كان هناك إجماعٌ – حقّاً – على من "إنْتُخِبَ" كخليفةٍ للمُسلمين من بعد آلرّسول(ص)؟

فمن آلمعروف لدى آلفريقين أنّهُ لمْ يكنُ إجماعٌ من قُريش(26) في خلافةِ أبي بكر, بل كادتْ أنْ تُؤدّي لفتنه كبيرةٍ, لعدم وجود أساس شرعيّ, أو نصّ قرآني أو حديثٍ عن آلرّسول(ص) بذلك آلخصوص ليكون مورد إحترام الجميع خصوصاً بني هاشم؟ و أساساً لم تُجْرى أيّةُ إنتخابات بآلمعنى آلمُتعارف عليه حتى آليوم, و إنّما إنفردَ بعضُ آلصّحابة في سقيفةِ بني ساعدة و تآمروا بينهم لتنصيب "ألخليفة", و إنّ أكبر قبيلتين في آلجزيرة ألعربية و هما "ألخزرج" و "بني هاشم" عارضتا بشدّة قرار ألسّقيفة, معَ عددٍ كبيرٍ من آلصحابة بقيادة آلأمام عليّ(ع)!

و لو فرضنا وقوع آلأجماع – و هو يُخالف آلتأريخ و آلحقيقة – فهل هذا يُبرّر كون "ألأمامة" تُثبتُ بالأجماع؟

هذا آلفرض ينافي ألنصوص ألواضحة بشأن "آلأمامة" بروايات و مواقف آلرسول(ص) و آلأئمة آلأطهار(ع) أنفسهم! و فوقّ ذلك ما صرّح به آلقرآن ألكريم ألذي جعل ألأمامة مرحلة مقدّسة و مُقدّمة على آلنبوّة, بإعتبار ألنّبوّة مسألة بين الرسول و المرسل بين الأمامة تتعدى ذلك لتكون حلقة الوصل بين المرسِل و آلرّسول و الأمة, لهذا لم يكن كل الأنبياء أئمة.

و نُشير إلى بعض ألآيات ألصريحة و آلمحكمة مع آلرّوايات ألواضحة ألمُتواترة ألتي حصَرَت آلرئاسة و آلسّلطة (ألحكومة) ألشرعية ألأسلاميّة لله تعالى ثمّ رسوله(ص) ثم آلأوصياء ألأثني عشر ألطاهرين(ع) و من بعدهم للفقيه آلأعلم و آلأقدر من بين آلفقهاء كما سيأتي بيانهُ – في زمن ألغيبة ألكبرى التي نعيش ربما فصولها ألأخيرة مع بدء ألألفية الثالثة إن شاء الله – و هي :

*" إنا أنزلنا إليكَ آلكتاب بآلحقّ لتحكم بين آلنّاس ..."(27).

*" أ فَغَير الله أبتغي حكماً و هو آلذي أنزل إليكم آلكتاب مُفصلاً "(28).

و بمتابعة آلآيات ألتالية للآية آلسابقة ؛ يُشير ألباري تعالى بدقّة و وضوح إلى بُطلان ألحكومات ألأرضية, حتّى تلك التي تتشكل عبر آلأنتخابات, بالقول: " ... و آلّذين آتيناهم آلكتاب يعلمون أنّه مُنزّلٌ من ربك بآلحقّ فلا تكوننّ من المُمْترين, و تمّتْ كلمة ربك صدقاً و عدلاً لا مُبدّل لكلماته و هو السميع العليم, و إنْ تُطِعْ أكثر من في الأرض يُضلّوك عن سبيل الله إنْ يتّبعون إلّا آلظن و إنْ هُم إلّا يَخرصون"(29).

*" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و أنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره و رسلهُ بالغيب إن الله قويٌ عزيز "(30).

*" يأ أيّها آلذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي آلأمر منكم فأنْ تنازعتم في شيئ فردّوه إلى الله و آلرسول إن كنتم تُؤمنون بآلله و آليوم آلآخر ذلكَ خيرٌ و أحسنُ تأويلاً "(31).
ثم يُحَدّد ألباري تعالى موضوع آلحكم و آلقيادة و آلولاية بالأسم و آلعنوان بإتّفاق ألمفسيرين في آلمدرستين, حيث يُحصرها في ولاية و حكم الله أولا .ً ثم آلرّسول(ص) ثانياً .. ثم أمير آلمؤمنين عليّ(ع) و أبنائه ثالثاً.

*" إنّما وليّكم الله و رسوله و آلذين آمنوا ألذين يُقيمون آلصلاة و يُؤتون آلزكاة وهم راكعون"(32).

و لا يتوقّف ألأمر عند هذا آلحدّ!
بل إنّ الباري تعالى حَكَمَ على جميع آلناس ألذين لا يَسْعَوْنَ لإقامة ألحكم آلألهي بالكافر و آلظالم و آلفاسق و لم يستثني أحداً من العالمين حتى أهل آلأديان ألسماوية ألأخرى كما ورد في القرآن, و لا أعتقدُ بأنّ هناك صفاتاً أدنى مرتبةً و إنحطاطاً من تلك الصفات للذين لا يُريدون تطبيق آلحكم الأسلامي, لكونها- تلك الصفات ألثلاثة - تستجمع كلّ آلشّر و آلمنكر و آلضلالة بما فيها آلنفاق ألذي أصحابه في آلدّرك ألأسفل من آلنار, حيث يقول آلباري تعالى:

" و منْ لمْ يَحكم بما أنزل الله فأؤلئك هم آلكافرون "(33). و هم آلذين يُخفون آلحق!

" و منْ لمْ يَحكم بما أنزل الله فأؤلئك هم آلظالمون "(34). و هم آلذين يأخذون حق آلآخرين!

" و منْ لمْ يَحكم بما أنزل الله فأؤلئك هم آلفاسقون "(35). و هم آلذين يشيعون الفساد و آلمنكر بين الناس!

أمّا الأحاديث ألمتواترة و آلواضحة و آلصريحة(36) و آلّتي بيّنت مكانة ألعلماء عموماً بين آلناس - هي:

وَرَدَ في صحيح ألبحتري, عن أبي عبد آلله(ع) : { ألعلماء و رثة آلأنبياء }(37).
رواية إسماعيل بن جابر, عن أبي عبد الله(ع) : { ألعلماء أمناء آلرسل }(38).
رواية مرسلة ألفقيه, عن رسول الله(ص) قال : { ألّلهم إرحم خلفائي, قيل يا رسول الله, و من خلفاؤك؟ قال: ألذين يأتون من بعدي و يروون حديثي و سنّتي }(39).
رواية أبي حمزة عن أبي آلحسن موسى بن جعفر(ع) و فيها : { ألمؤمنون ألفقهاء حصون الأسلام؛ كحصن سورة المدينة لها}(40).

رواية ألسكوني : عن آلأمام ألصادق(ع) : { ألفقهاء أمناء آلرسل ما لم يدخلوا في آلدنيا, قيل يا رسول الله و ما دخولهم في آلدنيا؟ قال إتّباع السلطان, فأذا فعلوا ذلك فأحذروهم على دينكم}(41).

حديث قدسي : قال تعالى لعيسى(ع) : {عَظِّم آلعلماء و إعرف فضلهم, فأني فضّلتهم على جميع خلقي إلّا النبيين و آلمرسلين؛ كفضل آلشمس على آلكواكب؛ و كفضل آلآخرة على آلدنيا؛ و كفضلي على كلّ شيئ}(42).

و بشكل عامّ فإنّ جميع ألأحكام ألآمرة بآلرّجوع إلى آلفقهاء و حكمهم واردة بآلدّعاوى و آلقضاء بين آلخصوم, و آلفتوى في آلحوادث ألّتي تقع في آلأمة(43).

أمّا آلأحاديث ألّتي بيّنتْ خصوصياتِ و مسؤولياتِ ألعلماء و آلفقيه ألّذي لهُ حقّ ألتصدي لأمور و زعامة ألمسلمين خصوصاً و آلأنسانية عموماً و بالنّصّ في زمن ألغيبة ألكبرى .. فهي:

* ألتّوقيع ألرّفيع و آلمشهور ألذي وَرَدَ عن ألأمام ألحجة(عج) في حياة ألسفير آلثاني مباشرةً, و قد جاء جواباً على سؤآل آلفقيه ألشيخ أبو إسحاق ألكليني(رض) حول مسائل عدّة, ذكرها آلشيخ ألصدوق(رض) بالقول: حدّثنا محمّد بن يعقوب ألكليني عن إسحاق بن يعقوب؛ قال:{ "سألت محمّد بن عثمان ألعمري(رض) أنْ يُوصل لي كتاباً قد سألتُ فيه عن مسائل أشكلتْ عليّ, فوردَ في آلتوقيع بخطّ مولانا صاحب آلزمان(ع)": (... و أمّا آلحوادث ألواقعة فإرجعوا فيها إلى روّاة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم و أنا حجّة الله عليهم)}, و في كتاب ألغيبة رواهُ آلشيخ ألطوسي بسندٍ لا بأس به .. و في آخرة؛ " ... و أنا حجّة آلله عليكم"(44).

* " مقبولة إبن حنظلة " {عن عمر بن حنظلة, قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما مُنازعة في دينٍ أو ميراث, فتحاكما إلى آلسلطان أو إلى آلقضاة؟ قال(ع): من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فأنما تحاكم إلى آلجبتْ و آلطاغوت ألمنهي عنه. و ما حَكَمَ لهُ به فإنّما يأخُذ سحتاً, و إنْ كان حقّهُ ثابتاً لهُ لأنّه أخذهُ بحكم آلطاغوت, و منْ أمر الله عزّ و جلّ أنْ يُكفر به, قال الله عزّ و جلّ: (يُريدون أنْ يتحاكموا إلى آلطاغوت و قد أُمروا أنْ يكفروا به)...}(45).

* " روايتي أبي خديجة - سالم بن مكرم "؛ عن أبو جعفر محمد بن علي بن ألحسين بن موسى بن بابويه ألقمي ألفقيه – روي أحمد بن عائذ عن أبي خديجة سالم بن مكرم ألجمال, قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد آلصادق(ع): "إيّاكم أنْ يُحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل آلجّور, و لكن إنظروا إلى رجلٍ منكم يعلمُ شيئاً من قضايانا, فأجعلوهُ بينكم, فأني قد جعلتهُ قاضياً, فتحاكموا إليه"(46).

* " رواية داوود بن ألحصين ", عن أبي بصير بسند تامّ عن ابي عبد الله(ع)؛ "قال في رجلٍ كان بينه و بين أخ له مُماراة في حقّ, فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه و بينه, فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء" كان بمنزلة آلذين قال آلله – عز و جل: أ لم تر إلى الذين يزعمون إنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أُمروا أن يكفروا به"(47).

* " رواية ألأمام ألصادق(ع): "فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه, حافظاً لدينه, مخالفاً على هواه, مُطيعاً لأمر مولاه, فللعوام أنْ يُقلدوه "(48).

* " رواية أبو البختري "(49), و غيرها كثير, نكتفي بِما قَدّمنا.

و يُمكننا مُلاحظة مسألتان في غاية ألأهمية في آلروايات آلآنفة .. ألأولى؛ في آلتوقيع ألمشهور عن ألشيخ أبو

إسحاق ألكليني(رض) في مفهوم (ألحوادث ألواقعة), حيث لم يَقصد به آلأمام قضايا العبادات و آلأحكام ألثابثة كالصوم و الصلاة و آلحج و آلميراث فقط, كونها كانت موجودة و مُشرّعة قبل ذلك التوقيع, حيث بيّن آلقرآن و آلرسول آلأكرم(ص) و آلأئمة آلأطهار(ع) أحكامها(41), و إنما عنى بها ألأمام ألحجة(ع) جميع آلمسائل آلّتي تتعلّق بحياة آلبشرية و تطوّرها.

أما آلمسألة ألثانيّة؛ تتعلّق بتعيّن مواصفات ألفقيه ألّتي بيّنها آلأمام كي يكون قادراً و مؤهلاً للتّحكّم بآلحوادث ألواقعة و صياغتها و تفعيلها طبق آلمنهج آلأسلاميّ و أصول آلأستنباط آلأربعة(50), حيث أشار سلام الله عليه إلى وجوب و جود فقيهٍ واحدٍ من بين آلفقهاء في كل عصر يتصدّى للأمر, كما هو واضحٌ في عبارة (منْ كانَ من آلفقهاء ...) و ليس جميع ألفقهاء!

كما إنّ وجوب آلأجماع من آلفقهاء على "ولاية ألفقيه" كإمامٍ يُمثل آلنّيابة ألعامّة للأمام ألحجّة(عج) لأدارة شؤون آلأمة ألأسلاميّة في زمن ألغيبة ألكبرى مسألةٌ واضحة لا يختلف عليها عاقلان, لأنّه بغير ذلك سيُفسح آلمجال أمام آلظّالمين و آلمنافقين للتّحكم بآلنّاس و بآلحوادث آلواقعة, و بآلتالي نشر آلفساد و آلأنحراف و آلظلم و آلمنكر ألذي نهى عنه سبحانه و تعالى, و أمرنا بمحاربتها و آلنهي عنها, و هذا ما عايشناه خلال حقبة سيطرة ألنظام ألبعثي ألهجين على ألعراق و آلمآسي آلتي خلّفها ذلك آلنظام ألمقبور, كما يُمكننا ملاحظة ألظلم و آلأنحراف بنسبٍ متفاوتة من خلال مواقف و برامج جميع حكومات آلأرض ألقائمة للأسف !

أما آراء ألفلاسفة و آلمفكريين ألأسلاميين, بشأن "ولاية آلفقيه" أو "ألحكومة ألاسلامية" بتعبير آلأمام الخميني ألراحل(قدس) فهي بإختصار:

لقد أجمع آلفلاسفة ألأسلاميّون و آلفقهاء ألكبار منذ بدء عصر الغيبة الكبرى بأنّ آلحُكم و آلقضاءَ لا بُدّ أن تكون بيد ألفقيه ألعادل .. كشيخ آلطائفة و آلعلامة ألحلي و آلمولى ألنراقي و صاحب ألجواهر و آلشيخ فضل الله آلنوري و آلسيد ألخوئي و آلأمام ألخميني و آلشيخ آلمطهري و آلعلامة ألطباطبائي و آلأمام مُحمّد باقر ألصدر و آية الله ألكوراني و آية آلله ألآصفي, و آية الله ألسيد محمود الهاشمي و آية آلله ألسيد ألحائري, و قطب ألمرجعية ألدينية في آلنجف ألأشرف آية الله ألسيد ألسيستاني و آلذي يعتقد بإقامة ألدّولة ألأسلامية كونها فرض على آلفقيه ألعادل ألقادر على ذلك لو تهيّأت ألفرصة و آلظروف ألمناسبة لإقامتها(51), فبدونها – أي بدون ألحكومة ألأسلاميّة - تضيعُ آلصّلاة و آلصّوم و آلتّوحيد و آلمعروف و آلحقوق, و لم يختلف فيه أيّ فقيهٍ مخلصٍ واعٍ لحقيقةِ و روحِ ألأسلام سواءاً من آلمتقدمين أو آلمتأخرين.

ربّما كان آلخلاف من بعض ألآحاد – و هي إستثناآت - في مُستوى و مساحة ولاية ألفقيه في آلأمة, و لم يختلفوا في أصل إقامتها خصوصاً فيما يتعلّق بالأمور الحِسبيّة(52), و بما أنّ أساس آلبحث يتعلّق بالولاية ألتكوينية و آلتشريعيّة ألمنبثقة عنها كونهما أصل ألأصول في عقيدة ألمسلم ألذي يُريد آلأتصال بآلله عن طريقها آلمتمثل بذوي ألقربى(53) الذين أوصانا الله تعالى بآلتمسك بولايتهم و محبّتهم, لأنهم آلمعيار ألذي من خلاله تُوزن آلأعمال و يتحدّد ألمصير, و بما أنّ هذه ألولاية إنحصرت في علماء آلحوزة العلمية ألتي أنشئت بداياتها بعد آلغيبة ألكبرى, كونها ألمدرسة آلتي تستجمع ألعلوم و أسرار ألرسالة آلأسلامية التي لا بُد من معرفتها للتصدي لزعامة آلأمة لنشر و تحكيم الأسلام, لذلك سنلقى آلضوء على هذه المؤسسة آلتي تُخَرّج و تُحَدّد لنا ألفقية آلذي على آلأمة إتّباعه و تقليدهُ لتحقيق آلغاية من خلق الأنسان و هو التكامل في كل شيئ .. هذا التكامل ألذي لا يتحقّق إلا من خلال ألحكم ألأسلامي الذي حدّده لنا آلباري تعالى عن طريق ألرسول(ص)

فالأئمة الطاهرين(ع) فالفقيه ألمتصدي ألأعلم و آلأعدل و آلأعرف بزمانه و بآلمجتمع ألأسلامي منْ بين آلفقهاء, و يُؤكد وليّ أمر آلمسلمين ألأمام ألخامنئي على أهميّة آلدّولة نقلاً عن سيد قطب, بأنّ مجرّد إقامة ألحكومة ألأسلامية تعادل آلكثير(54), و بإعتقادي تُعادل كلّ ما قدّمه آلعلماء منذ شهادة ألأئمة ألمعصومين(ع) و بدء ألغيبة ألكبرى و إلى يومنا هذا بل و أكثر من ذلك!

لكنْ منْ هُم هؤلاء ألأمناء ألمخلصين ألواعين من آلفقهاء ألرّبانيين ألمثقفين؟ و ما هي مواصفاتهم و دورهم؟ و بِمَنْ يَتَمَثّل أليوم؟ و ما هو واجب ألمسلمين تجاههم؟ و هل يمكن أن تتعدّد آلولايات في آلحكم على ألأمة في آن واحد؟

قبل آلأجابة على ذلك, سنلقي آلضوء على هذا آلمنهج ألأمثل ألذي تأسّس على يد ألشيخ ألمفيد ثم آلشيخ ألطوسي رضوان الله عليهما و إستمرّ عليه كلّ آلمراجع ألعظام تِباعاً, بعد شروع ألغيبة آلكبرى(55) .. حيث رافقتها ظروف عصيبة و معاكسات آلسلطات ألتي إدّعت ظُلماً تمثيلها للأسلام إبتداءاً بآلعصر ألعباسي و آلعثماني فآلحكومات ألدكتاتورية آلتي إنبثقت بعدها في بلادنا آلعربيّة و آلأسلاميّة .. على مدى أربعة عشر قرناً و إلى آليوم, و بسبب جهاد ألأئمة ألأوصياء(ع) ضدّ آلحكومات, و مُقارعتهم لتلك آلسّلطات ألجائرة, فقد أدّى إلى إستشهادهم جميعاً, و كانت فاجعة كربلاء ألتي إستشهد فيها آلأمام ألحسين(ع)هي ألشهادة آلكونيّة ألكبرى على إنحراف آلحكام و ظلمهم بحق ألاسلام و المسلمين, و قد مثّلت تلك آلشهادة ألكبيرة مأساة آلأسلام و آلأنسانيّة, لذلك غابَ آلأمام الثاني عشر(ع) عن آلأنظار بإذن آلله ريثما يُمَهّدُ لهُ آلطريق للظهور ألعلنيّ لِيَرِثَ آلأرض و ما عليها, فلا يُمكن أنْ تخلو ألأرض من حجّة لله(48) ليتحقّق على يديه أليوم ألموعود, و بما أن للتأريخ دورٌ في ترتيب الكثير من الأمور و منها تكامل الوعي و الرشد المطلوب تحقيقه لذلك لا بُد من مرحلة ناضجة تصل إليها الأمة لتحقيق ذلك الوعد الكبير, و آلأمام ألحُجّة(ع) يُخطط من وراء آلحجب, و يدعم بشكل أو بآخر و بآليات مُتطورة كلّ من يُمثّل "ألنيابة ألعامة" للفقيه ألمتصدي لأمر آلأسلام و آلمسلمين للتمهيد عمليّاً إلى ألحكومة ألعالمية ألعادلة بإذن الله, فليس من المعقول أن تصمد دولة صغيرة بإمكاناتها و عدتها و عمرها أمام جميع طواغيت العصر عبر إصرارها بتطبيق مبادئ الأسلام و الحكم بآلشرع بين الناس لولا وجود ذلك الدّعم الغيبي ألللامحدود بإذن الله تعالى.

يقول شيخ ألطائفة ألطوسي في ألنهاية من كتاب ألجهاد: "و أمّا آلحُكم بين آلناس و آلقضاء بين آلمُختلِفين فلا يجوز أيضاً إلّا لمن أذن له سلطان آلحقّ في ذلك, و قد فوّضوا ذلك إلى فقهاء شيعتهم في حال لم يتمكن آلأئمة من تولّيه بنفوسهم"(56).

و آلمعنى كما يشير لهُ ألشيخ محمد ألمؤمن ألقميّ؛ "قد خصّ ألقضاء بآلأئمة ألمعصومين(ع) من بعد آلرسول(ص), بحيث لا يجوز تولّيه حتى للفقهاء من شيعتهم إلّا في حال لم يتمكّنوا بأنفسهم منْ تولّيه, و معلوم في هذا آلزمن ثبوت ولايتهم خارجاً عن آلأمكان"(57).

و قال المُحقّق في كتاب القضاء من الشرائع: "و هنا مسائل؛ ألأولى: يشترط في ثبوت الولاية – يعني ولاية القضاء, إذن الأمام ألمعصوم(ع) أو منْ فوّض إليهِ آلإمام ... و مع عدم حضور ألإمام ينفذ قضاء الفقيه منْ فقهاء أهل البيت(ع)(58). فحكمه في نفوذ قضاء الفقهاء يكون في حال غياب ألإمام المعصوم, دليل على أنّ أمر آلقضاء مع فعلية ولاية الأئمة عليهم السلام يكون إليهم.

و قال صاحب ألجواهر مُعلّقاً على قول صاحب ألشرائع: " في أنّه بلا خلاف عليه عندنا .. بل آلأجماع بقسميه؛ يشترط في ثبوت ألولاية في آلقضاء و توابعه إذن الأمام(ع), أو منْ فَوَّضَ إليه ألأمام ذلك لما عُرفت

منْ أنّ منصب آلحكومة لهُ(59).

كما إن آلسيد آلخوئي(قدس), ذكر في كتاب آلجهاد ألملحق بمنهاج آلصالحين, بجواز حتّى ألجهاد آلأبتدائي في عصر ألغيبة, حيث قال: "إنّ ولاية هذا آلجهاد و آلحاكم ألذي ينفّذ أمرهُ هو آلفقيه". و يُعتبر هذا آلرأي للسيد ألخوئي(رحمه الله) من آلأستثناآت في تأريخ آلمرجعية قاطبةً, حيث فاق جميع آلفقهاء في مساحة آلولاية ألتي من حقّ آلفقيه ألتصرف بها في زمن آلغيبة .. بإضافتهِ لمسؤولية ألجهاد آلأبتدائي ألذي هو من حقّ آلمعصوم(ع) إلى مسؤوليات وليّ آلفقيه ألمتصدي لزعامة آلمسلمين, لكون آلجهاد ألأبتدائي يخرج من دائرة "ألحِسبة" ألتي إتفق عليها فقهاء آلشيعة جميعاً.

و قد تبيّن من مجموع ما تقدم, أنه لا خلاف بين آلأعلام, لا في مبدء مشروعية تشكيل حكومة إسلامية في عصر آلغيبة, و لا في مبدء ولاية آلفقيه, و إنما آلنقاش في آلتفاصيل ألتي لا تؤثر على حقّ آلطاعة للفقيه في إدارة شؤون ألبلاد و حكم آلعباد, خاصةً إذا لاحظنا إنّ موارد آلحسبة تسمح بولاية واسعة حتى مع آلأقتصار على آلقدر ألمتيقن على ما أشرنا إليه سابقاً.

و لا بُد من ملاحظة هامة جدّاً, تتعلّق بالقضاء؛ حيث إن إجراء أحكام آلقاضي يحتاج إلى من يدعم هذا آلأمر و يُوفّر ألمكان و آلحقوق و آلأمكانات و آلأجواء و متابعين و مُحقّقين, و بعد صدور آلحكم أيضاً لا بُدّ من وجود من يُنفّذ ذلك آلحكم, بمعنى آلحُرّاس و آلأمن و آلمدراء و آلموظفين, و هذا يجرنا - خصوصاً في هذا العصر - للأيمان بوجوب إقامة ألدّولة ألأسلاميّة لتأخذ على عاتقها إجراء تلك آلمراحل عملياً و إلّا إستحال آلقيام بذلك, و لو إعتمدنا رأي آلفقيه آلكبير ألأمام آلخوئي(رض) فأن تنفيذه يحتاج إلى وجود دولةٍ إسلاميّة قويّة تمتلك جيشاً عقائدياً مُتطوّراً و مُسلّحاً إلى حدٍّ كبير, و من هنا كان جهاد ألأمام آلخميني(قدس) و معه مئات ألمجتهدين و آلعلماء و تياراً كبيراً من آلمثقفين و بإسناد و تضحيات ألأمة .. يَهْدفُ إلى تحقيق مضامين آيات آلحكم و آلروايات آلمقدسة, و إنّ ما قام بهِ ألأمام آلخميني(قدس) و خليفته بالحقّ ألأمام ألخامنئي كأمين مخلص للنيابة العامة للأمام ألحجة(ع) يعتبر فتحاً كبيراً لم يعدله شيئاً في تأريخ المرجعية الدينية, حيث نقلت ولاية الفقيه عبر آلحكومة آلأسلامية في إيران .. ألأمكان ألشرعيّ من حالة "ألأمنية" بالعدالة و كونهم – أيّ مراجع ألدين – صوت إعتراض دائم عبر آلقرون إلى موقع آلحكم بدولةٍ و سلاح و صواريخ و مناهج علمية و إجتماعية و صيغ حياة و ثقف سياسي عالمي! إنها تشبه تفجير آلذّرة في تأريخ آلأفكار.

أمّا ألملاحظة آلأهم في قيادة وليّ آلفقيه؛ فهي و إستناداً إلى ما روي في علل الشرائع ضمن رواية ألفضل بن شاذان؛ "فأن قيل: لِمَ لا يجوز أنْ يكون في آلأرض إمامان أو أكثر في وقت واحد, أو حتى(شورى للفقهاء) – لقيادة آلدولة؟ قيل لِعِلّلْ: ... و منها أنه لو كان إمامَين لكانَ لكلٍ من ألخصمين أنْ يدعو إلى غير آلذي يدعو إليه آلآخر في آلحكومة, ثم لا يكون أحدهما أولى بأنْ يتبع صاحبهُ من آلآخر, فتبطل آلحقوق و آلأحكام و آلحدود"(60), و تقرير دلالته على آلظاهر منه, أنّ آلأمامة مُلازمة للمرجعية لفصل ألخصومات, لأنّهُ لو كانَ هُناكَ إماميّن, و كلّ خصمان رجعا مُنفردين إلى إمامين مُختلفين, يعني توجّه أحدهما إلى إمام و آلآخر إلى إمام آخر, فربما لا ينحسم نزاعهما, و بذلك لا يتحقّق قضاء, فقد يحكم أحد آلأمامين بحكم, و آلآخر بحكم مخالف له, فلا يصلان إلى حُكمٍ فاصل للخصومة, بسبب آلأختلاف في إستنباط آلحكم, فكان من لوازم تعدد آلأئمة (ألفقهاء ألمتصدين للقيادة في دولةٍ إسلاميّةٍ) في آن واحد بُطلان ألأحكام, و مثلها ألحدود(61).

و قد حقّقتْ ولاية آلأمام آلخميني(قدس) عمليّاً إقامة آلحكومةٍ ألأسلامية على آلأرض, و إعتبر آلحفاظ عليها و آلدفاع عنها من أهمّ آلعبادات .. و هو تعبير قويّ على أهمية وجود ألحكومة ألأسلامية ألتي بقيامها تُقام ليس فقط ألصلاة و آلصوم و آلعبادات آلأخرى بل تكون ضامنة لإجراء كلّ ألحدود ألأسلامية و تحقيق آلعدالة و

كرامة آلأنسان و عزّة آلمسلمين و آلخلاص من هيمنة ألمستكبرين, إن نجاح آلدّولة آلأسلامية و تقدمها هي أُمنية كلّ المحبين و آلمفكرين و آلمخلصين لِدِينِ آلله و لرسوله و لأوليائه عليهم السلام!

و قد كان آلعالم ألرّباني و آلفقيه ألفيلسوف مُحمّد باقر ألصّدر(قدس) و جمعٌ من تلامذته ألفقهاء كآية الله ألعظمى ألحائري و آية آلله ألعظمى ألسيد محمود ألهاشمي و آية آلله محمد باقر ألحكيم "قدست أسرارهم" و غيرهم .. منْ آلذين كانوا و ما زالوا يُخططون و يسعون لتحقيق مثل تلك آلثورة ألعملاقة(62) في آلعراق و في غيرها من بلاد المسلمين, و كانوا من أوائل ألذين أدركوا بعمقٍ أبعاد و مكانة و أهميّة تلك آلثورة ألأسلامية منذ لحظة إنتصارها, و كان و لا يزال شخصية ألأمام ألخميني(قدس) في نفوسهم كبيرة و عزيزة, فقد قال أستاذنا ألشهيد ألفيلسوف(قدس) قُبَيْلَ إستشهاده لموقفهِ ألمبدئي في تأئيّد مشروع ولاية آلفقيه(ألحكومة آلأسلامية):
{ لو كلّفني ألأمام آلخميني لأكون مُمثّلاً عنهُ في قريةٍ من قرى إيران ألنائية لقبلتُ آلأمر بفخرٍ و إعتزاز} !
و قال أيضاً قولتهُ آلمشهورة: {ذوبوا في آلأمام ألخميني كما ذاب هو في آلأسلام} !
و قال(قدس) أيضاً: {إنّ آلأطروحة ألمباركة (ولاية آلفقيه) ألتي رفع سماحة آية الله آلعظمى ألخميني رايتها قد أنعشت قلوب آلمسلمين جميعاً, و أنارتْ نفوسهم} (63).

و يُؤكد أستاذنا آلفيلسوف على وجوب ولاية ألفقيه كنيابةٍ شرعيّة عامّة للأمام ألمعصوم(ع) بالقول:"كان آلأئمة(ع) يُهيّئون أجيالاً مؤمنة عالمة قادرة على فهم ألرّسالة بشكلٍ كاملٍ تقريباً .. و صحيح, و خَلق قادة للمستقبل و آلتأكيد عليهم, و هم ألعلماء, لتهيئة ألأمة إلى آلمرحلة ألجّديدة ألتالية, و يُمكن أنْ نستكشف من آلغيبة ألصّغرى أنّها كانت تربية و تهيئة عمليّة للأمة للأنتقال إلى آلمرحلة ألجّديدة, و هي قيادة آلعلماء, و في آلمرحلة ألثالثة حيث تنضج ألأمة, و تصل ألرسالة بكلّ أبعادها إلى شخصيّات مُتعددة من آلأمّة, فأنّ آلقيادة سوف لنْ تحتاج حينئذٍ إلى أكثر من توفّر عنصر ألنّضج ألرّسالي ألكامل .. زيادةً على آلشّروط ألتي يفرضها منصب ألقيادة, و في هذه آلمرحلة يأتي دور ألعلماء لقيادة آلأمة, و قد صنّف آلقرآن ألكريم ألشّهداء – ألقادة – إلى ثلاثة أصناف في آلآية ألتالية:
" إنّا أنزلنا آلتّوراة فيها هدىً و نورٌ يحكم بها آلنّبيون ألّذين أسلموا للذين هادوا و آلرّبانيّون و آلأحبار ..."(64).
و من هنا أمكن آلقول بأنّ خط آلشهادة(يقصد خط آلشّهادة على آلنّاس و قيادتهم) يتمثّل:

أولاً: بألأنبياء.
ثانياً: بألأئمة ألذين يُعَدّون إمتداداً ربّانياً للنبيّ في هذا آلخط.
ثالثاً: بألمرجعيّة ألتي تُعدّ إمتداداً رشيداً للنبيّ و آلإمام في خط آلشهادة"(65).

ولاية ألفقيه هي ولاية الله على آلناس:
بعد ما أثبتنا أن ولاية آلأنسان على آلناس آلتي تتحدّد عادة من خلال آلأنتخابات(ألشورى) لا تُحقّق هَدَفَ آلرسالة آلأسلامية, بل عادةً ما يقع آلعكس! لكونها خلافة دنيويّة تتحدّدُ من خلال إنتخاب آلنّاس للنّاس, حيثُ تكمنُ فيها كلّ بواطن آلخطر ألجدّي على مُستقبل الأسلام و آلمسلمين بسبب غَريزة ألتّسلّط ألّتي ما نجى منها حتّى آلمُتّقين و كبار آلصحابة, و حبّ آلأنسان للمال و آلشّهوات ألتي تستبطنها آلرئاسة, و بآلتّالي حتميّة ألأنحراف عن خط ألرّسالة ألألهية بآلنّسبة للأنسان آلعادي ألذي لا يتّبع أوامر وليّ آلفقيه كإمامٍ و مُرشدٍ حتّى لو كان مُتخصّصاً في مجالٍ مُعَيّن فآلأمانة هي آلمقدمة؛ لذلك لم يبق أمامنا نحن آلذين نحبّ آلله و رسوله و أهل بيته ألأطهار و آلأسلام ألذي هو دين آلحقّ .. سوى آلرّجوع إلى ولاية آلمرجعيّة ألدينيّة(ولاية آلفقيه) لتوثيق أمانة من يُريد آلتّصدي للرئاسات آلثلاث(ألتنفيذية, ألقضائية, ألتشريعية), لكونها – أيّ وليّ آلفقيه -

آلحصن ألحصين و آلأتقى و آلأعلم من بين آلعباد بخفايا و أسرار ألرسالة آلألهية و مصالح آلأمة آلأسلامية و آلأنسانيّة, و لأنّها أوّلاً و أخيراً تَهْدِفُ إلى تطبيق آلأسلام و دحر آلحكومات ألظالمة للتمهيد إلى ظهور ألمصلح ألكبير ألأمام آلحُجّة(عج).

كما إنّ قيادة آلأمام ألخمينيّ(رض) ألتي قادت ألجمهورية ألأسلامية بعد نجاح ثورتها .. و برهنت على مبدئيتها و إخلاصها في تبني خط أهل البيت ألطاهرين ألذي هو خط الرسول(ص) رغم آلأعصار و آلمؤآمرات و تكالب قوى ألكفر ألعالمي عليها بقيادة أمريكا و ألوهابية ألسعودية(66) ألّذين يُنفّذون و يُدْعمون بأعمالهم و مواقفهم .. منهج ألصهاينة لضرب آلجمهورية ألأسلامية و إجهاض نهضتها و مشروعها آلعالمي ألّذي إنْبَثَقَ من أرض سلمان "ألمحمدي" رضوان آلله عليه.

و لعل آلبعض يتساءَل لماذا كلمة "ألجمهوريّة" بجانب "ألأسلاميّة" ؟
هل ذلك يعني خروجاً عن ألحاكمية ألأسلاميّة أم دعماً لتلك آلحاكميّة؟

و آلجواب هو : إنّنا نعرف بأنّ كلمة "ألجّمهورية" هي نسبةً للجّمهور, و تعني عامّة (آلنّاس) أو آلشّعب ألذي ينتمي إلى بلدٍ و أرض مُعيّن تربطهم معاً روابط إجتماعيّة و دينيّة و تأريخيّة مُشتركة, و لكن هذا آلجمهور عندما يُقَيّدُ بصفةٍ رئيسيةٍ معينةٍ فأنّها تُعَبّرُ عن هويتهم ألأساسية ألبارزة من بين جميع آلصفات آلأخرى آلتي تتّصف بها شعباً من آلشعوب كالقومية و العرقية و الوطنية, و من هنا نرى إن قوى آلأستكبار ألعالمي حاولت أنْ تُضفي صفة ألدّيمقراطية على آلأقل بجانب ألجمهورية ألأسلامية, لذلك إضطر قائد الثورة و وليّ أمر آلمسلمين إجراء إستفتاءٍ شعبيّ أساسيّ , من آلجماهير لتحديد هويّة ألثورة و آلدّولة من آلبداية, و كان آلخيار واضحاً بين "نعم" و "لا" للجّمهورية ألأسلاميّة, و لم يكن ذلك آلأستفتاء إلّا بسبب ضغوط آلقوى و آلتيارات ألتي إرتبطتْ بآلمستكبرين ألّذين كانوا يُحاولونَ تغيّير مسار ألثورة و عنوانها بعد أنْ عجزوا على إجهاضها و دحرها!

لقد كان آلتصويت على آلهوية ألأيرانية ألجديدة مرحلةً مصيريّةً هامةً, حيث أصدر ألمجلس ألقيادي الأعلى للثورة بأمرٍ من آلأمام (قدس) و رقةً إنتخابيةً تحتوي على مُربّعين؛
ألأول: (نعم للجمهورية ألأسلامية) باللّون ألأخضر.
ألثاني: (لا للجمهورية ألأســلامية) باللون ألأحمر.
و كان ألتصويت سرّياً لكلّ منْ بلغ سن ألسادسة عشر, حيث بيّنت نتائج آلتصويت, إبداء آلناس برأيهم لصالح آلأسلام بنسبة ألغالبية ألعظمى!

و قد رفض زعيم ألمسلمين قائد الثورة الأسلامية (قدس) رأي ألمهندس مهدي بازركان(67) و مؤيّديه حول إضافة كلمة ألديمقراطية (ألشورى) إلى عنوان "ألجمهورية ألأسلامية" مُستدلّاً برأيه على عدم صلاح و جواز فرض آلآراء على آلناس بحصرهم طبق نظرية التأطير الأعلامي و توجيههم من خلال خيارين فقط, هما: (نعم) و (لا)! بل لا بُدّ – حسب رأي تيار بازركان – من فسح ألمجال أمام آلناس ليختاروا ما يُريدون خصوصاً في آلمستقبل ألذي سيختلفُ وضعه كثيراً عمّا نحن عليه ألآن.

لكنّ آلأمام آلرّاحل رَفَضَ هذا آلرّأي خصوصاً كلمة ألدّيمقراطية(ألشّورى) مُبيّناً؛ بأنّ آلدّيمقراطيّة و آللّيبرالية و آلوطنية و ما شاكلها, لا تُمثل حقيقة ألأسلام ألمُحمّدي ألأصيل – إشارة إلى إسلام رسول الله و أهل بيته – و إنّ آلدّيمقراطية هي علامة آلغرب ألبارزة من أجل نفوذهم و سيطرة شركاتهم علينا عبر عولمتهم, و خيارنا ألوحيد هو "ألجمهورية ألأسلامية"أو "ألدولة ألأسلامية" لا أكثر و لا أقل(68). و ما إجراء آلأنتخابات

ألشرعية في أوقاتها سوى مظاهرةً شعبيّةً أمامَ آلعالم كدعمٍ لحركةِ ألثورة و قيادتها .. كيّ لا يتّهموا ولاية آلفقيه بتُهمٍ رخيصة كآلدكتاتورية, أو يستغلّوا آلموقف للتصيّد في آلماء آلعكر.

كما بيّن آلأمام تلك آلعلاقة ألرّوحية و آلمصيريّة ألتي تربط بين آلأمة و آلقيادة ألأسلامية في خطابٍ لهُ عام 1979م عُقيب إنتصار ألثورة ألأسلامية على آلشّاه ألمقبور, و هو يُرّغِّب ألشعب ألأيراني ألمسلم من أجل ألتصويت للجمهوريّة ألأسلامية بالقول:

" أيّها آلشّعب ألأيراني ألمسلم؛ أنتمُ أحرارٌ في إنتخابكم لنوع آلحكومة, و بإمكانكم أنْ تنتخبوا ما تشاؤون من آلأنظمة و آلحكومات, لكنّي أُصوّتُ لصالح حكومة ألأسلام, ففيه خلاصنا من آلظلم و آلتبعية, و به تتحقّق سعادتنا و مُستقبلنا"(69).

و جاءت نتائج ألتصويت لصالح آلأسلام بالغالبية ألعظمى 93%, حيث كان للأمام ألراحل دوراً قياديّاً بارزاً في إنجاح ألثورة و صمودها بوجه ألمُخططات ألأستكباريّة التي حاولت ألمستحيل لتحريف مسارها, مُستخدمةً كلّ وسائلها آلعسكرية و آلسياسية و آلأقتصادية و آلأمنية؛ إبتداءاً بشنّ ألحروب ألعسكرية .. كالحرب ألعراقيّة – ألأيرانيّة, و آلسياسيّة .. عبر دعم آلوجوه و ألحركات آللّيبراليّة و آلعلمانيّة بقيادة ألتّيارات و آلتنظيمات ألمختلفة كمنظمة مجاهدي خلق و آلشّخصيات ألسّياسية آللّيبراليّة كبني صدر و قطب زادة و قبلهما شاهبور بختيار, و عبر آلضغوط ألأقتصاديّة .. كآلحصار ألأقتصادي و آلعلمي عبر منع تخصيب أليورانيوم و آلبحوث ألذرّية و آلفضائيّة و إغتيال عُلماؤها آلأكاديميون, لكنّ جميعها فشلتْ تاركةً ورائها جروحاً دامية, و لولا ألأمدادُ ألغيبي و صمود ألشّعب ألأيرانيّ و قيادته ألرّبانيّة ألمُتمثلة بولاية ألفقيه ألّتي تُمثّل حُكومة الله على آلنّاس .. كلّ آلنّاس, لما كانتْ آلثّورة آلأسلاميّة باقيةً إلى آليوم!

و ما زالت ألمواجهات آلأستكباريّة ألعالمية و آلدّوليّة لهذه آلثورة مستمرة على كلّ صعيد, لمحاصرتها و منع إنتشارها, و لا تقتصر تلك ألمواجهة على آلصعيد آلسياسي و آلأعلامي, بل آلمواجهة شاملة , و تُكلّف آلجمهورية آلأسلامية كلّ مرّة .. ألكثير من آلأموال و آلأرواح و آلطاقات, فكلّما أرادت أن تبدأ بمشروع على صعيد مُعَيّن - بعد إعداد و إستكمال مخططاته و مُقدّماته .. يظهر آلكثير من المعوقات أمامهم فجأةً لعرقلة ذلك آلبرنامج بدعم و تخطيط من آلغرب و أذنابهم من حكومات آلمنطقة و ألطابور آلخامس.

فليس سهلاً على آلدّولة ألأسلاميّة ألوحيدة في آلميدان و بقدراتها آلذاتيّة ألبسيطة قياساً مع آلغرب و توابعها .. أنْ تُواجه كلّ تلك آلمخططات ألشيطانيّة, لولا تسديد ألأمام ألحجة(عج) بإذن آلله تعالى .. فآلأقمار آلصناعيّة آلتي صنعتها إيران و أطلقتها في آلفضاء .. و تخصيبها لليورانيوم و آلمفاعلات ألنوويّة .. و تصنيع ألطائرات و آلسّيارات و آلأعمار و غيرها .. كلّ ذلك ما كانت لتكون- لولا ألأمداد ألغيبي آلألهي و حكمة و تقوى و إستقامة قائدها ألمُسدد بالله و بمؤآزرة آلشعب ألأيراني ألمسلم ألّذي ما بَخَلَ بعطائهِ في طريق الله يوماً .. بآلمال و آلرّوح و آلفكر و آلأبداع, و لكن ما زال أمامهم ألكثير لِتحقيق ألأهدافِ ألكبرى, فعلى آلرّغم من كلّ آلحروب و آلمعاكسات ألشيطانية ضدّها و قصر عمرها آلزمني و مُحاصرتها من قبل آلغرب .. لكنّها حقّقت ما لمْ تتمكّن أيّة حكومة أخرى - ليس في آلعالم ألأسلامي فحسب بل في كثيرٍ من دول آلعالم من تحقيقها, حتّى من آلدّول ألغربيّة ألتي تنعّمتْ بآلأمن و آلأستقرار و آلدعم على مدى أكثر من ثلاثة قرون - منذ عهد ألرّينوسانس(ألنهضة ألأوربية).

أمّا أسباب تأخّر ألمسلمين في آلدّول ألأخرى فهي كثيرة؛ نُضيف إلى ما أشرنا في مُقدّمة هذا آلبحث ألتالي:

تسلّط ألأستعمار ألذي روّج للدّيمقراطية و آلعولمة و نصَبَ علينا حكوماتٍ وضعيّةٍ و أحزاب قوميّة و وطنيّة ظالمة تُريد نهب خيرات أوطاننا و تقسيمها مع آلمستعمرين و حرمان أكثريّة آلشعب منها.

- محاربة ولاية و فكر أهل آلبيت ألكرام ألذي يُمثّله آليوم ألمرجعيّة ألدّينيّة بقيادة وليّ آلفقية .. كنيابةٍ عامّة لأمامِ آلعصر و آلزّمان (عج) و ألمُمتدة من ولاية آلأئمة آلأطهار و ألرّسول(ص) ألتي هي ولاية آلله تعالى.

- ألحروب ألدّاخلية و آلأقليمية و آلشبه عالمية ألتي أنهكت قوّتها و إستنزفت إمكانيتها, ممّا مهّد آلسبيل للغرب كي يستعمر بلداننا مع آلتحيات و آلشكر!

- تدنّي ألمستوى آلفكري و آلثقافي و آلعلمي في آلأمّة, لتدني مستوى آلجّامعات و آلمعاهد ألعلميّة بسبب ألتعاطي ألخاطئ مع آلمبادئ و آلهدف من كسب آلعلوم لدى آلنخب ألأكاديمية, و علاقة آلأختصاص مع آلأختصاصات آلأخرى و كيفية ألأستفادة منها من جانب آخر, و إنشغال آلعموم بالكسب و تأمين لقمة آلمعيشة ألتي لم تَعُد سهلةَ آلمنال بسبب ألمنافسة و قلة فرص العمل و حلول الآلة بدل الأيدي العاملة, ممّا أفْقدَ آلمواطنين ألتّمتع بالهدوء و آلراحة و آلكفاف و بالتالي صعوبة ألتفرغ لكسب آلعلوم و آلمعارف و آلتأمل في آلوجود و آلآفاق, و ألتي بها تتحقّق كل آلخير و التقدم و آلأزدهار.

- إستغلال آلحكومات في دولنا للشعوب ألمقهورة بهدر و سرقة حقوقها من أجل مصالحها و مصالح آلدّول ألمهيمنة عليها, ممّا يجبر ألمُواطن على آلعمل ألمضاعف لتأمين مُتطلّبات ألمعيشة, فَفَقَدَ بسبب ذلك ألأمان و آلراحة و ألفرص .. للتفكير و آلأبداع و آلتقدم!

- فقدان آلأمن و آلحريّة و آلكرامة آلّتي معها يفقد آلأنسان ألقدرة على آلتأمل و آلبحث و آلتّعاون من أجل آلأبداع و آلأبتكار و آلعمل ألمخلص ألدؤوب, و بالمقابل إنتشار آلظلم و آلدكتاتورية في جميع مرافق المجتمع, إبتداءاً بالبيت ثم آلمدرسة ثم آلعشيرة ثم آلدائرة و حتى رئاسة آلحكومة!

- ألنقل آلأعمى للتكنولوجيا من آلغرب, من دون معرفة أوّليات و أسس تلك آلتكنولوجيا, ممّا أدّى إلى إبقاء ألتبعية و آلأعتماد على آلغرب في كلّ صغيرةٍ و كبيرةٍ في تلك التكنولوجيا ألمستوردة, و عدم ألأعتماد على آلنفس و على آلأمكانات و آلطاقات ألذاتية .. ممّا أفقدت شعوبنا فرصة آلتطور و آلتقدم ألحقيقي.

و لولا ثروة آلنفط ألتي يعتاش عليها آلجميع في بلادنا آلعربية , لكان حالها أسوء بكثير من حال آلشعب آلهندي و آلباكستاني و آلشعوب آلأفريقية ألمغلوبة على أمرها!

و بالنّظر للأسباب و آلعلل آلآنفة .. علينا أنْ نُفكّرَ و نتأمّل بِجدٍ بمصيرنا و مصير أبنائنا و آلأجيال آلقادمة فيما لو نَضَبَ آلنفط بعد ثلاثة عقود من آلآن و نحن على هذا آلحال؟

و لا مُستقبل لنا إلّاّ مَعَ الأسلام ألمُحَمّدي ألأصيل في ظل ألولاية التي هي أهمّ من كل العبادات, و لا حولَ و لا قوّة إلّا بالله آلعليّ آلعظيم.

---

(1) يقول آلأمام علي(ع): في أنواع ألعبادة: [إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة ألتجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة ألعبيد، و إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة آلأحرار] نهج البلاغة: ألحكمة237. راجع شرح الحديث2495 في ميزان ألحكمة للريّ شهري.
- و عن الإمام الصادق (عليه السلام): [إن] آلعُبّاد ثلاثة: قومٌ عبدوا الله عزّ وجل خوفا فتلك عبادة آلعبيد، وقومٌ عبدوا الله تبارك و تعالى طلب ألثواب فتلك عبادة آلأجراء، وقومٌ عبدوا الله عزّ وجل حباً لهُ فتلك عبادة آلأحرار، و هي أفضل آلعبادة (ألكافي: 2 / 84 / 5).

- عنه (عليه السلام): إنّ آلنّاس يعبدون الله عز وجل على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونهُ رغبةً في ثوابه فتلك عبادة آلحرصاء، و هو آلطّمع، وآخرون يعبدونه فرقا من النار فتلك عبادة العبيد، وهي الرهبة، ولكني أعبده حبا له عز وجل فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن، لقوله عز وجل: * (وهم من فزع يومئذ آمنون) * ولقوله عز وجل: * (قل إن كنتم تحبون الله...) * فمن أحب الله أحبه الله عز وجل، ومن أحبه الله عز وجل كان من الآمنين (ألخصال:188 / 259).
- ألإمام زين آلعابدين (عليه السلام): إنّي أكره أنْ أعبد الله و لا غرض لي إلّا ثوابه، فأكون كالعبد ألطمع ألمُطمّع، إنْ طمعَ عملَ و إلّا لم يعمل، و أكره أن [لا] أعبدهُ إلّا لخوفِ عقابهِ، فأكون كالعبد ألسّوء، إن لم يخف لم يعمل. قيل: فلم تعبدهُ؟ قال: لما هو أهله بأياديه علي و إنعامه (ألبحار: 70 / 210 / 33).
- ألإمام ألرّضا (عليه السلام): لو لمْ يُخوّف الله ألنّاس بجنةٍ و نار لكان آلواجب أنْ يُطيعوه و لا يعصوه، لتفضّلهِ عليهم وإحسانه إليهم و ما بدأهم به من إنعامه ألذي ما استحقوه (ألمحبة / 2 : باب 665), (ألرّي شهري, محمد 1982م), ميزان الحكمة, ج3 الصفحة 1800.
(2) ستفترق أمتي إلى إثنا وسبعين فرقة كلّها في آلنار إلا واحدة, و تلك الواحدة لا يمكن أن تكون إلا تلك التي أشار لها رسول الله(ص) و أكدها في مواطن عديدة أشهرها غدير خم.
(3) في عصرنا هذا يُعتبر ألمرجع ألأعلى ألسيد علي ألحسيني ألخامنئي دام ظلّه على الأنسانيّة جمعاء هو آلقائد و آلمجتهد ألمطلق ألأعلم ألذي هضم مبادئ الرسالة الأسلامية و تحمّل مسؤولية تطبيق أحكام ألأسلأم داخل إطار الدولة الأسلامية, و يعتبر مسؤولاً على القوى الثلاث ألتشريعية و التنفيذية و القضائية, للتفاصيل راجع ألقانون الأساسي للدولة الأسلامية, ألفصل الخامس, البند السابع و الخمسين.
(4) إنّ آلفكر آلأسلامي يؤكد من خلال آلنصوص آلقرآنية آلثابتة أنّ آلولاية و الحكومة و أمور الأمة تكون للنبيّ ألمعصوم(ص), أو للأمام المعصوم(ع) من بعدهِ في حالة وجودهِ, و إلّا تكون آلولاية آلعامة للفقيه آلأعلم ألجامع لشرائط المرجعية الفقهية في الأمور آلحسبية و آلقضائية و غيرها كما بيّنا ذلك مفصلاً, بشرط معاضدة الأمة و نصرتها, و إنتخابها لها, و هذا هو مفهوم "الديمقراطية آلحقيقية" أو " آلشورى الحقيقية" في الأسلام, و التي تسعى من خلال منظومتها و مؤسساتها إلى تعبيد الناس لله تعالى من دون طواغيت الأرض .. و هذا الأصل لا يتحقّق إلّا بوجود آلدولة الأسلامية على أرض الواقع, لأنه كما يقولون : " أول ما يضيع في الأسلام ألصلاة و آخره ألحكم", و بما أن ولي الفقيه و طبقاً لقانون الدولة الاسلامية المعاصرة يكون مسؤولاً على القوة القضائية و التنفيذية و التشريعية لهذا يكون كل مسلم تابع لأوامر الفقيه المتصدي الذي يريد تحكيم شرائع الأسلام كما هو واضح في القانون.
(5) ألأسلام يؤمن بأن آلبشرية جميعاً تنحدر من أب و أم واحد, سواءاً كان أسوداً أو أبيضاً أو أصفراً أو أحمراً أو من أصول أخرى! لذلك لا فضل لأحد على أحد مهما كان أصله و فصله, كما لا يمكن لأي كان أن يكون عزيزاً أو ذليلاً بسبب عرقه أو لون بشرته أو قوميته, ألمعيار الوحيد للتفاضل هو التقوى, و التقوى له مفهموم لو تعمّقنا به لرأينا أن آلفاضل هو خادم القوم, و لك أن تعلم عظمة الأسلام من هذا آلمنطلق!
(6) ألتشريع لله وحده, و لا حق لأحد في ذلك, حتّى الرسول(ص) ما كان ينطق عن الهوى, إن هو إلا وحيٌ يوحى, حيث كان يحدّث الناس و يحكم بما كان يأمره الله تعالى عن طريق الوحي!
إنّه آلوحي ألألهي ألذي هو منبع التشريع و الأحكام بعد التفحص لأستنباط الأحكام و قوانين الحياة.
لذلك في النظام الأسلامي يكون بدل التقنين الوضعي الذي إنتشر في أكثر البلاد للأسف يكون إستنباط الأحكام هو البديل, و هذا هو الأصل الذي يؤكد إصالة الأسلام و إدامته بين البشرية.
(7) راجع كنز العرفان في فقه القرآن, مطبعة ناصر خسرو, طبعة 2 ص404, جمال الدين مقداد سيوري.
(8) شرح اللمعة الدمشقية, ج1 ص262, ألطبعة ألحجريّة.
(9) تمّ تدوين ألقانون ألأساسي للدولة الأسلامية المعاصرة في إيران عام 1979م, و بعدها أضيفت لها المقدمات ألأصلاحية و بعض التغيرات و التتمات عام 1989م, حيث تمّ تدوين القانون و ترتيبه بإشراف مجتهدين كبار و فقهاء أعلام ليكون دستوراً ثابتاً للأمة.
(10) راجع عوائد آلأيام للشيخ ألنراقي, و كذلك نظرية ولاية الفقيه و تداعياتها في آلفكر, لشفيق شقير,(2001م). مجلة ألمعرفة – ملفات خاصة.
(11) راجع كتاب ألحكومة الأسلامية, و كتاب البيع, و خطبه على مدى أكثر من نصف قرن في آلمسائل و آلأمور ألمتعلقة بآلحكومة ألاسلامية للأمام ألخميني(قدس).
(12) ألحائري, كاظم (1995م).الأمامة و قيادة المجتمع, مطبعة باقري, ص32, ط1.
(13) ألشورى / 38.
(14) آل عمران / 159.
(15) أشار لهذا آلموضوع ألأمام الشهيد ألفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) في مؤلفاته ألعديدة و نخصّ منها ؛ كتاب خلافة ألأنسان و شهادة الأنبياء(4)؛ لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الأسلامية(1) في سلسلة ألأسلام يقود آلحياة, و كذلك؛ منابع القدرة في الدولة الأسلامية؛ رسالتنا؛ إقتصادنا؛ منطقة الفراغ في التشريع الأسلامي؛ تدّخل ألدولة و مسؤوليتها؛ صلاحيات ألحاكم ألشرعي؛ كما بحث هذا آلموضوع؛ ألمفكر الفيلسوف محمود آلهاشمي في بحوثه حول الولاية, و تجدر ألأشارة إلى أنه تحمل مسؤولية ألسلطة ألقضائية في آلدولة ألأسلامية على مدى عشرة سنوات(1998 – 2008م)؛ و كذلك ألسيد آية الله كاظم الحائري(عضو مجلس ألخبراء في آلدولة ألأسلامية) في كتابه : أساس ألحكومة ألأسلامية؛ و كذلك ولاية آلأمر في عصر آلغيبة؛ و ألأمامة و قيادة المجتمع, هذا بالاضافة إلى محاضراته ألعديدة حول آلموضوع, و يُعتبر ألمفكران الكبيران آية الله ألهاشمي و آية آلله ألسيد ألحائري من أبرز تلامذة ألأمام ألفيلسوف محمد باقر ألصدر(قدس).
(16) ذكر آلحديث صاحب ألمستدرك, ألنيشابوري, ألمجلد الأول,ص 115 – 117, طبعة دار المعرفة بيروت, 1985, ط1.
(17) عبر آلفيلسوف ألفقيه محمد باقر آلصدر عن آلخلافة آلألهية في آلأرض بالقول:"إنّ آلملائكة لاحظوا خط آلخلافة بصورة منفصلة عن

آلخط ألمكمل لهُ بالضرورة فثارتْ مخاوفهم, و أما آلخطة آلرّبانية فكانت قدْ وضعتْ خطّين جنباً إلى جَنبْ : أحدهما؛ خطُّ آلخلافة, و آلآخر؛ خط آلشهادة ألذي يُجَسّدهُ شهيدٌ ربانيّ يحملُ إلى آلناس هدى آلله و يعمل من أجل تحصينهم من آلأنحراف, و هو آلخط آلذي أشار إليه آلقرآن آلكريم في قولهِ تعالى:"قُلنا إهبطوا مِنْها جَميعاً فإمّا يأتِيَنّكم منّي هُدىً فمنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَليهِمْ وَ لا هُم يَحْزَنونَ"(ألبقرة). للمزيد من آلتفاصيل راجعْ:
ألصدر, محمد باقر(1979م). خلافة آلأنسان و شهادة آلأنبياء – سلسة ألأسلام يقود آلحياة (4) – دار آلتعارف للمطبوعات, بيروت – لبنان, ص19, ط2.
(18) ألبقرة / 32.
(19) يقول آلحديث ألمتواتر بسندٍ معتبر عن جابر بن عبد آلله آلأنصاري, عن فاطمة آلزهراء(ع) بنت رسول آلله, قال: سمعتُ فاطمة(ع) أنّها قالت:"... فهبط آلأمين جبرئيل, فقال: ألسلام عليك يا رسول الله .. ألعليّ ألأعلى يُقْرِؤك آلسلام, و يَخُصّكَ بالتّحية و آلإكرام, و يقولُ لك: و عزّتي و جلالي إنّي ما خلقْتُ سماءاً مَبْنيّةً و لا أرضاً مَدْحيّةً, و لا قمراً مُنيراً, و لا شمساً مُضيئة, و لا فلكاً يدور, و لا بحْراً يجري, و لا فُلكاً تسري إلّا لأجلكم ...".
(20) روي عن الأمام الباقر(ع): "يا جابر أ يكتفي من ينتحل التشيع, أن يقول بحبنا أهل البيت(ع), فوالله ما شيعتنا إلّا من إتقى الله و أطاعه, و ما كانوا يُعرفون يا جابر إلّا بالتواضع و التخشع و آلأمانة, و كثرة ذكر الله, و آلصوم و آلصلاة, و البر بالوالدين, و آلتعهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنة, و آلغارمين و آلأيتام, و صدق الحديث و تلاوة القرآن".
(21) يونس / 13 – 14.
(22) ص / 26.
(23) ألحائري, كاظم (1995م).الأمامة و قيادة المجتمع, مطبعة باقري, ص48, ط1.
(24) للمزيد من التفاصيل راجع ألمصدر السابق, ص49 -53.
(25) لمعرفة التفاصيل راجع آلكتب التالية: ألغدير؛ ألسقيفة؛ ألأحتجاح؛ ألألفين؛ ألمراجعات؛ نهج البلاغة.
(26) ألنساء / 105.
(27) ألأنعام / 114.
(28) ألأنعام / 115 - 116.
(29) ألحديد / 25.
(30) ألنساء / 59.
(31) ألمائدة /55.
(32) ألمائدة / 44.
(33) ألمائدة / 45.
(34) المائدة / 47.
(35) صنف العلماء ألأحاديث إلى آلأقسام ألتالية:
- ألمتواتر: هو آلحديث الذي أخبر عنه جماعة, يمتنع عند العقل تواطئهم على الكذب في كل طبقة.
- ألآحاد: هو بخلاف المتواتر, حيث لا يمتنع عند العقل ألتواطؤ فيه على الكذب.
- ألمستفيظ: هو الذي يخبر بها ثلاثة أو أكثر.
- ألمشهور: هو الذي يوجد في جميع الأصول(من كتب الحديث), و قيل في آلأكثر.
- ألشاذ: هو بخلاف المشهور ألذي لا يوجد في أكثر الأصول, بل يوجد في بعض آلأصول.
- ألمردود و آلمنكر: هو الذي لا يوجد في جميع الأصول.
- ألصحيح: ما إتصل سنده إلى المعصوم(ع), بنقل المؤمن العدل عن مثله في جميع الطبقات.
- ألمُوَثّق: ما كان كلّ من رواه ممّن نصّ آلأصحاب على ثوثيقه في خبره, و إن كان مناقشاً في عقيدته.
- ألحسن: ما إتصل سنده بالمعصوم(ع) بإماميّ ممدوح من غير نصٍ على عدالته و توثيقه.
- ألضعيف: ما لا تجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدمة؛ بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق و نحوه, أو مجهول الحال, فأن إتصال السند إلى المعصوم يعبر عنه بالمتصل ألضعيف من جهة عدم وثاقة رواته.
- ألموقوف: م إتصل سنده إلى غير المعصوم ممّن صاحَبَ المعصوم(ع).
- ألمقطوع: ما إنقطع سنده من الوسط.
- ألمرفوع: ما حذف فيه أحد الرواة, أو كان أحدهم مجهولاً.
- ألمرسل: ما حذف فيه الرواة جميعاً, أو ذُكر مجهولاً.
و آلأنواع الأربعة الأخيرة مشتركة بالضعف, و لا يمكن العمل بها.
(36) ألكافي: ج1, ص32, ط3, دار الكتب الأسلامية في طهران – إيران, عام1388هـ ق.
(37) ألكافي: ج1, ص33, ح5.
(38) من لا يحضره الفقيه: ج4, ص302.
(39) ألكافي: ج1, ص38,ح3.
(40) ألكافي: ج1, ص46, ح5.
(41) منية المريد, ص36.

(42) وسائل الشيعة: ج18, ص101, ح9.
(43) ورد الحديث في مصادر عديدة منها: و سائل الشيعة: ج 18, أبواب صفات القاضي, ب11, ح9.
كما ذُكر الحديث في كمال آلدين و تمام النعمة للشيخ الصدوق؛ ج2, ص483. و كتاب ألغيبة للشيخ الطوسي؛ ص176.
(44) ورد تفاصيل آلحديث في كتاب ألأحتجاج للطبرسي (1983م). منشورات آلأعلمي للمطبوعات, بيروت, ج2, ص355 – 357, بيروت ط2. و قد إعتبره الشهيد ألثاني من الثقاة, و قبله جميع الأصحاب, و نص الرّواية:{عن عمر بن حنظلة, قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث, فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة؟ قال(ع): من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فأنما تحاكم إلى الجبتْ و آلطاغوت ألمنهي عنه. و ما حكم له به فإنما يأخذ سحتاً, و إنْ كان حقّه ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت, و منْ أمر الله عز و جل أنْ يكفر به, قال الله عزّ و جلّ: (يريدون أنْ يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أُمروا أنْ يكفروا به), قلت: فكيف يصنعان و قد إختلفا؟ قال: ينظران منْ كانَ منكم ممّن روى حديثنا, و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا, فليرضيا به حكماً, فقد جعلتهُ عليكم حاكماً, فأذا حكم بحُكمٍ و لم يقبله منهُ, فأنّما بحُكم الله قد إستخف و علينا ردّ, و آلرادّ علينا كافر و رادّ على الله, و هو على حدّ من الشرك بالله.
قلتُ: فأنْ كان كل واحد منهما إختار رجلٌ من أصحابنا, فرضيا أنْ يكونا ألناظرَيْن في حقّهما فيما حكما, فأنّ آلحكمين إختلفا في حديثكم؟ قال: إنّ آلحكم ما حكمَ به أعدلهما و أفقههما و أصدقهما في الحديث و أورعهما, و لا يلتفت إلى ما حكم به الآخر, قلت: فأنهما عدلان مرضيان, عُرفا بذلك لا يُفضل أحدهُما صاحبه؟ قال: ينظر الآن إلى منْ كان من روايتهما عنّا في ذلك الذي حكما, ألمجمع عليه بين أصحابك, فيؤخذ به من حكمهما و يترك الشاذ ألذي ليس بمشهور عند أصحابك, فإنّ آلمجمع عليه لا ريب فيه, و إنّما الأمور ثلاث: أمرٌ بيّن رشده فيُتبعْ, و أمرٌ بيّنٍ غيّه فيُجْتَنبْ, و أمرٌ مشكلٌ يردّ حكمهُ إلى الله عز و جلّ و إلى رسولهِ, حلالٌ بيّن, و حرامٌ بيّن, و شُبهاتٌ تتردّد بين ذلك, فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات, و من أخذ بالشبهات إرتكب المحرمات و هلك من حيث لا يعلم, قلتُ: فأنْ كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما ألثقات عنكم؟ قال: ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب و آلسنة و خالف العامة فيؤخذ به, و يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب و السنة و وافق العامة, قلتُ: جُعلتُ فداك أ رأيت إنْ كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب و آلسنة, ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة, و آلآخر يخالف, بأيهما نأخذ من الخبرين؟ قال(ع): ينظر إلى ما هم إليه يميلون, فأنّ ما خالف العامة ففيه الرشاد, قلتُ جعلتُ فداك! فأنْ وافقهم الخبران جميعاً؟ قال(ع): إنظروا إلى ما تميل إليه حكّامهم و قضاتهم, فإتركوا جانباً و خذوا بغيره, قلتُ: فأنْ وافق حكامهم الخبرين معاً؟ قال(ع): إذا كان كذلك فأرجه و قف عنده, حتى تلقى إمامكَ, فأنّ الوقوف عند الشبهات خيرٌ من الأقتحام في الهالكات, و الله هو المرشد.
يقول الطبرسي رحمه الله: جاء هذا الخبر على سبيل التقدير, لأنه قلّما يتفقْ في آلأثر أنْ يردَ خبران مختلفان في حكم من الأحكام, موافقين للكتاب و السنة!
(45) بن بابويه القمي, محمد (1404هـ). من لا يحضره الفقيه, منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم, إيران, ط1. كما ذكره الكليني في الكافي ج5, ص215. و في التهذيب, ج2, ص138, و في قاموس الرجال, ج4, ص297. و في كتاب وسائل الشيعة: ج18, ص4, ح5, و ص100, ح6.
(46) وسائل الشيعة: باب صفات القاضي, ج2ص3 و كذلك ج18, ص80, ح20.
(47) و سائل الشيعة, للحر العاملي, ج27, ص131, ب10, ح20.
(48) وسائل الشيعة: ج18, ص88, ح45.
(49) تجدر آلأشارة إلى أن الشهيد ألمرجع الكبير محمد باقر الصدر, عندما أصدر فتاواه(ألعبادات) أورد في بداية الكتاب توضيحاً بيّن فيه أنه لم يحتاج لا إلى العقل و لا إلى الأجماع لأصدار تلك الرسالة! و إنما إعتمد آلنصوص فقط, و هذا يُدلل على أن مجمل الأحكام العبادية لا جديد فيها تقريباً, و يعلم الجميع بأن أستاذنا ألأمام ألشهيد لم يكمل رسالته العملية في المعاملات, ربما كان يعتقد بأن بيانه للمنظومات الأسلامية آلمختلفة من خلال مؤلفاته القيمة؛ هي آلبديل ألأمثل لذلك, و الله أعلم.
(50) يعتمد آلأستنباط على أربعة مصادر هي: ألقرآن و آلسنة و آلعقل و آلأجماع.
(51) لا يوجد خلاف بين فقهاء آلشيعة على آلأقل حول ضرورة إقامة الدولة الاسلامية؛ بل هي مسألة لا يختلف عليها عاقلان, و إن آية الله السيستاني صرّح بوجوب ألحفاظ على ولاية الفقيه كونها تمثل عزّ آلأسلام و المسلمين في هذا العصر.
فقد أفاد رئيس آلأئتلاف الأسلامي الأيراني محمد نبي حبيبي بعد لقائه بالسيد السيستاني ألذي يمثل قطب المرجعية ألعليا في النجف ألأشرف قوله: لقد بيّن السيد السيستاني في لقائنا معه .. بأنّ الذي يريد خدمة الأسلام و المسلمين عليه الألتفاف حول (آلولاية), مشيراً إلى أن آلدولة الأسلامية بقيادة ولي أمر المسلمين السيد الخامنئي أعرف بشؤون المسلمين و مصالحهم!
كما أعرب ألعَلاّمة آلسيد مرتضى ألكشميري صهر آلمرجع آلديني آية الله ألسيد ألسيستاني دام ظلّه و مُمثّله في أوربا و أمريكا بالقول في لقاء جمعنا و إياه في كندا عام2008 م في مركز آلرسول آلأعظم بالقول: {لو تهيأت آلظروف ألمناسبة في آلعراق فأنّ آلسيد ألسيستاني سَيُعلن عن تشكيل ألحكومة ألأسلامية على غرار إيران, لكنّ آلوضع في آلعراق ألآن يختلفُ عن إيران و كما كانّ في زمن آلأمام ألخميني(قدس)}.
(52) للأمور ألحِسبيّة مَعْنَيَيْن: ألأول؛ يقصد بها شؤون الرقابة الأجتماعية و آلأمر بآلمعروف و آلنهي عن ألمنكر, و هذا هو آلمعنى آلأشمل و آلمقصود من ولاية ألحِسبة في آلفقه الأسلامي. و آلمعنى ألثاني هو؛ ولاية الحسبة هي كل ما يطلبهُ آلشارع على نحو ألكفاية ممّا تقوم به حياة آلمجتمع و يختلّ من دونه ألمجتمع, و يدخل في قوله تعالى: " و تعاونوا على البّر و التقوى..."(إنظر : ألأجتهاد و التقليد, للشيخ الآصفي, ص198).
(53) قال تعالى: "قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا آلمودة في آلقربى"(ألشورى / 23). و قال تعالى أيضاً: " قل لا أسئلكم عليه من أجرٍ إلّا منْ شاء أنْ يتّخذ إلى ربهِ سبيلا"(ألفرقان / 57).

(54) يعتقد سيد قطب: {إنّ مجرد تشكيل حكومة إسلامية تعمل وفقاً للقانون الأسلامي في ناحية ما من هذا العالم الكبير, لهو قادرٌ على أنْ يترك من آلتأثير ما يفوق آلاف آلكتب, و آلاف آلمحاضرات, و آلآلاف من آلأفكار آلدقيقة آلهادفة إلى نشر آلدين}.
(55) تنقسم غيبة الأمام المهدي(ع) إلى مرحلتين: ألصغرى و آلكبرى, إستمرت ألصغرى 70عاماً(260هـ - 329هـ), و هي آلفترة ألتي كان يتّصل فيها ألأمام ألمهدي(ع) بآلناس عن طريق آلسفراء الأربعة ألذين تمّ تعينهم من قبلِهِ مباشرةً على التعاقب, و هم: ألشيخ ألموثوق به أبو عمرو(عثمان بن سعيد العمري), نصبه أولاً ألأمام أبو الحسن عليّ بن محمد العسكري(ع), ثم إبنه أبو محمد الحسن(ع), فتولى القيام بأمورها حال حياتهما(ع) بسبب آلظروف الأمنية و مضايقات الحكومة العباسية, ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان(ع), و كان توقيعاته و جواب المسائل تخرج على يديهِ, فلما مضى لسبيلِهِ, قام إبنهُ أبو جعفر(محمد بن عثمان ألعمري) مقامهُ, و ناب عنه في جميع ذلك, فلما مضى , قام بذلك أبو القاسم(حسين بن روح ألنوبختي) من بني نوبخت, فلما مضى هو, قام مقامه أبو الحسن(عليّ بن محمد ألسمري), و لم يقم أحد منهم بذلك إلّا بنصٍ عليهِ من قبل صاحب الأمر(ع), ونصب صاحبهُ الذي تقدم عليهِ, و لم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر(ع), تدلّ على صدق مقالتهم, و صحة بابيّتهم, فلما حان سفر أبي الحسن السمري من الدنيا, قيل له: إلى منْ توصي؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسختهُ؛ بسم الله الرحمن الرحيم .. يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك, فأنك ميّت ما بينك و بين ستة أيام, فإجمع أمرك و لا توصي إلى أحدٍ فيقوم مقامك بعد وفاتك, فقد وقعت آلغيبة التامة, فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره, و ذلك بعد طول الأمد و قسوة القلوب, و إمتلاء الارض جوراً, و سيأتي إلى شيعتي من يدعي المشاهدة, أ لا فمن إدعى المشاهدة قبل خروج السفياني و الصيحة, فهو كذاب مفتر, و لا حول و لا قوة إلا بالله ألعلي ألعظيم.
فنسخوا هذا التوقيع و خرجوا, فلما كان اليوم السادس عادوا إليهِ, و هو يجود بنفسهِ, فقال له بعض الناس: من وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه, و قضى, فهذا آخر كلام سمع منهُ(رض). للتفاصيل راجع؛ ألجزء آلثاني من كتاب ألأحتجاج للطبرسي (1983م), مؤسسة آلأعلمي للمطبوعات, ص477 – 478, بيروت, ط2.
كما ورد في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي تفاصيل أخبارهم أيضاً.
(56) من منن الله سبحانه على آلخلق إرساله للأنبياء و الرسل و الأوصياء لهدايتهم, منذ أبينا آدم(ع) و إلى يومنا هذا, حيث لا يمكن أن تخلو الأرض من حجة لله تعالى, لئلا تبطل آلنواميس و العلل, لأن تماميّة الحجة متوقفه على وجود إمام يهدي إلى التكامل, و قد وردت روايات كثيرة تؤكد على إستمرارية الحجة كونها تمثل العلة الغائية في الوجود, من أجل تحقيق آلخلافة الالهية آلموعودة في القرآن الكريم, لذلك يستحيل عدمها, لأنها تخالف نظرية المعرفة الأسلامية و أصل آلغاية من خلق آلأنسان و الوجود, و قد ورد في الحديث: " لولا الحجة لساخت آلأرض بأهلها", كما ورد عن الأمام الباقر(ع):"لو بقيت آلأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها, و لعذّبهم الله بأشدّ عذابه, و ذلك أنّ آلله تبارك و تعالى جعلنا حجةً في أرضهِ, و أماناً في آلأرض لأهل الأرض, لن يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم آلأرض ما دمنا بين أظهرهم, فأذا أراد الله أن يهلكهم و لا يمهلهم و لا ينظرهم ذهب بنا من بينهم, و رفعنا الله, ثم يفعل الله ما يشاء(شاء) و أحبّ"(راجع كتاب الغيبة, للنعماني, ص218.
(57) ألنهاية, ص301.
(58) للتفاصيل:
http://www.alwelayah.net/welayah/index.php?sec=V1d4a1IySm5QVDA9&sub=V1cweFYwMHlUak5RVkRBOQ==&r=%7B000A31B4EA3/000067964D9603850E2B4/000000020/000067964D9603850E2B4/00000003/000067964D9603850E2B4/00000000D0077A702D4C10CC52F420304%7D&id=7139&act=show&Sectyp=493
(59) نفس المصدر السابق.
(60) ألجواهر: ج40, ص23. نقلاً عن المصدر السابق.
(61) علل آلشرائع, للشيخ الصدوق, ألباب 128, ص251 – 255, ألحديث9.
(62) في بداية الثورة الاسلامية عام1980م, حدث خلاف بين رأي أحد قضاة ألدولة الاسلامية و بين رأي أحد مراجع الدين(ألسيد شريعتمداري) بشأن مصادرة قطعة أرض زراعية كانت متروكة تعود لأحد آلأقطاعيين من مقلدي آلمرجع آلديني شريعتمداري, ألذي حكم للاقطاعي بخلاف حكم القاضي ألمخول من ولي الفقيه ألمتصدي للدولة الأسلامية, و كاد آلخلاف يتأزم, لولا دخول السيد آلأمام و حسم الموضوع لصالح رأي القاضي ألذي كان مجتهداً بالطبع, لأن جميع قضاة الدولة الاسلامية مجتهدون تقريباً.
(63) يقول ألفقيه ألفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس): {أن آلدولة آلأسلامية ليست ضرورة شرعيّة فحسب .. بل هي إضافة إلى ذلك ضرورة حضارية, لأنها آلمنهج ألوحيد ألذي يمكنهُ تفجير طاقات الأنسان في العالم آلأسلامي و إرتفاعٌ به إلى مركزهِ آلطبيعي على صعيد آلحضارة ألأنسانية لأنقاذه ممّا يُعانيه من ألوان التشتت و التبعية و آلضياع}. للتفاصيل؛ راجع منابع القدرة في الدولة الأسلامية, ص5.
(64) ألصدر, محمد باقر(1979م). لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية ألأسلامية – سلسلة ألأسلام يقود آلحياة, دار آلتعارف للمطبوعات – شارع سوريا, ص11, ط2.
(65) ألمائدة / 44.
(66) ألصدر, محمد باقر(1979م). خلافة الأنسان و شهادة الأنبياء – سلسلة ألأسلام يقود آلحياة(4), دار آلتعارف للمطبوعات, بيروت, ص21 – 22, ط2.
(67) يعتبر آل سعود "رأس آلحربة" ألتي بيد ألصهاينة و آلغرب في آلشرق خصوصاً في منطقة آلخليج! فتاريخ آل سعود, بدأ مع بروز و نجاح حركة ألشيخ "محمد عبد آلوهاب" ألذي كان شاباً طموحاً للغاية , عصبيّ آلمزاج ناقماً على آلحكومة ألعثمانية, تعرّف عليه "ألمستر همفمر" أحد وكلاء وزارة ألمستعمرات ألأنكليزية بداية ألقرن ألثامن عشر في مدينة البصرة ألعراقية, لقد أثّرتْ فيه كثيراً تلك "ألكلمة ألذهبية" ألتي قالها همفر لمحمد حين ودّعهُ بالقول: "إنّا إسترجعنا إسبانيا من آلكفار – يقصد ألمسلمين – بالخمر و آلبغاء, فلنحاول أنْ

نسترجع سائر بلادنا بهاتين ألقوتين ألعظيمتين".
لقد جنّد "همفر" ألذّي تلبّس بالأسلام ألشيخ محمد في محلّ ألسيد عبد آلرضا ألخراساني ألذي كان مُلتقىً لأصدقائه ألناقمين على آلعثمانيين! و ناسبتْ تلك آلأجواء أهواء محمد, و لم يكن له شأنٌ بحكومة فارس, و لم يتعصّب ضد آلشيعة رغم كونهِ سُنّياً, و لم يتّبع أيّ مذهب من "آلمذاهب ألأربعة" لإعتقاده بأنها ما أنزل آلله بها منْ سلطان, و إدعى فهمه للقرآن و آلسنة, و طعن بآراء جميع ألمشايخ حتى آراء أبي بكر و عمر, إذ فهم من الكتاب على خلاف ما فهموه, و كان يقول: "إنّ آلرسول(ص) قال: إني مُخلّفٌ فيكم ألكتاب و آلسنة, و لم يقل إني مُخلّفٌ فيكم ألكتاب و آلسنة و آلصحابة و آلمذاهب".
يقول همفر(نقلاً عن ألوثائق ألتي جاءت في مذكرات ألمستر همفر ألجاسوس ألبريطاني في آلبلاد ألعربية/ألوثائق موجودة في آلطابق ألثاني في ألمكتبة ألمركزية بلندن – بريطانيا): "لقد رأيت ضالتي في هذا آلأنسان ألذي عليّ إعدادهُ للقيام بمهمة كبرى يتلخص في إعداد دين جديد مقابل ألدين ألأسلامي ألأصيل, ليكون هذا آلعمل بمثابة سقيفة جديدة أضيفت لتأريخ ألأسلام!
لقد بدأ مستر همفر ألذي كان يتقن عدة لغات(إنكليزية؛ عربية؛ فارسية؛ تركية) بالنفخ في محمد بإستمرار, و يُبَيّن لهُ أنّهُ أكثر موهبةً من جميع آلصحابة, و إنّ آلرسول(ص) لو كن حاضراً لإختارك خليفةً له) و كنت أقول له دائماً:(آمل من تجديد آلأسلام على يدك فأنك آلمنقذ ألوحيد ألذي يرجى به إنتشال آلأسلام من هذه آلسقطة), و كان محمد يسترسل في قبول آرائي خصوصاً في تفسير آلقرآن, ليظهر نفسه بمظهر آلمتحرر و ليجلب ثقتي أكثر فاكثر. قلت له ذات مرّة: (ألجهاد غير واجب), قال: و كيف و قد قال الله تعالى: (جاهد الكفار)؟ قلتُ: إن الله يقول: (جاهد آلكفار و آلمنافقين), و إذا كان آلجهاد واجباً فلماذا لم يجاهد آلرسول ألمنافقين؟ قال: جاهدهم ألرسول بلسانهِ, قلتُ: إذاً فجهاد آلكفار أيضاً واجب باللسان, قال: لكن آلرسول حارب آلكفار, قلتُ: حرب آلرسول كان دفاعاً عن آلنفس, من حيث أن الكفار أرادوا قتل آلرسول فدفعهم, فهزّ محمد رأسهُ علامةٌ للرضا. و قلتُ له ذات مرّة(مُتعة آلنساء جائزة), قال: كلا, قلتُ فالله يقول: (فما إستمتعتم به فإتوهنّ أجورهنّ), قال: (عمر حرّم آلمتعة بقولهِ: متعتان كانتا على عهد رسول آلله و أنا أحرمهما و أُعاقب عليهما؛ متعة النساء و متعة الحج), قلت: أنت تقول أنا أعلم من عمر فلماذا تتّبع عمر, خصوصاً و إنّ عمر نفسه قال: إنّه حرّمهما و إن آلرسول حلّلهما فلماذا تترك رأي آلقرآن و آلرسول و تأخذ برأي عمر؟ فسكت, و لمّا وجدتُ سكوتهُ دليل آلأقناع, و قد أثّرت فيه آلغريزة آلجنسية, و لم يكن في وقتها متزوجاً, قلت له: أ لا نتمتع أنا و أنت معها؟ فهزّ رأسهُ .. علامة على آلرضا, و إغتنمتُ آلفرصة و قرّرتُ آلأتيان بإمرأة يتمتع بها, وكان هميّ كسر طوق الخوف من مخالفة الناس, و بالفعل زوجته إحدى المسيحيات آللواتي كنّ مُجنّدات من قبل وزارة المستعمرات لأفساد آلشباب ألمسلم, و نقلتُ لها كامل القصة, وجعلتُ لها إسم صفيّه! بعدها جرى حواراً طويلاً معه حول عدم تحريم الخمر, و قلتُ له أخيراً: لقد صحّ أنّ معاوية و يزيد و خلفاء بني أميّة و بني آلعباس كانوا يتعاطون الخمر, فهل من آلممكن أنْ يكون كلّ أؤلئك على ضلال و أنتَ على صواب؟ إنهم بلا شك كانوا أفهم لكتاب آلله و سنة رسولهِ ممّا يدُلّ على إنهم لم يفهموا التحريم و إنما فهموا الكراهة و آلأعافة!
و في آلأسفار المقدسة لليهود وآلنصارى .. إباحة آلخمر,فهل يعقل أنْ يكون آلخمر حراماً في دين و حلالاً في دين؟ و آلأديان كلّها من إله واحد! ثمّ إنّ آلرواة رووا أنّ عمراً شرب آلخمر حتى نزلت آلآية؛ (فهل أنتم منتهون), و لو كانت آلخمرة حراماً لعاقبهُ الرسول, فعدم عقاب الرسول دليل الحلية. كان محمد يسمعني بكلّ قلبه, ثمّ تنهد و قال: ثبت في بعض آلأخبار أنّ عمر كان يكسر آلخمر بالماء و يشربها, و يقول إنّ سكرها حرام .. لا , لا إذا لم تكن تُسكر. ثم أردف قائلاً: (و كان عمر صحيح آلفهم في ذلك), لأنّ آلقرآن يقول: (إنما يُريد آلشيطان ليوقع بينكم آلعداوة و آلبغضاء في آلخمر و آلميسر و يصدكم عن ذكر الله و عن الصلاة), فإذا لم تسكر آلخمر, و لم تفعل هذه الأمور ألتي ذكرت في آلآية فلا نهي عن الخمر إذا لم تكن مسكرة.
أخبرتُ "صفية" بما جرى, و اكدتُ عليها أن تسقي الشيخ في هذه آلمرة خمرةً مغلّظة, ففعلت و أخبرتني بعد ذلك أنّ آلشيخ شرب حتى الثمالة و عربد و جامعها عدّة مرّات في ليلتها, و قد رأيتُ آثار النحول و الضعف عليه غداة تلك الليلة, و هكذا إستولينا على الشيخ إستيلاءاً كاملاً! بل وصل آلأمر معه بترك إقامة صلاة الصبح في أكثر الأحيان, حتى بدا لا يهتم بأمر الصلاة, حيث كنت أسهر معهُ حتى منتصف آلليل لأنهاك قواهُ عند الصباح فلا يقوم للصلاة, يقول ألمستر همفر: و هكذا سحبتُ رداء الأيمان عن الشيخ, و اردتُ ذات مرّة أن أناقش محمد حول الرسول(ص) لكنه صمد في وجهي صموداً كبيراً, وقال لي: إن تكلمت بعد هذا عن الموضوع قطعت علاقتي بك! و خشيتُ أن ينهار كل ما بنيتهُ, لذلك أحجمتُ عن الكلام حول آلرسول.
لكنّي أخذتُ في إذكاء روحهُ ليتّخذ طريقاً ثالثاً لنفسهِ غير آلسنة و غير آلشيعة, و كان يستجيبُ لهذا آلأيحاء كلّ إستجابة, لأنهُ كانَ يملأ غرورهُ و تحرّرهُ و ظهوره بين آلناس, و كنتُ أتبعه في كلّ سفرٍ و حظر, و أهتمّ لأن تأتي آلشجرة آلتي غرستها أُكلها, بعدما صرفتُ لأجلها أثمنُ أوقات شبابي.
بعد هذا آلأعداد آلرهيب, أظهر محمد عبد آلوهاب دعوتهُ سنة(1143هـ, 1727م) و جمع لهُ أنصاراً لا بأس بهم, و أظهر الدعوة بكلماتٍ مبهمة, و ألفاظٌ مجملةٌ لخواصّهِ, و بدأ يُوسّع رقعة آلدعوة, و تجمّع حوله عصابة شديدة آلمراس, زوّدناهم بالمال, و كنتُ أشدّ عزيمتهم كلّ ما أصابهم خور من أجل مهاجمة أعدائهِ, فأحياناً كان يُريد آلتراجع لكثرة أعدائهِ و ضغط آلشائعات ضده, لكني كنتُ أشدّ من عزيمتهِ, و أقولُ لهُ: (إنّ محمد آلنبيّ رآى أكثر من ذلك في سبيل دعوتهِ, و أنّ هذا هو طريق آلمجد, و كلّ مُصلِح لا بُدّ و أنْ يتلقى ألعَنَتَ و آلإرهاق.
بعد سنوات من العمل معه و بتوجيه خاص من قبل سكرتير وزير آلمستعمرات ألبريطانية, حيث أرسلت لي آلوزارة رسولاً يُبيّن ضرورة آلتعاون بينَ(ألمُحَمَدَينْ)؛ فمن مُحَمد عبد آلوهاب .. ألدّين, و منْ مُحَمد بنْ سعود .. ألسلطة, ليستولوا على قلوب آلناس و أجسادهم, فالتأريخ أثبتَ أنّ آلحكومات ألدينية أكثر دواماً و أشدّ نفوذاً و أرهبُ جانباً!
لذلك إتّخَذنا و آلكلام لـ (مستر همفر) كما جاء في مذكراتهِ؛ (ألدرعيّة) عاصمة للحكم و (آلدّين ألجديد), و آلوزارة كانت تُزوّد آلحكومة ألجديدة سِرّاً بالمال آلكافي و آلسّلاح, و كانت ألحكومة قد إشتَرَتْ عدداً من آلعبيد صاروا منْ خيرة ضباط آلوزارة ألذين تعَلّموا آللغة آلعربية و آلحروب آلصحراوية,فكنتُ و إياهم(عددهم أحد عشر) نتعاون بوضع آلخطط آللازمة لتحقيق ذلك آلمشروع ألكبير!
كان (ألمُحَمَدان) يسيران على ما نضع لهما من آلخطط, و قد تزوّجنا جميعاً من بنات آلعشائر آلعربية, و أُعجبنا بإخلاص ألمرأة آلمسلمة لزوجها. و قد ساعدني في إنجاح مهمتي ما وجدتهُ في كتاب:(كيف نُحَطّم آلأسلام؟) و كانَ أفضل برنامجٍ لعملي في آلمستقبل, مع مجموعة

مدربة وصلت عددها إلى خمسة آلاف عضو في ذلك آلوقت, و كانت ألوزارة تريد إيصال آلعدد إلى مائة ألف, حيث كانت تعتقد بأنّ تجنيد مثل ذلك العدد يحقق إستيلائنا على بلاد آلمسلمين كافةً, و نكون بذلك قد نسفنا آلأسلام و بلادهُ نسفاً كاملاً, و قد قال له سكرتير ألوزارة كما جاء في مذكرات همفر ص74؛ إني أُبشرك بأنّ أقصى مدّة تحتاجها آلوزارة لتكميل هذه آلخطة قرنٍ من آلزمان, و إنّ أبنائنا سيرون ذلك بأمّ أعينهم, إن حكومتنا تفكر .. بعد ما رأتْ عدم جدوى الحروب الصليبية, كما إنّ آلمغول لم يقدروا في قلع جذور آلأسلام لأن عملهم كان إرتجالياً بدون حكمة و تخطيط و يعتمدون على القوة العسكرية, لذا فأنهم إنحسروا بسرعة – لكلّ ذلك فأننا نفكر بهدم آلأسلام من داخلهِ عبر خطةٍ مدروسة دقيقة و بصبرٍ طويل و نهائي, و قد نحتاج للحسم آلعسكري أخيراً لا اكثر, لكنه يأتي في آلمرحلة آلأخيرة, حيث نكون قد أنهكنا بلاد آلأسلام بعد ما ضربنا جذورهُ بالمعاول في كل جوانبه, و قد فتحوا آلمدارس لتربية أولادهم, و أسسوا حتى آلكنائس في أوساطهم, و نشروا بينهم آلخمر و آلقمار, و شككوا شبابهم في دينهم, و أثاروا آلنزعات بينهم, و ملؤوا بيوت كبارهم بالحسناوات ألمسيحيات, حتى ضعفت شوكتهم و قلّ تديّنهم و وهنت وحدتهم و ألفتهم, فسهل آلسيطرة عليهم.

كما ضمّت تلك آلوثائق أخطر وثيقة مكونة من خمسين صفحة, تتعرض للخطط آلرامية إلى تحطيم آلأسلام و آلمسلمين خلال قرن واحد, حتى يكون آلأسلام خبراً بعدَ حقيقة, و آلوثيقة كانت موجهة إلى آلرؤساء ألعاملين في حقل آلوزارة, لأجل هذا الشأن, و كانت مركّبة من 14 بنداً, و حذّرت من إفشائها لكيلا يطّلع عليها آلمسلمون؛ يرجى للذي يهمّه مراجعة ذلك حيث طُبعتْ تلك آلوثائق تحت إسمٍ مستعار, و عنوان الكتيب هو " مذكرات ألمستر همفر "للدكتور ج . خ.

لقد كانت تلك آلبنود مشروحة شرحاً وافياً, و مزوّدة بالخرائط و آلصور و آلأشكال. كما إنّ آلوزارة أكدّت للمستر همفر بأنها حصلت على مختلف آلتقارير آلواردة إليه من آلعملاء .. مفادها؛ أنّ آلشيخ محمد عبد آلوهاب هو أفضل شخصٍ يمكن آلأعتماد عليه ليكون مطيّةً لمآرب آلوزارة. ثم قال سكرتير آلوزارة: لقد تكلّمنا مع آلشيخ عن طريق عملائنا بصراحة, و قبِلَ آلشيخ ألعرض, على شرط آلحفاظ عليه من كيد آلحكومات و آلعلماء ألذين لا بُدّ و أنْ يُهاجموه بكافة آلسبل حينما يعلن للملأ آراءهُ و أفكارهُ, و أنْ يُزوّدوهُ بالمال آلكافي و آلسلاح ألللازم إذا إقتضى آلأمر ذلك, و أنْ نجعل له إمارة و لو صغيرة في أطراف بلاد (نجد) أي آلسعودية ألحالية, و قد قبلتْ آلوزارة كلّ ذلك, و فرِحَتْ لذلك آلنبأ, و قلت للسكرتير عندما كنتُ متواجداً في لندن: فما هو آلعمل آلآن؟ و بماذا أكلف آلشيخ؟ و من أين ابدأ؟ قال آلسكرتير: لقد وضعت آلوزارة خطة سداسية محكمة و دقيقة و هي: أولاً؛ تكفير كلّ آلمسلمين و إباحة دمائهم و سلب أموالهم و هتك أعراضهم و بيعهم في أسواق آلنخاسة, و حلّية جعلهم عبيداً و نسائهم جواري. ثانياً: هدم آلكعبة بذريعة أنها آثار وثنية إنْ أمكنْ, و منع آلناس عن آلحج, و إغراء آلقبائل بسلب آلحجاج و قتلهم. ثالثاً: ألسعي لخلع طاعة آلخليفة, و آلأغراء لمحاربته و تجهيز آلجيوش لذلك, و محاربة أشراف آلحجاز بكل آلوسائل آلممكنة, و التقليل من نفوذهم. رابعاً: هدم آلقباب و آلأضرحة و آلأماكن ألمقدسة عند آلمسلمين في مكة و آلمدينة و سائر آلبلاد آلاسلامية آلممكنة, بدعوى أنها وثنية و شرك بالله و إستهانة بشخصية آلنبيّ(ص) و خلفائهُ و رجال الأسلام. خامساً: نشر آلفوضى و آلارهاب في آلبلاد حسب آلأمكان. سادساً: نشر قرآن فيه آلتعديل ألذي ثبتَ في آلأحاديث من زيادة و نقيصة. ثمّ قال السكرتير في ختام اللقاء؛ لا يهولنك هذا آلبرنامج آلضخم, فالواجب أنْ نُبذِر آلبذرة و آلأجيال آللاحقة ستكمل آلمسيرة, و حكومة بريطانيا إعتادتْ على النفس آلطويل, و السير خطوة .. خطوة. للمزيد من آلتفاصيل: راجع كتاب ؛" مذكرات مستر همفر – ألجاسوس ألبريطاني في آلبلاد ألعربية. د. ج . خ(إسم مختصر لمترجم آلوثائق ألتي جاءت في مذكرات همفر), و لم يذكر إسم آلمطبعة أيضاً.

(60) يعتبر ألمهندس مهدي بازركان أحد أهمّ ألشخصيات ألبارزة ألتي قادت حركة المعارضة ضد الشاه منذ خمسينيّات ألقرن ألماضي, فقد أسّس "حركة تحرير إيران", و كانت أوّل حركة شيعيّة في آلعالم ألأسلامي بعد آلحركات ألثورية ألمسلحة التي إنبثقتْ بقيادة ألمجاهدين و العلماء كآلميرزا كوچك خان, ثم حركة ألسيد نَوّاب صفوي و غيرها, و بسبب إبتعاد ألمهندس بازركان و أقرانهِ عن مسار ولاية الفقيه لذلك لم يتركوا أثراً كبيراً في مسار آلثورة آلأسلامية, سوى تسلّمه لرئاسة أول حكومة إسلامية مؤقته بعد نجاح الثورة الاسلامية عام 1979م.

(68) ألمصدر:

http://www.khabaronline.ir/news-139972.aspx

(69) نفس ألمصدر ألسابق.

ألخاتمة:

نظريّة ألمعرفة الكونيّة ألتي تعتبر قلب فلسفتنا الكونية؛ مدرسةٌ لتعليم لغة المحبة و آلرّحمة و آلتواضع و العدالة, فعالم اليوم و لأسباب معلومة ؛ يُعاني آلظلم والفرقة والفقر و العداء والطبقيّة والتفكك ألعائليّ و الأجتماعيّ و آللأستقرار وسوء العلاقات والأحوال الأقتصاديّة والمعاشيّة و العداء بين آلأمم, بحيث وصل الأمر لِئَن يُعادي الأخ أخاه والجّميع يُواجهون معركة صعبة بسبب الضغوط والقهر وصعوبة الحصول على لقمة طيّبة للعيش من دون أقنعة!
و لا سعادة في مجتمع يشقى فيه إنسان واحد, فكيف الحال مع مجتمعات يعاني آلجميع فيها آلشقاء لجهلهم بأبعاد النظريّة المعرفيّة الكونيّة التي نحن بصدد بيانها لأوّل مرّة .. ليعشق آلناس آلحياة وآلجّمال وآلألوان والصفاء والصدق, ليصلوا سرّ الوجود, ويخلدوا في كنف المحبوب؟
و إني لم أرَ أطيب مِن صدى آلعشق .
و لا أفضل من آلكرم ..
ولا أسمى من التواضع .. فآلوجود لم يظهر إلا على هذا الأساس!
لقد وضّحنا مبادئ (نظرية المعرفة الكونيّة) و آفاقها في 12 أساساً, وعلى آلمثقّفين آلعشاق للفكر و الجّمال بيانها عبر محاضرات و ندوات في آلبيوت و آلجامعات و المدارس و المراكز و المضايف لإعمالها كسلوك وقوانين في آلدستور للتقدم وبناء الحضارة ألأنسانيّة بدل آلعنف و الوحشيّة.
ألفيلسوف الكونيّ/عزيز الخزرجي

تمّ الكتاب بعون الله
لا تنسونا بآلدعاء